سبك المقال لفك العقال

تأليف

الشيخ عبد الواحد محمد بن الطواح

(القرن الثامن الهجري)

تحقيق ودراسة

الدكتور محمد مسعود جبران



WORLD ISLAMIC CALL SOCIETY

Association Mondiale de l'Appel Islamique





سبك المقال لفك العقال

سبك المقال لفك العقال

تـأليف

الشيخ عبد الواحد محمد بن الطواح

(القرن الثامن الهجري)

تحقيق ودراسـة

الدكتور محمد مسعود جبران

رئيس قسم اللغة العربية

بكلية الدعوة الإسلامية .



سبك المقال لفك العقال
تأليف: الشيخ عبد الواحد محمد بن الطواح
تحقيق: د. محمد مسعود جبران
الطبعة الثانية

منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية
طريق السواني - طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى
هاتف: 65 - 4808461 - بريد مصور: 4800293 - ص.ب: 2682 طرابلس
E-mail: Society@the-wics.org
سنة الطبع: 1376 من وفاة الرسول ﷺ - (2008) مسيحي
الرقم المحلي: 15 / 2007 دار الكتب الوطنية - بنغازي
الرقم الدولي: ردمك: ISBN: 978 - 9959 - 28 - 098 - 5



بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الواحات الجميلة التي سعدت بظلالها الوارفة في رحلة الحياة،

إلى الأحباء الأصفياء،

أرفع جهدي في تحقيق هذا الكتاب، رمز تقدير خالص

يجلوه قول العارف ابن العريف:

ما زلت مذ سكنوا قلبي أصون لهم   لحظي وسمعي ونطقي إذ هم أنسى
حلّوا الفؤاد فما أندى ولو وطئوا   صخراً لجاد بماء منه منبجس

د. محمد مسعود جبران

تقـديـم

العلامة الأستاذ محمد عبد الهادي المنوني
كلية الآداب ـ الرباط

يعتبر «**سبك المقال لفك العقال**»، للمؤرخ التونسي عبد الواحد بن الطواح مصدراً بالغ الأهمية في الكشف عن عدد من التراجم الأندلسية والتونسية، وقليل من تراجم الجزائر والمغرب الأقصى، فضلاً عما ينفرد به من التعريف بالمؤسسات المنوعة المتناثرة بتونس الخضراء وما إليها.

ونتبين من قراءته أنه يمثل ـ لحد الساعة ـ المصدر الباقي من مؤلفات التراجم التونسية في القرن الهجري السابع.

كما نستخلص من عروض الكتاب معلومات ـ قيمة وجديدة ـ عن ماضي تونس؛ وتتنوع هذه المعلومات؛ فتتناول معالم تربوية روحية وغيرها، وأخرى حضارية، إلى تراجم تتناول ثلاثين اسماً، وتقدم إضافات تخلو منها المصادر المتداولة، فضلاً عن جملة نصوص لم تكن معروفة من قبل، ولا ينسى المؤلف المغربين الجارين، فيفيض من عطائه على كل من الجزائر والمغرب الأقصى.

فهي خمس نقط أوضحت تفاصيلها خلال مداخلة في ندوة تونسية سابقة[1].

ونشير ـ الآن ـ إلى أن الكتاب رغماً عن أهميته البالغة، استمر غائباً عند معظم المؤلفين المهتمين، ولم يفد منه سوى ثلاثة فيما أتذكر:

---

(1) انعقدت في يوليو 1987.

الأول ابن قنفد القسمطيني في «أنس الفقير» فاقتبس منه ـ بتصرف ـ عند ذكر الشيخ عبد العزيز المهدوي، دون أن يسمي لا المؤلف ولا الكتاب، حسب ص97، 98، 99، من نشرة المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط.

الثاني الشيخ أحمد رزوق عند أوائل شرح نونية الششتري.

وثالثاً أبو العباس أحمد ابن عجيبة: أوائل شرح نفس النونية، وقد يكون نقل هذا الأخير تقليداً لزروق دون أن يكون وقف على هذا المصدر.

إن «سبك المقال» تطلع للإفادة منه طائفة من الباحثين، وكان نشره أمنية عزيزة، إلى أن قيض الله سبحانه تحقيقه ودراسته للباحث الليبي محمد مسعود محمد جبران، وهو من خيرة أساتذة المغرب العربي، حاصل على درجة الماجستير في الأدب العربي الحديث، ويعد أطروحة لنيل دكتوراه الدولة في الأدب المغربي والأندلسي، ونشرت له في مادة التراجم الليبية خمس مؤلفات، فضلاً عن مقالات ثقافية وبحوث مختلفة، نشرها في صحف ودوريات داخل الجماهيرية الليبية وخارجها. وله بحوث أخرى مخطوطة قيد الإعداد، وفي طليعتها هذا التحقيق «لسبك المقال» الذي يجتهد في إنجازه بسرعة مثالية، فبمجرد ما تعرف عليه بادر إلى انتساخه بيده، ليشتغل بعد ذلك بدراسته وتحقيقه، متجشماً صعوبة البحث في الكتاب، وعن المصادر التي يتطلبها عمله، والأمل معقود على إنجاز مشروعه ـ دراسة وتحقيقاً ـ في أحسن الأحوال، فيكون له ـ وهو ضيف المغرب المحترم ـ الفضل الكبير، واليد البيضاء في إبراز هذا الأثر النادر الذي طالما تعشقه الباحثون، فهنيئاً للأستاذ الباحث الجاد باتجاهه، وهنيئاً للمهتمين بظهور «سبك المقال»، وشكراً جمّاً لناشر الكتاب الفاضل الكريم، العاكف على نشر الذخائر والنوادر، السيد الحاج الحبيب اللمسي، أكثر الله ـ سبحانه ـ في العاملين من أمثاله، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

محمد المنوني

الرباط، الخميس 6 رمضان 1414

17 فبراير 1994

مقدمة

الحمد لله المنعم الهادي إلى الحق المبين، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد المبعوث رحمة للعالمين، والرضى الأتم الأكمل على آل بيته الأطهار، وصحابته الشرفاء الأبرار، وما وقبَ ليلُ أليلٌ وأعقبه نهار، أما بعد: فقد كان مرد الفضل في اهتدائي إلى هذا المخطوط أو الكتاب «سبك المقال لفك العقال» تأليف الشيخ عبد الواحد بن محمد بن الطوّاح. إلى مراجعة علمية بحثية أملتها عليَّ دراستي وتحقيقي لآثار أديب العدوتين الكاتب الشاعر أبي الحكم مالك بن المرحل (604هـ ـ 699هـ)[1]، فقد حملني هذا العمل على محاولة استقصاء المراجع المخطوطة والمطبوعة الموزعة في الخزائن، والمتصلة بهذا الأديب وبأعماله المنظومة والمنثورة التي لم يقدر لها النشر، والتي كان من جملتها العودة إلى هذا المخطوط الموجود بالخزانة الحسنية العامرة في الرباط تحت رقم (105).

ولئن كان الخبر المتصلُ بأبي الحكم مالك بن المرحل في هذا المخطوط قصيراً موجزاً، لم يُخفِ فيه ابنُ الطوّاح انحيازه وانتصاره للعالم النحوي الأندلسي أبي الحسين ابن أبي الربيع[2] في المسألة اللغوية النحوية «كان ماذا؟»

(1) دراسة مطولة مدعمة بجمع آثار مالك بن المرحل المنظومة والمنثورة. صدرت عن المجمع الثقافي بالإمارات العربية.

(2) سوف نترجم للأعلام، الواردة أسماؤهم في هذه المقدمة في تحقيق أصل المخطوط.

التي نشبت بين هذين الأندلسيين في مدينة سبتة[1]؛ فإن المادة التاريخية والأدبية والصوفية الزاخرة التي اشتمل عليها هذا المخطوط «سبك المقال لفك العقال» على الرغم من صغر حجمه شدّتني إليه شداً، ولفتتني إلى القيمة العلمية التي يتمحور حولها سياقه العام، وإلى الأخبار والقضايا المتفردة التي يطرحها بالإضافة إلى أن ابن الطوّاح نفسه يُعد شخصية علمية من شخصيات الغرب الإسلامي المغمورة، تغري بالتتبع والبحث[2]، وأن المخطوط الذي ألّفه بعنوان «سبك المقال» نص قيم، ووثيقة مهمة من نصوص ووثائق القرنين السابع والثامن الهجريين اللذين لا يزالان في حاجة ماسة إلى العديد من النصوص والوثائق الكاشفة عن أبعاد الحياة العامة فيهما.

فعزمتُ ـ انطلاقاً من تلك القناعة ـ على نسخ المخطوط في رحاب الخزانة الحسنية، وعلى القيام بدراسته وتحقيقه ونشره، بيد أني لم أخف إلى النهوض بهذا العبء المحبب من العمل العلمي الذي قدّرت ما يتطلبه من جهد وصبر، إلا بعد الاستيثاق من أخبار مصدرين مهمين، حفزاني بقوة على الانكباب على إدخال «سبك المقال لفك العقال» ضمن اهتماماتي البحثية.

المصدر الأول: مصدر مطبوع، إذ قمت بمراجعة كتاب الأستاذ المؤرخ محمد محفوظ «تراجم المؤلفين التونسيين» لأتبيّن قيمة المخطوط وأهميته وأخبار مؤلفه من جهة، ومقدار الجهد في العناية به وبطبعه من جهة أخرى؛ فتأكد لديَّ عدم توفر المعلومات الكافية لدى الأستاذ محمد محفوظ عن المؤلف، حيث اقتصر على التعريف الوجيز بالمخطوط الموجود بالخزانة العامة بالرباط، وهي نسخة مصورة بالميكروفيلم عن النسخة الأصلية التي وقفت عليها في الخزانة الحسنية؛ فذكر من ترجم لهم المؤلف، وتاريخ الفراغ من نسخها وقياسها؛ ثم استطرد فقال: «والكتاب استجلب منه مصورة الشيخ علي العسلي

(1) الإحاطة 3: 303.

(2) كتبت في ذلك دراسة مستقلة بعنوان «عبد الواحد بن الطوّاح من أعلام الغرب الإسلامي في القرن الثامن الهجري». وقد صدرت هذه الدراسة عن دار المدار الإسلامي سنة 2004.

صاحب المكتبة العتيقة بتونس، وأعلن منذ سنوات أنه تحت الطبع، ولكن لم يظهر شيء إلى الآن، واستطرد قائلاً واستفدت كتابة من الأستاذ سعد غراب أن الأستاذ الزغلامي من تلامذته حققه تحت إشرافه، واتصل بالشيخ علي العسلي ولم يتم بينهما اتفاق، والكتاب له قيمة في التاريخ الثقافي لتونس في القرنين السابع وبداية القرن الثامن؛ فعسى أن تتوفر الهمم ليرى النور، ويستفيد منه المغرمون»[1].

ولاخفاء في أنه قد مرَّ على هذا الرجاء سنوات طويلة دون أن يظهر للباحثين هذا المخطوط منشوراً أو محققاً؛ فأحببت أن تكون همتي من الهمم التي علّق عليها الأستاذ المؤرخ محمد محفوظ الأمل في إراءة النور لهذا المخطوط.

المصدر الآخر: مصدر حي تمثّل في مراجعة الأستاذ العلامة المغربي الفقيه محمد عبد الهادي المنوني؛ الذي أطلعته على ما أنجزته من عملي في تحقيق مخطوط «سلك المقال لفك العقال» ودراسته؛ فأعجب بما قرأته عليه منه؛ وحثني على مواصلة الجهد في إصداره، وأمدّني بالدراسة المختصرة التي كتبها عن مؤلفه ابن الطواح[2]؛ كما أخبرني بأن الأستاذ الحبيب اللمسي صاحب «دار الغرب الإسلامي» قد طلب إليه أن ينهض بتحقيق المخطوط؛ لتقوم دار الغرب الإسلامي بطبعه ونشره، فأمّلت من الأستاذ المنوني أن ينهض بتحقيق هذا الطلب، وأن يثري المخطوط بما عهد فيه من العلم الواسع، والصنع الدقيق؛ إلا أنه تكرّم بتواضعه المحمود والمفقود في غير الصفوة المباركة من العلماء فنظر بعين الرضا فيما حملته إليه من عمل، وحثني على الاستمرار والمضي في إنجازه، ودعاني إلى مكاتبة الأستاذ اللمسي الحريص على نشر الكتاب لإشعاره بما تم بيننا من حديث في مجلسه الكريم.

ولا أخفي أن ما أوحى لي به هذا المصدر الحيُّ العلامة محمد المنوني

---

(1) تراجم المؤلفين التونسيين 3: 283.

(2) بعنوان «عبد الواحد بن الطواح كمؤرخ تونسي أشار إلى قصر المنستير» وقد شارك به في «ملتقى مدينة المنستير وربوعها عبر التاريخ ـ يوليو 1987.

كان الباعث الأكيد على بذل الوسع في مواصلة العمل في تحقيق سبك المقال ودراسته، والحامل على حث الخطى في طي المسافات في التعريف بصاحبه المغمور، وليكون الكتاب ومؤلفه مادة علمية بين أيدي الدارسين التواقين إليها.

ومن محاسن الصدف أنه لم يمض على ذلك المجلس وما جرى فيه شهران حتى التقيت بالأستاذ الحبيب اللمسي في الملتقى الرابع للدراسات المغربية والأندلسية الذي دعت إليه جامعة عبد المالك السعدي بتطوان[1] وكنت أحد المشاركين في أعماله ببحث عن عبد الواحد بن الطوّاح ناقداً أدبياً؛ فأعلمته بفحوى كلام الأستاذ المنوني؛ فرحّب بالعمل، وذكر مساعيه لإخراجه؛ وتمنى أن لو كان منجزاً تاماً في صورته النهائية ليحمله معه إلى بيروت للطباعة؛ فكان هذا الشغف أيضاً سبباً من الأسباب المحرضة على ملازمة العكوف على إتمامه؛ وإنفاق الوقت الطويل في تحقيق النص، وكتابة الهوامش والتخريجات له من المصادر المعتمدة، وكان كلما مضيت قدماً في استجلاء النص واستكناهه بدت أهميته التي سأتحدث عن مظاهر منها بعد قليل.

ومن العجيب الذي يلفت النظر غياب أخبار مؤلفه ابن الطواح، وغياب طائفة من أخبار شيوخه وأصدقائه وتلاميذه، بل أحوال أهله وذويه، وهو أمر غريب زاد في غرابته إمساك المصادر والمظان منذ القرن السابع إلى يومنا هذا عن إثارته.

ومن العجيب أيضاً أن المخطوط كان مجهولاً عند الأوائل، غير معروف في الآثار القديمة ولدى العلماء والمؤرخين السابقين؛ فكأن صاحبه ـ لسبب من الأسباب ـ قد أخفاه، أو عمد إلى ستره، أو أنه تعرّض ـ كبعض التآليف في ذلك الزمان ـ لمصادرة من الدولة حجبته عن أن يكون متداولاً بين الباحثين السابقين وإن بدت العناية بهذا المخطوط ظاهرة عند الباحثين المحدثين الذين كتب لهم الاطلاع عليه على نحو ما سنذكره.

ومهما يكن من أمر فقد مضينا ـ انطلاقاً من البواعث المذكورة ـ في

---

(1) انعقد هذا الملتقى أيام: 26 ـ 27 ـ 28 أبريل، 1993 تحت عنوان «حول تيارات الفكر في المغرب والأندلس الروافد والمعطيات».

العمل فيه، ووفقنا الله إلى أكثر مما توخيناه منه ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[1] فبدا مقبولاً محموداً ممن اطلع عليه من جلة الأساتذة وخير الثناء ما أتى على أفواه الأبرار.

هذا ما عنّ لنا التمهيد به لتحقيق هذا الكتاب القيم الطريف من التراث العربي الإسلامي المسمى «سبك المقال لفك العقال» الذي نشرف بتقديمه لطالبيه آملين أن يجدوا في ألفافه ما يطمحون إليه، وفي إفاداته وإشاراته ما يسدد خطى البحث والدرس في هذه الحقبة من تاريخه، وفي سير أعلامها البارزين والمغمورين، والله المسؤول في أن يكون جهدنا المتواضع فيه معدوداً في صالح القول والعمل.

والشكر الجزيل الوافر لكل من أسدى لهذه الصنعة أيادي كريمة محتسبة عند الله ـ إن شاء الله ـ وأخص بذلك من تفضل بتقديمها للقراء العلامة محمد المنوني ـ أحسن الله جزاءه ـ والصديق الباحث الأستاذ عبد العزيز الساوري الذي تعاطف معه بمساعيه المشكورة التي سوف نذكر فيما بعد بعضها، ولمن أبدى بعض الملاحظات حولها، وللأساتذة الفضلاء المسؤولين والمشرفين على الخزانة الحسنية التي وجد في قماطرها أصل المخطوط وتم فيها انتساخه، والأساتذة القائمين بأمر الخزانة العامة بقسميها، ومكتبة باب شالة برباط الفتح، والخزانة الصبيحية بسلا، ومكتبة الملك عبد العزيز آل سعود بالدار البيضاء فقد كانت لأياديهم أفضال محمودة، كما أتوجه بالشكر الخالص لدار الغرب الإسلامي الموقرة وصاحبها الأستاذ الحبيب اللمسي التي اعتمدت هذا الجهد ضمن جهودنا القيمة في نشر التراث الخالد، والله تعالى نسأل أن يجعل مقالنا مسبوكاً، وعقالنا مفكوكاً، إنه نعم المولى ونعم النصير.

محمد مسعود جبران

مدينة الرباط في:

27 محرم سنة 1414 ـ 17/ 7/ 1993

---

(1) سورة يوسف، الآية: 53.

مقدمة الطبعة الثانية

الحمدُ لله على موصول نعمه والآئه، وتتابع جوده وأفضاله، ونصلّي ونسلّم على سيّدنا ومولانا محمد وأصحابه وأهل عترته وآله، أما بعدُ.

فهذه هي الطبعةُ الثانيةُ من كتاب «سبك المقال لفك العقال» تأليف الشيخ عبد الواحد بن الطوّاح، وقد تولّت العناية بها ونشرها جمعيةُ الدعوة الإسلامية العالميّة بليبيا، بعد نفاذِ طبعته الأولى التي أصدرتها دار الغرب الإسلامي بلبنان سنة (1416/ 1995) ومن علائم التوفيق في تلك الطبعة أن تولّى تقديمها للقراءِ العلأمةُ محمد عبد الهادي المنّوني رحمه الله، وما رأيتُه من سرعة نفاذها، والثناء الذي حرّره العلّامة التونسي الأستاذ أبو القاسم محمد كرو حيث قال: «وهذا التحقيق عمل علمي ممتاز، يشكر عليه غاية الشكر الأخ محمد مسعود جبران إذ وفّر للباحثين والمؤرخين نصاً نادراً ومهماً ومفقوداً، بل وحقّقه مع التدقيق والإحالة»[1].

وقد أجهدتُ نفسي في السنوات التي تلت سنة صدوره في الطبعة الأولى الصادرة عن دار الغرب الإسلامي سنة (1416/ 1995) لعلّي أقفُ على نسخة مخطوطة كاملة جديدة غميسة في خزائن المخطوطات في المغرب أو المشرق،

(1) عبد الواحد بن الطوّاح من الأعلام المغمورين في القرن الثامن الهجري: 9.

لمقابلتها بالنسختين السابقتين (الأصل والفرع) المعتمدين سلفاً؛ كي يتكامل التأصيل والتحقيق؛ فتعذر عليّ وعَزَّ - بكلّ أسف - الحصولُ على هذا المراد، لذلك أعدتُ مُضطراً هذه الطبعة على ما كانت عليه في الطبعة أو الإبرازة الأولى دون تحوير أو تغيير. باستثناء إصلاح الأخطاء والهفوات والهنات التي تلبست بها الطبعةُ السابقة في بعض المواضع، ويقتضي مني المقامُ هنا أن أشكر الزميل المحترم العالم اللغوي العروضي الأستاذ علي شونة الذي تفضّل بمراجعة الإحالات العروضية في الحواشي.

ولهذا يسّرني أن أقدم «سبك المقال لفك العقال» في طبعته الثانية بعد المراجعة إلى طالبيه من الباحثين، مع تقديم وافر الشكر لكلّ من نظر فيه بعين الرضا والقبول، وإلى جمعية الدعوة الإسلامية العالمية على اعتماده ضمن منشوراتها العلميّة القيّمة، والله وحده ولي التوفيق والعون.

أ.د. محمد مسعود جبران
طرابلس 23/ 5/ 2007 مسيحي

الدراسة

الرموز المستخدمة في الكتاب

المخطوطة (أ) = المخطوطة بالخزانة الحسنية.

المخطوطة (ب) = المخطوطة الخاصة المصورة.

م. ن. = المصدر أو المرجع نفسه.

ص = الصفحة.

تحق = تحقيق.

لاب = لا بلد.

لامط = لا مطبعة.

لات = لا تاريخ.

ط = طبعة.

تر = ترجمة.

م.ن = المصدر أو المرجع نفسه.

ترجمة المؤلف:

لا خفاء في أن المعلومات والأخبار المتصلة بهذا العالم والأديب التونسي قليلة ونادرة، وقد اشتكى الباحثون ـ ممن عرضوا له ـ من هذه القلة والندرة[1] وقد تتبعت المظان القديمة مخطوطة ومطبوعة والحديثة أيضاً فوجدتها قد ضنت بسوق ترجمة له، أو ذكر شيء ذي بال من أخباره وآثاره، ولولا هذه الإيماضات التي احتواها «سبك المقال لفك العقال» لجهلنا أمر الرجل وحقيقته جهلاً تاماً؛ لذا فسأقتصر في هذه الترجمة الأولى الموجزة التي تكتب حوله، على قطوف من حياته بما تهدّى إليه البحث في مخطوطه.

اسمه ونشأته:

هو الشيخ عبد الواحد[2] بن محمد بن عبد العزيز بن الطوّاح التونسي، ويُنسب من جهة أمه إلى جده الشيخ أحمد بن إسماعيل بن صياد الرجالة وقد أشار المترجم به في هذ الكتاب إلى هذا الجد بأنه كان من طلاب العلم

---

(1) كشف الظنون: 1: 747 تراجم المؤلفين التونسيين، 3: 283، مجلة كلية الآداب بتطوان، السنة 5 سنة 1412/ 1991، منتخبات من نوادر المخطوطات بالخزانة الحسنية؛ 138 ـ 139.

(2) في المخطوطة (ب) ابن أحمد بن محمد، ولم يذكر عبد العزيز.

وشيوخه كما أشار إلى أن عمه أحمد بن عبد العزيز كان منسوباً أيضاً إلى شرف العلم وأهله، وأنه من أصحاب الشيخ أبي الطاهر بن سرور القرشي في التحصيل ويكنى المترجم به بكنيتين «أبا محمد التونسي»[1] و«أبا سلامة» كما ذكر ذلك شيخه أبو عبد الله محمد بن أحمد التجاني في المخطوط.

ولد أبو محمد أو أبو سلامة عبد الواحد بن محمد بن الطواح ـ كما أثبت نفسه ـ في سنة ثلاثة وسبعين وستمائة (673هـ/ 1275م) أي أنه ولد في عهد الدولة الحفصية بتونس، وعلى وجه الدقة والتحديد في عهد الخليفة أبي عبد الله محمد المستنصر الحفصي، الذي توفي في ذي الحجة سنة (675هـ/ 1276م).

ولم يدلنا ابن الطواح على اسم المكان الذي ولد فيه في التاريخ الذي ذكره، والراجح أنه ولد في مدينة تونس عاصمة الدولة الحفصية عهدئذ.

ومن المعلوم تاريخياً أن العهد الحفصي بتونس استهل بظهور شخصيتين قويتين هما أبو زكريا الحفصي مؤسس الدولة، وممهد أركانها، وموحد أطرافها، والضام مناطقها الغربية، والمؤيد بالبيعة الآتية إليه من العديد من مدن المشرق والمغرب والأندلس، وشخصية ابنه أبي عبد الله المستنصر المؤصل ـ بعد أبيه ـ مجد الدولة، والعامل على تأثيل القواعد والمؤسسات للخلافة الحفصية، ولم يدرك المترجم عهد أبي زكريا الحفصي، وإنما أدرك سنتين من أواخر عهد المستنصر الذي توفي سنة (675/ 1277) والذي تلت وفاته سنوات عصيبة من الفتن والصراعات في البلاط الحفصي[2].

وفي الحق فإن الصراع على الحكم بدأ في عهد المستنصر نفسه، ونشب بينه وبين أخيه أبي إسحاق إبراهيم الذي فرّ عقب ثورته الفاشلة على أخيه إلى

---

(1) تراجم المؤلفين التونسيين، 3: 283.

(2) راجع في ذلك: الفارسية في تاريخ الدولة الحفصية: تاريخ الدولتين: الأدلة البينة النورانية: 71.
تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي، 1: 103، الدولة الحفصية: 18 ـ 19، السلطنة الحفصية: 173.
تاريخ الدول الإسلامية، 1: 56، الفرق الإسلامية: 296.

الغرب واستقر في الأندلس بعدما اعتقل أخوه أبناءه في تونس، وظل فيها يترقب الأحداث، ويهتبل الفرص إلى حين وفاة المستنصر وتولى ابنه يحيى الواثق الحكم ـ وكان كما تذكر المصادر التاريخية، شخصية ضعيفة ـ مما مكن للمكائد والفتن من الظهور، ومهد لتسلط الأعراب على الجهات المختلفة. وقد حفز هذا التردي في عهد يحيى الواثق محمد ابن أبي هلال وإلى بجاية إلى استدعاء أبي إسحاق من الأندلس لإنقاذ الأوضاع في تونس وإلى وضع الإمكانات تحت تصرفه، وإلى المسارعة إلى مبايعته، وإغرائه بالحكم وبتقلد مقاليد الأمور مع أبي حفص عمر أخي أبي إسحاق إبراهيم فرجع بجيوشه من بجاية إلى تونس، وأفتك الأمر من ابن أخيه يحيى الواثق، ثم عمد إلى قتله مع أبنائه، بعد أن خلص أولاده من السجن عقب الفتك بصاحبة عبد الرحمن بن ياسين المعروف بابن أبي الأعلام، الذي كان مسؤولاً عليه منذ عهد المنتصر.

على أن هذه الفتن والصراعات لم تنته باستيلاء أبي إسحاق الحفصي على الحكم في تونس (678هـ/ 1279) بل استمرت رؤوسها في الظهور من جديد، وبخاصة عندما آثر هذا الأمير حياة الترف والاسترخاء والعبّ من الملذات تاركاً تسيير الأمور إلى أبنائه وبعض من يثق فيهم من كبراء رجال الدولة، فقد ثار عليه ابن الوزير في قسنطينة، ولكن أبا فارس عبد العزيز ولد أبي إسحاق الذي كان والياً على بجاية سرعان ما أخمد نيران هذه الثورة، ثم نشبت ثورة الدعي بن أبي عمارة في تونس التي تهيأت النفوس لقبولها وأجبرت أبا إسحاق على التخلي عن السلطة؛ وعلى الالتجاء إلى بجاية التي يحكمها ابنه أبو فارس عبد العزيز، الذي اندفع بعد ذلك وفي حدود سنة (682هـ/ 1283م) إلى تونس لمجابهة ابن أبي عمارة، ودخل معه في معركة خاسرة انتهت بمقتل أبي فارس وإخوته وبعض أبنائه ولم ينج من هذه المحنة القاسية من الأسرة الحفصية في تونس وبجاية بعد مقتل أبي إسحاق إبراهيم إلا أخوه أبو حفص عمر، وأبو زكريا يحيى ابن أبي إسحاق.

وقد استبد الدعي ابن أبي عمارة بالسلطة في تونس مدة قصيرة، لم يسر

فيها ـ بفعل مغامرته وأخلاقه السيئة ـ سيراً حسناً فقد قتل الخصوم وغير الخصوم، وعكف هو الآخر على الملذات والمباذل، وأرهق الناس بصنوف المسؤوليات، وظل على ذلك إلى أن دخل أبو حفص عمر بن أبي زكريا الحفصي إلى تونس في سنة (683/ 1284م) منتصراً ليعيد الحكم إلى أسرته الحفصية من جديد بعد مقتل الدعي ابن أبي عمارة[1].

لقد عاش ابن الطوّاح طفولته أو العقد الأول من حياته في ظل تلك الظروف السياسية المتلبسة بالفتن والصراعات بين أفراد الأسرة الحفصية من جهة، وبين هؤلاء والدعي ابن أبي عمارة من جهة أخرى، بين بدء الدولة الحفصية في إبان ظهورها وبروزها بشخصية أبي زكريا وشخصية ابنه المستنصر، وانحطاطها وتلاشيها في عهد أبي إسحاق إبراهيم الحفصي؛ ثم عودتها إلى مسرح الحياة من جديد بانتزاء أبي حفص عمر بن أبي زكريا على حكم تونس وإعادة السلطنة الحفصية لهذه البلاد.

وتنقصنا المعلومات الدقيقة عن طور طفولة ابن الطوّاح المبكرة والمتأخرة، وعن مرحلة شبابه، وغاية ما انتهى إلينا من أخباره في هذا الطور أن والده محمد بن الطوّاح ـ الذي لم نعلم من أخباره ـ إلا أنه توفي فيه، وتركه صغيراً مع أخ وأخت ووالدة، وأن مترجمنا كان ـ على الراجح أكبر إخوته، وخلّف لهم من حطام الدنيا بعض المال والعقارات لم تسلم لهم، فقد نازعهم فيها ـ كما أخبر ـ بعض الأقارب، واستولوا على بعضها.

والظاهر أن المترجم به ظل ـ في هذا الطور السياسي المتقلب ـ مكنوفاً مع إخوته برعاية عمه الشيخ أحمد بن عبد العزيز، وربما بعناية جده لأمه الشيخ أحمد بن إسماعيل بن صياد الرجالة، فتوجه كأترابه والداته في تونس إبان العهد الحفصي إلى الكتاب لحفظ كتاب الله العظيم، وظل على ذلك إلى أن وفقه الله لحفظه، ثم شدا أوليات العلوم والفنون في الجوامع والمدارس التي اتسعت

---

(1) المراجع المذكورة.

دائرتها في العهد الحفصي[1]، كما انتظم في جامع الزيتونة، حيث استفاد من حلقات علم شيوخه بما أظهره من الزكانة والرغبة في التحصيل والشغف بالتلقي والانتفاع من العلوم المقررة في ذلك العهد، وبخاصة علوم الآلة والمقاصد.

وغير خاف أن الحياة العقلية والفكرية بتونس قد ازدادت نماءً واتساعاً في العهد الحفصي، بفضل كثرة العلماء البلديين، وبمفهوم الطارئين عليها من الغرب الإسلامي والأندلس مما هيأ له فرصة نادرة لتوسيع مداركه، وإثراء عقله، ودفعه مبكراً إلى الإسهام بالمبادهات والمطارحات في مجالس الأخوانيات ومنتديات الجدل والحوار على نحو ما يشير إليه مخطوطه.

تحصيله وشيوخه:

من المفارقات الرائعة التي تطالعنا في العهد الحفصي، وفي كثير من العهود في تاريخ الحياة والحضارة الإسلامية، أن السوء والتردي في السياسة، والصراع الدامي المهلك بين الحكّام والساسة لم ينعكس انعكاساً تاماً على الحركة الفكرية والأدبية، ولم يمتد أثره الكالح امتداداً كاملاً إلى الحياة العقلية والذهنية ليطمس معالمها طمساً ماحقاً؛ فقد ازدهر العلم والأدب في هذا العهد بل وفي غيره من العهود ـ بفضل جهود الأعلام، والامتداد الفكري للعهد الموحدي[2]، وأيضاً بفضل الصلات الثقافية بين تونس والمغرب[3] ـ في خط متوازٍ مع خط السياسة المضطربة، دون أن يلتقي معه، مما أفضى إلى ظهور المدارس، ونشاط حركة التأليف والتصنيف، وشيوع الثقافة المتنوعة[4].

---

(1) تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي، 2: 374، الدولة الحفصية: 65، تاريخ الدول الإسلامية، 1: 56، الفرق الإسلامية: 302 ـ 325.

(2) راجع كتاب العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين.

(3) مجلة المناهل، العدد 16، 1976 «ملامح العلاقات الثقافية بين المغرب وتونس».
مجلة المناهل، العدد 17، 1976 «الصلات الثقافية بين المغرب وتونس الحفصية».
مجلة المناهل، العدد 6، السنة 3 «من صلات الإخاء والصفاء والعلم بين رجالات تونس والمغرب».

(4) راجع الدولة الحفصية، 65 ـ 67 ـ 68 ـ تاريخ أفريقيا، 2: 369.

وقد تفتحت مدارك ابن الطوّاح على هذه الأجواء المتباينة، فتلقى علومه ـ كما قدمنا ـ عن طائفة كبيرة من علماء تونس، ومن العلماء الدارثيين عليها في القرن السابع الهجري، وبخاصة المغاربة والأندلسيين الذين سجل لنا في مخطوطه عدداً ليس بالقليل منهم في تراجم مستقلة وتراجم عرضية، كما سجل لنا تنوع المعارف والعلوم، وتعدد أسماء الكتب التي قرأها عليهم.

ومن أبرز شيوخه الذين ذكرهم، وأثنى على ما أفاده منهم الثناء الوافر شيخهُ العلامة أبو زكريا يحيى اليفرني الذي كان من أبرز وأظهر علماء عصره في تونس الحفصية مشهوراً بصناعة النحو والتبحر في العربية[1]، وقد ألمح إلى سعة علمه، وإلى ما انتفع به من علمه وتهذيبه في مواضع متفرقة، حيث كان يشير إليه بـ«شيخنا».

كذلك دلنا على جملة من شيوخه الذين انتفع بهم في صباه وشبابه، وألمح إلى المصنفات المختلفة التي حذقها في مجالسهم وحلقاتهم؛ فقد حضر دروس الشيخ أبي عبد الله المرجاني على تقدمها ويظهر أن ذلك كان في بداية تحصيله، قال «حضرت مجلسه ـ رضي الله عنه ـ عام وصوله من البلاد الحجازية، وسمعته يتكلم ليلاً، وكنت أفهمه، ولا أستطيع نقله». وأثنى على شيخه هذا ثناءً كبيراً.

وقرأ على الفقيه النحوي المتفنن أبي عبد الله محمد القيسي، المشتهر بابن العطار نصف كتاب الجمل للزجاجي، وشعر امرئ القيس مع الأعراب، وكتاب فصيح ثعلب، وكتاب السماكي، وكتاب ابن الحاجب.

وأخذ عن شيخه أبي علي عمر بن محمد بن علوان الهذلي، فقد قرأ عليه كتاب المعالم للرازي وسمع منه الكثير من كتاب الموطأ للإمام مالك بن أنس، وطائفة من صحيح الإمام أبي عبد الله البخاري كما صحح بملازمة شيخه

---

(1) راجع عنوان الدراية للغبريني، شجرة النور الزكية.

الأستاذ أبي الحسن الرماني شواهد الشرح الكبير على الجمل، ووصف شيخه هذا بقوله «فرأيته ضابطاً لأكثرها».

ومن شيوخه الذين انتفع بعلومهم وفهومهم وما كانوا يفيضون به في مجالس دروسهم الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم التجاني فقد أخذ عنه كتاب المقامات وعروض ابن السقاط، وسمع منه دولاً في جمل الزجاجي والشيخ أبو الحسن علي بن محمد البوذري الهواري الذي قرأ عليه كتاب المعالم للفخر الرازي، وسمع منه الإرشاد وكتاب الموطأ دولاً، كما تذاكر معه كثيراً في مسائل علمية بمرسى ابن عبدون وبالمنارة من قرطاجنة.

وذكر المترجم أنه سمع من شيخه أبي عبد الله محمد بن يعقوب المستاري المعالم والموطأ والتهذيب، وكان يذاكره في العربية وفي الأدب مذاكرة مشارك. وأخذ عن شيخه أبي الطاهر بن يحيى بن سرور القرشي ما سمعه منه عام تسعين وستمائة من الحاصل ومن التهذيب في دول كثيرة بمدرسة الشماعين، وحضر مجالسه العامة بزاوية المغربي بتونس.

كما ذكر أنه لقي الشيخ أبا محمد عبد الله بن محمد بن هارون القرطبي، وأخذ عنه مقصورة حازم القرطاجني المشهورة بكمالها، وأشار أيضاً إلى أخذه عن الشيخ أبي الحسن يحيى بن إبراهيم المعافري المشهور بابن الحاج فصولاً من كتاب الروض الأنف للسهيلي، قال «وانتفعت منه بجزئيات كثيرة، واستفدت منه غرائب وعجائب في شأن المحققين، بيّنت مجملاً، وأزاحت مشكلاً».

ويظهر أن ابن الطواح قد حصل معارف كثيرة بهذا الشغف العلمي، والحرص على لقيا الشيوخ والانتفاع بمعارفهم، وحظي أيضاً بنيل إجازاتهم العلمية الخاصة والعامة، التي كان حرص على طلبها من مشيخته؛ أو تطوع بعضهم بإعطائها إليه دون طلب؛ حينما تأكدوا من حسن أخذه وتلقيه أو مباحثاته ومناقشاته التي كان يشارك بها في مجالس العلم؛ يدلنا على المظهر الأول من الحرص على تناول الإجازة ما أخبر به بعد أن أورد القصيدة الثانية

لأبي عبد الله محمد بن أحمد التجاني التي رثى بها الشيخ أبا علي حسناً الزبيدي قال «وقد كنت كتبت هذه القصيدة في ريعان الشباب وكنت أستحضرها. . . عني؛ فكتبت منها ما أذكر» ثم قال: «ودخلت بها يوماً على ناظمها أبي عبد الله فنظرها؛ فقلت له أجزنيها؛ فكتب لي ارتجالاً:

لأبي سلامة لا عدته سلامة ... مني أتم إجازة إن شاء
ما كنت أستثني عليه رواية ... فيها ولا جمعاً ولا إنشاء

فقد أجاز الشيخ التجاني تلميذه ابن الطوّاح في رواية هذه القصيدة وفي غيرها من آثاره المعروفة، عندما طلب إليه ابن الطوّاح هذه الإجازة.

أما المظهر الآخر من إجازاته فيطلعنا عليه خبر نيله الإجازة من أحد شيوخه عارفي علمه، وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد التجاني فقد أجازه إجازة تامة مطلقة عامة على الرغم من أنه لم يقرأ عليه شيئاً، وإنما كانت المفاتشة العلمية ـ عند هذا الشيخ ـ السبب المباشر في منح ابن الطوّاح الإجازة الشاملة.

وهكذا نتبين مما تقدم من طبائع تكوين شيوخه ومن الكتب العلمية التي درسها، بل من المعارف الظاهرة والباطنة التي عرض لها ابن الطواح في كتابه «سبك المقال» إلمامه بالعلوم والثقافات الرائجة في القرن السابع بالغرب الإسلامي والأندلس؛ ووفرة تحصيله لعلوم الآلة والمقاصد؛ وإلمامه بعلوم القوم وأذواقهم التي بلغ فيها مبلغاً زهده في بعض الأحايين في العلوم الدنيوية الظاهرة.

أعماله ونشاطاته:

وقد عُرف ابن الطوّاح في بداية حياته، بل في مرحلة شبابه بالاندماج في الحياة العامة، وبالاتصال بمجالس العلماء والمنتديات الأدبية؛ فقد عني باللغة والأدب، وصناعة النحو، فقرأ ـ كما تقدم على البارزين من علماء الفنون

المختلفة، وكان يختلف على مجتمعاتهم، ويتدارس مع النخبة الممتازة من أدباء تونس وعلمائها، ومع الأدباء المهاجرين من الأندلس إليها من أمثال أستاذه أبي الحسن حازم القرطاجني، والأديب أبي العباس أحمد بن القصيرة مسائل من العلم.

وكان إلى ذلك محباً للحوار والجدل على نحو ما يجلوه حواره العلمي مع شيخه أبي عبد الله محمد التجاني ومع شيخه أبي زكريا اليفرني، وشيخه أبي عمر بن علوان وغيرهم، كما كان محباً لأدب البحث والمناظرة، مسارعاً للتأليف في الرد على مناظريه، على نحو تأليفه «رسالته المسماة بغية الآمل ومنية السائل» في النحو.

وليس بين أيدينا ما يدل على أنه تقلد وظائف معينة في الدولة الحفصية، إذ لم يشر إلى ذلك البتة، بيد أنه أشار إلى أنه نهض بالتدريس والتعليم في بلاده، وفي الجزائر أثناء رحلاته إليها، وأعلمنا أيضاً أن ظروفه النفسية، وحالته المأزومة في بعض مراحل حياته كانتا تحملانه على التثاقل، والاعتذار للطلاب الذين كانوا يطلبون إليه تدريسهم وإقراءهم.

ويستفاد من سياق أخباره أنه اتصل بعد ذلك بأعلام التصوف والتزهد، الذين ظهروا في القرن السابع في الغرب الإسلامي ظهوراً كبيراً وقوي تيارهم في عاصمتي الدولة الحفصية، فامتزج بهم، وأخذ علوم القوم عنهم، ومال بوجدانه إليهم واستنكف عن السير في مسار علم الظاهر، ليتخذ ـ في أوساط الفتنة والصراع ـ مساراً جديداً وجد فيه أمنه الباطني في زمن تزعزعت فيه المثل والقيم وعركت السياسة بثفالها الأخضر واليابس، وأغلب الظن أنه لم يسلم ـ على الرغم من لبسه المرقعة، وانزوائه في الزوايا من لهيب نيرانها المتوقدة.

وجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أن عودة بني حفص إلى حكم تونس من جديد في سنة (683هـ/ 1284م) على يد أبي حفص لم يقضِ على جذور الفتنة والانقسام في الأسرة الحفصية قضاء تاماً، بل أفسح المجال أيضاً لظهور أطماع خارجية منها تدخل صاحب تلمسان في صراع الأسرة الحفصية، ومحاولة

الأسبان مد نفوذهم إلى مشمولات السلطنة الحفصية، ودعوة بعض الموحدين إلى القضاء على هذه السلطنة، وإعادة الخلافة الموحدية إلى ممالكها القديمة، إلى غير ذلك من مظاهر الصدام التي انعكست على حياة الساسة والعلماء والناس في المجتمع الحفصي، والذي مكّن للأحقاد ـ في غياب السلطة الحازمة ـ أن تتنفس، وأن تظهر برؤوسها القميئة، ونيرانها المتأججة، فكثرت الوشايات والسعايات.

وقد صوّر ابن الطوّاح في هذا الكتاب ألواناً من أحقاد الحاكمين والمحكومين ذهب ضحيتها أعلام أعيان، كما أشار أيضاً إلى ظهور جماعات من أدعياء التصوف والتدين تخالف أفعالهم أقوالهم كانوا يخفون إلى السعايات، ولا يتورعون عن تدبير النكبات.

رحلاته:

لم تكن لابن الطوّاح رحلات كثيرة؛ فقصارى ما انتهى إليه علمنا منها أنه قام برحلات داخلية في ديار الدولة الحفصية، سواء في تونس نفسها حيث رحل إلى جنوبها لأسباب خاصة في سنة اثنين وتسعين وستمائة قال «كان سبب ارتحالي إلى توزر عام اثنين وتسعين وستمائة مصيبة نزلت بي من جهة الأخوال والقرابة؛ فسلب لي ملكي بالجبر فحلفت أن لا أقيم في بلدتي تلك المدة، ثم انضاف إلى ذلك أمور لا يمكن شرحها؛ فارتحلت إلى توزر».

كما رحل إلى المغرب الأوسط «الجزائر» حيث توجه إلى بونه «عنابة» سنة (698/ 1298م) وهي الرحلة التي لم يفصل القول في بواعثها وأسبابها وقد مرّ في طريق عودته بقسنطينة مع الفقراء، ثم عاد إلى بجاية عاصمة الدولة الحفصية الثانية حيث التقى بالفقيه المفتي أبي علي منصور المشذالي، كما شهد مجلس الفقيه المؤرخ أبي العباس أحمد الغبريني بجامعها، وقد وصف مجلسه وما جرى له معه.

والراجح أن هذه الرحلة التي نهض بها خارج مسقط رأسه تونس كانت

رحلة علمية تعبدية لتوثيق السند العلمي والصوفي بعد إيثاره طريق القوم والأذواق والمواجد. كما نهض برحلة أخرى مشابهة إلى بجاية في العقد الأول من القرن الثامن الهجري.

هذا وقد كان المترجم به شديد التوق إلى زيارة الحجاز وأداء فريضة الحج، ولسنا ندري هل كتب له الحج وزيارة الحرمين الشريفين، وانتشاء ناظريه بمرأى بيت الله الحرام ومثوى الرسول الكريم، أو لم يكتب له ذلك.

أخريات حياته:

كذلك تنقصنا معلومات دقيقة ومفصلة عن أخريات حياته، ليس لنا منها إلا أنه ابتلي في عام أربعة وسبعمائة (704/1304) ببلية لم يتوسع في ذكر ملابساتها وأسبابها؛ بيد أنه ذكر أن الذي خفف من غلوائها وفتنتها أنه رأى النبي ﷺ رؤية منامية فاقتدى به واهتدى وكتب على أثرها رسالته المسماة «نزهة الأحداق وروضة المشتاق» التي أثبتها في المخطوط.

وقد بدا أن تجربته الصوفية قد استحكمت بعد هذه البلية التي انفرجت بالرؤية المنامية؛ فهجر الأدب وصناعة الشعر، وزهد في المجالس التي كان يغشاها مشاركاً بمطارحاته ومبادهاته وآثر إثرها طريق المتصوفة، وملازمة الفقراء ومال إلى التزهد الذي قوي تياره في الغرب الإسلامي والأندلس. كما سبقت الإشارة.

ومن الأخبار التي احتفظ لنا بها سبك المقال عن أخريات حياة مؤلفه أنه كان موجوداً في عام عشرة وسبعمائة (710/ 1310) ببجاية في رحلة أخرى، وأنه التقى خلالها بصاحبه أبي علي الطنهلي.

وإذا كان المخطوط يصمت عن ذكر التفاصيل المتصلة بأخبار وجوده في بجاية، وما حدث له غبَّ الإقامة فيها؛ فإنه يشير بعد ذلك إلى حادثة متصلة بأخبار هذه الأخريات من حياته، وهي حادثة ابتلائه بالسجن سنة سبعة عشرة وسبعمائة (717/ 1317) وعلى وجه التحديد يوم الاثنين السابع عشر من ذي

الحجة من العام المذكور، وهي الحادثة التي لا نريد الإطالة بذكرها لمجيئها مفصلة في أصل المخطوط. وقد رأى المؤلف في فتنتها الأمل بعد اليأس، والفرج بعد الشدة؛ فحفزه ذلك على تحرير وتحبير هذا الكتاب «سبك المقال لفك العقال».

وآخر السنوات التي نعلمها من سني حياة ابن الطوّاح هي سنة (718/1318) حيث ذكر في سياق ترجمته للشيخ أبي عبد الله بن شيلو أنه لقيه وجلس إليه في السنة المذكورة.

ومعنى ذلك أنه كان حياً خلال هذه السنة وأنه كان متوفراً على متابعة تحرير كتابه «سبك المقال» وتحبير تراجمه، وهذا لا يعني ضرورة أنه توفي في هذه السنة، كما استنتج خطأ بعض الباحثين، فربما امتدت به الحياة سنوات بعدها.

ولكن الذي تجمع عليه الكلمة بلا خلاف، أن أخباره انقطعت انقطاعاً كاملاً بعد السنة المذكورة، وأن المصادر المعاصرة لزمنه والتي تلتها سكتت سكوتاً بيناً عن ذكر هذه الأخريات، مما يدعونا إلى طرح عدة تساؤلات لا نملك القدرة على عدم طرحها، ونحن نؤرخ للرجل، وهذه التساؤلات هي:

ترى هل زج بابن الطوّاح في السجن من جديد بوشاية من خصومه أدعياء التصوف الذين شن عليهم حملة ضارية في سبك المقال ـ كما يلوح من رسالته التي كتبها إلى بعض الفقراء من الأصحاب؟ أو أن الدولة الحفصية ـ التي كانت تعمد هي الأخرى في بعض الأحيان إلى التضييق على طائفة من مناوئيها من أهل الفكر والتصوف ـ هي نفسها التي عملت على نكبته وامتحانه كغيره؟

أو أن ابن الطوّاح هجر ـ في أحسن الظروف ـ وطنه تونس، ورحل إلى بلد آخر اعتزل فيه الحياة، وقطع الصلة بالناس ليحقق لروحه الوصل بعد الفصل؟.

تلك تساؤلات مهمة نثيرها في هذا المقام مع أننا لا نملك الإجابة عنها لغياب الوثائق والحقائق المتصلة بها.

ومهما يكن من أمر؛ فإن مخطوط «سبك المقال لفك العقال» نقل إلينا في خواتيمه ـ كما سوف يرى القارئ ـ إحساس مؤلفه الصريح بالاغتراب في مجتمعه، بل صور في دقة إحساسه بدنو أجله، وبقرب زمن رحيله عن هذا العالم الأرضي الذي تعذبت فيه روحه في مجلي رثائي غامض حزين لا يخلو من الرضا والتفويض.

آثاره القلمية:

يبدو أن المترجم به لم يكن مكثراً في صناعة التأليف والتصنيف فقصارى ما وقفنا عليه من آثاره القلمية هذه الأعمال نوردها مرتبة وفاق الحروف الألفبائية:

1 ـ «**بغية الأمل ومنية السائل**»[1]، قيّدها في عشرة كراريس في النحو وقد نسب إليه كتاب بغية الآمل في ترتيب الكامل بالخزانة الحسنية خطأ[2]، وبيّنت في كتابي عن ابن الطوّاح فساد هذه النسبة بالأدلة الموضوعية.

2 ـ «**سبك المقال لفك العقال**»، وسيأتي التعريف بأهميته.

3 ـ قصائد ومقطعات شعرية أثبت منها عدداً في «السبك».

4 ـ «**نزهة الأحداق وروضة المشتاق**»، وهي رسالة صوفية في الحنين إلى الرسول ﷺ، أثبتها أيضاً في «السبك».

وصف المخطوط وأهميته:

على الرغم مما بذلنا من جهد وتتبع وسعي للعثور على نسخ مخطوطة لـ«سبك المقال لفك العقال» ومن مراجعات ومكاتبات مع العلماء والباحثين والمهتمين بحقل الدراسات المتصلة بالغرب الإسلامي والأندلس؛ فإن النسخة التي وقفنا عليها في الخزانة الحسنية ظلت هي النسخة الرئيسة، والأصل

---

(1) كتب في كشف الظنون 1: 747 «بغية الآمل ـ لعبد الواحد الطواح».

(2) النسخ المنسوبة خطأ إلى ابن الطوّاح تحت هذه الأرقام: 2486 ـ 5163 ـ 11618.

المخطوط الوحيد للكتاب؛ إذ لم نهتد ـ مع مداومة البحث ـ كما لم يهتد غيرنا إلى أصل مخطوط آخر، يتم على ضوء إنارته عمل التحقيق والمقايسة، خلا النسخة الموجودة في الخزانة العامة «شعبة الوثائق» بالرباط، والمصورة عن الأصل المخطوط الذي تشتمل عليه الخزانة الحسنية؛ وهي التي أخذ عنها الشيخ العسلي صاحب المكتبة العتيقة بتونس ـ حسبما ذكر الأستاذ محمد محفوظ ـ نسخة مصورة.

وقد صنّفت المخطوطة الأصل بالخزانة الحسنية كما تقدم تحت رقم (105) وهي مكتوبة في 225 ورقة من الحجم المتوسط مقاس 18 × 13[1]، تحوي كل ورقة خمسة عشر سطراً تقريباً، مدونة كما جاء في وصفها في كتاب منتخبات من نوادر المخطوطات بالخزانة الحسنية بـ«خط مغربي مليح مجوهر، خالٍ من تاريخ التأليف واسم الناسخ، وأنه لا ذكر له في كشف الظنون ولا في ذيله»[2].

ثم تفضل الصديق الباحث، الأستاذ عبد العزيز الساوري، فقدم إليَّ مشكوراً صورة جديدة لمخطوط «سبك المقال» غير المذكورة سلفاً، تقع في أربعة عشر ومائة ورقة من الحجم الكبير، مقاس $\frac{1}{2}$ 29 × 21، مكتوبة بخط مغربي عادي، لم يذكر فيها اسم الناسخ وتاريخ النسخ، وقد رجحت أنها نسخت عن الحسنية أو عن أخرى لا ترقى إليها ـ من تاريخ متأخر؛ لأنها لم تسلم من العيوب التي تلبست بالأصل المومى إليه، بل زادت عليه ـ كما يتبين ـ بكثرة الأخطاء والتحريف والتصحيف، ومع ذلك فقد عاودنا النظر في التحقيق مستأنسين بهذه النسخة التي أعانت دون شك على قراءة النص من جديد، ورمزنا للمخطوطة الأولى في الهوامش برمز (أ) ورمزنا للأخيرة برمز (ب).

وعلى الرغم من جودة المخطوطة (أ) في الجملة ـ ضرورة أنها لم تكتب

---

(1) جاء في تراجم المؤلفين التونسيين أن المخطوط موجود بالخزانة العامة بالرباط، رقم 1053 في 12 ورقة، قياس 14 × 18,5.

(2) منتخبات من نوادر المخطوطات بالخزانة الحسنية؛ 138 ـ 139.

في عصر المؤلف (القرن الثامن) أو في عهد قريب منه، وإنما نسخت في عهد متأخر عن نسخة مفقودة انتهى ناسخها المجهول من نسخها في السابع عشر من ذي القعدة عام 1018هـ (1609م) فمن الملاحظ عليها أنها لم تخل من بعض الصعاب والعيوب نذكر من أهمها:

1 ـ تداخل بعض التراجم على نحو ما نقف عليه في ترجمة أبي عبد الله ابن شيلو؛ فقد كتبت طالعة الترجمة في (أ) في ص182، ووردت تتمتها في ص203 بحسب ترتيب المخطوطة التراتبي، وكتبت الترجمة في (ب) في ص92، وجاءت تتمتها في ص102، وقد فرض علينا التحقيق مراعاة السياق؛ فأخرنا هذه الترجمة عن موضعها القلق في وسط الكتاب إلى آخره لاتصال خاتمة كلامه بها[1]. فقد ظهر أن المؤلف لم يتوسع في ذكر عبد الله بن شيلو، بل جعل الكلام عنه مناسبة لتسجيل قطوف من أخباره الخاصة وسيرته الذاتية.

وربما سقطت ـ ضمن هذه الصعوبات بعض التراجم التي كتبها ابن الطوّاح لأشياخه وأعلام عصره كترجمة شيخه العلامة أبي زكريا يحيى اليفرني وللإنصاف نذكر أن أول من نبّه إلى هذا الخلل هو الأستاذ محمد المنوني[2].

2 ـ أن البتر والوهي قد ذهبا ببعض الكلمات كما أتلفت الأرضة والتآكل مواضع أخرى مما اضطرنا إلى المقابلة مع المخطوطة (ب) ومع النسخة المصورة بالخزانة العامة وإلى تقدير بعض الكلمات التالفة، أو غير المقروءة وإلى التنبيه على الفقرات التي لم يستقم سياق قراءتها في النص ـ كما يطالع ذلك القارئ الكريم في هوامش التحقيق والتعليق.

كذلك يلحظ أن الناسخ قد أهمل في نسخه كتابة بعض الكلمات من أصل

---

(1) وقد اقتضى ذلك أيضاً شيئاً من ترتيب بعض التراجم داخل الكتاب.

(2) راجع بحث الأستاذ المنوني عن ابن الطوّاح وكتابه الذي تقدم به إلى أعمال «ملتقى حول مدينة المنستير وربوعها عبر العصور» 1987: 7.

الكتاب، كما لم ينتبه في مواضع متعددة إلى نهاية النصوص المنثورة، فأدمج فيها أبياتاً منظومة حسب أنها من سياق النثر، ولم يوزع الأبيات الشعرية وفاق الوزن على الصدور والأعجاز، كما وقع أيضاً في تحريفات في أسماء بعض الأعلام نبهنا عليها في مواضعها. ومن الملاحظ أن كثيراً من هذه الصعاب والهنات حفلت بها المخطوطة (ب) أيضاً.

بيد أن تلك الصعاب لم تقف مجتمعة حائلاً بيننا وبين المضي في نسخ المخطوط، والقيام على دراسته وتحقيقه، وبخاصة بعدما تأكدت لنا الأهمية التي ينطوي عليها «سبك المقال لفك العقال».

وتتجلى هذه الأهمية في مظهرين أساسيين:

1 ـ أنه يرسم لنا أوضاع حياة وسيرة مؤلفه باعتباره علماً مهماً مغفولاً عنه في سياق تراجم أعلام الغرب الإسلامي في القرن الثامن، ويعكس بقدر معقول ثقافته المتنوعة، التي بدت مظاهرها في ثقافته اللغوية والأدبية، وثقافته الصوفية الذوقية، وفي مجلى عنايته بالثقافة الإخبارية أو الخبرية كما يسميها ابن الطوّاح نفسه.

2 ـ أنه يعكس بجلاء صوراً من حركة الحياة الفكرية في المغرب الأدنى «تونس» والمغرب الأوسط «الجزائر»، ويدل على أثر علماء المغرب الأقصى والأندلس وأدبائهما في مناخهما الثقافي في إطار تاريخي ممتد إلى أكثر من قرن. فقد كان المخطوط مرآة صافية انعكست على صفحتها بعض ملامح الثقافة في عصر المؤلف وفيما تقدمه وصوّر جملة من حملتها من العلماء البلديين في تونس ومن الطارئين عليها من المغربين الأدنى والأوسط، ومن أعلام الأندلس النازحين من فرد وسهم المهدد بالأخطار في ذلك الزمان فضلاً عما حفل به من النصوص الأدبية الطريفة التي لا توجد في غيره، وأخبار الصوفية التي لا تخلو من غرابة، وأقوالهم المتصفة بالحكمة والصفاء.

إن مخطوط «سبك المقال لفك العقال» تأليف الشيخ عبد الواحد بن

الطوّاح يندرج في التصنيف العلمي المنهجي ضمن دائرة كتب البرامج والمشيخات من جهة أنه ذكر في سياق تراجمه شيوخه ومن تلقى عنهم العلم من أعلام تونس ومن الطارئين عليها، ويسلك في دائرة كتب التراجم من جهة أنه ترجم فيه شخصيات تونسية ومغاربية وأندلسية لم يكتب له اللقاء بها، والأخذ عنها.

ومن المحمود في تدوين هذا المخطوط أن مؤلفه التزم فيه منهجية دقيقة بناها على العديد من العناصر الإيجابية في كتابة فن التأليف في كتب المشيخات والتراجم من أهمها:

أ ـ **الجدة والأصالة** بذكر تراجم ينفرد بها المخطوط عن غيره، وبذلك أضاف أسماء وشخصيات لها إسهاماتها في المحيط الفكري إبان القرنين السابع والثامن الهجريين كاد الزمن أن يلفها في مطاوي النسيان، وهذه التراجم موزعة بين تراجم أصلية رئيسة، وأخرى تراجم فرعية عرضية، وقد نقبنا كثيراً في المصادر والمظان الموجودة فعثرنا على إضاءات وتنويرات أثبتناها، وتركنا الأخرى التي لم نقف لها على شيء ينيرها غفلاً.

كما تناول المؤلف شخصيات معروفة في كتب التراجم والمشيخات بمنظور لا يخلو في تقديرنا من الإضافة والتميز والدعم، هذا وسوف يطلع القارئ الكريم أيضاً على نصوص أدبية ووثائق لا توجد في غير هذا الكتاب.

ب ـ **التوثيق**: فقد حرص ابن الطوّاح في هذا المخطوط على توثيق ما أثبت من معلومات وحقائق باللجوء إلى الطرائق الدقيقة غير المردودة كاعتماد الصلة الشخصية المباشرة في نقل الأخبار عمن ترجم لهم، أو الأخذ عن الثقات من شيوخه وأصدقائه العدول، أو الاستمداد من المصادر والمظان المعتمدة.

جـ ـ **التنويع**: فقد اتسمت الترجمات في المخطوط بالتنوع من حيث الإطار المكاني للمترجم بهم، والممتد بين الغرب الإسلامي بأقطاره الثلاث،

وبين الأندلس ومن حيث الإطار الزماني الذي اتسع ليشمل القرنين السابع والثامن الهجريين وما سبقهما ومن حيث الإطار الثقافي والمعرفي، إذ عرض خلاله بالترجمة لشخصيات صوفية، وشخصيات أدبية، وشخصيات أخرى علمية؛ فجمع بذلك النسق بين أعلام الظاهر وأعلام الباطن في كتابه.

د ـ **العرض**: إن ابن الطوّاح جلا أفكاره المختلفة، وآلياته في كتابة فن الترجمة في مفتتح المخطوط واستهلاله، وفي سياق التراجم الكثيرة والمتنوعة في أسلوب مليح الإشارة، دقيق العبارة، واضح الألفاظ والمعاني على المنهج الذي جلا به أعلام الغرب الإسلامي وأعلام الأندلس تراجمهم في كتب المشيخات والصلات والبرامج.

وحقيق بالذكر هنا أن نلمع إلى أن عدداً من الباحثين المحققين المحدثين قد ألمحوا إلى صلتهم بسبك المقال لفك العقال، وإلى وصفهم له، وانتفاعهم بما كتبه مؤلفه فيه من فوائد؛ نذكر منهم الأستاذ محمد المنوني الذي ظهر لي أنه أكثرهم عناية بالمخطوط؛ فقد وصفه ضمن بحث قيّم بعنوان «المخطوطات التونسية بالمغرب»[1]، فذكر أنه «لأبي محمد عبد الواحد بن محمد بن الطواح التونسي الذي كان بقيد الحياة سنة 714هـ»[2]، وأن كتابه هذا «يحتوي على 26 ترجمة بعد فصل تصديري في معرفة العلم وشرفه، وهو يترجم فيه لطائفة من مشاهير الصوفية ممن عاصره، أو قارب عصره، ويطرز تراجمهم بذكر سيرهم ونبذ من كلامهم، كما ترجم لزمرة من العلماء والأدباء وفيهم من لقيهم ووجدوا على بلدته»[3].

ثم ذكر أسماء المترجم لهم في المخطوط[4]، مشيراً في ختام التعريف

---

(1) نشرة «المغرب» صادرة عن وزارة الممثل الشخصي للملك الحسن الثاني، العدد 6 ـ 7/ ديسمبر 1965.

(2) (م. ن)، 59.

(3) (م. ن)، 59.

(4) (م. ن)، 59.

إلى أنه «يقع في حجم صغير ـ خط مغربي مليح يميل للأندلسي. به ورقات 113، وقع الفراغ من انتساخه سنة 1018هـ، وورد النقل عن هذا الكتاب من طرف أحمد زروق أوائل شرح نونية الششتري»[1]. كما وصفه بإيجاز ضمن نوادر المخطوطات في الخزانة الملكية[2]، ثم كتب عن مؤلفه كلمة قيمة باعتباره من المؤرخين التونسيين الذين أشاروا إلى قصر المنستير[3]، أردفها بوصف تحليلي ونقدي ممتاز، أبان فيه الخلط الواقع في بعض أوراق المخطوط، والأهمية التي اشتملت عليها تراجمه[4] التي أوصلها إلى ثلاثين ترجمة رئيسة وعرضية، قال إنها «تفاوتت عروضها بالاختصار والتطويل، مع الاستطرادات في عدد منها»[5]، واستخلص منه معلومات عن ماضي تونس ومعالمها التربوية والحضارية[6].

ونذكر من الباحثين الذين تناولوا المخطوط والمؤلف بالدرس الأستاذ محمد بن شريفة الذي قرر ما استفاده من «سبك المقال» من أشياء طريفة عن صلة ابن عميرة بمقتل صديقه وتلميذه ابن الأبار، وعن صلة ولده أبي القاسم الذي لقيه المؤلف المذكور، وانقطاع عقب ابن عميرة بوفاة ولده هذا»[7]. قال «وفي الكتاب مقارنة بين الأندلسيين الثلاثة الذين لهم عميق الأثر في الحياة الأدبية بتونس على عهد الحفصيين، وهم ابن عميرة وابن الأبار وحازم القرطاجني»[8].

---

(1) (م.ن)، 59.

(2) جاء في كتاب «في النهضة والتراكم: دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية، مهداة للأستاذ محمد المنوني»، ضمن قسم مؤلفاته وأبحاثه: 18 «منتخبات من نوادر المخطوطات بالخزانة الملكية بالرباط، عدا المقدمة في جزء منشور بمطبعة فضالة: 1398 ـ 1978، 213ص، تستوعب 252 مخطوطاً ووثيقة.

(3) بحث تقدم به إلى أعمال «ملتقى حول مدينة المنستير وربوعها عبر العصور» 1987.

(4) الصفحات من 1 إلى 8.

(5) ص8.

(6) الصفحات من 8 إلى 13.

(7) أبو المطرف بن عميرة المخزومي ـ حياته وآثاره: 9.

(8) (م.ن)، 9.

وأومى الأستاذ محمد محفوظ إلى القيمة التي يشتمل عليها سبك المقال في تناول تراجم الأعلام التونسيين والأعلام الذين وفدوا على تونس بلد المؤلف، وذكر أن «الكتاب مجهول منذ القديم»[1]، والمحاولات بذلت في إخراجه، واستحث الهمم لتحقيقه كما ذكرنا[2]. كما اتخذه الدكتور عبد السلام الهراس، وهو يحقق ديوان ابن الأبار القضاعي مصدراً من مصادره، وأشار إلى اطلاع ابن الطوّاح تلميذ حازم القرطاجني على ديوان ابن الأبار الذي قال أنه خلف ديوان شعر ضخماً[3].

واعتمده الدكتور عبد السلام شقور مصدراً من مصادر رسالته «الشعر المغربي في العصر المريني قضاياه وظواهره»، فأفاد من سبك المقال بما ذكره من شعر ابن رشيد السبتي وقرر أيضاً أن بالكتاب «إشارات مفيدة، وهو أقدم مصدر معروف لدينا يرد فيه ذكر الصوفي عبد السلام بن مشيش»[4].

كذلك اعتمده الأستاذ جعفر ابن الحاج السلمي في صنع ديوان أبي الحسن الحرالي المراكشي، قال «عقد ابن الطوّاح التونسي ترجمة خاصة لأبي الحسن الحرالي لا تقل إمتاعاً وغنى عن ترجمته في عنوان الدراية»[5]، ثم ذكر النصوص التي استقاها منه في صنع ديوان الحرالي وقال: «ولا شك أن هذا أغنى مصدر بشعر الحرالي»[6]، ونشر نصاً من كتاب «سبك المقال» وهو النص الذي يتناول أبا الحسن الشاذلي قائلاً «عسى أن ينير شيئاً من طريق مؤرخ المغرب، والباحث في الأدب المغربي»[7].

---

(1) تراجم المؤلفين التونسيين، 3: 283.
(2) (م.ن)، 3: 283.
(3) ديوان ابن الأبار: 21 ـ 22.
(4) الشعر المغربي في العصر المريني قضاياه وظواهره 1: 101.
(5) جامعة عبد الملك السعدي (ندوات 4)، 1991، «نشر التراث الأدبي المغربي بين الواقع والمثال مع صنع ديوان أبي الحسن الحرالي المراكشي»: 71 ـ 99.
(6) (م.ن).
(7) مجلة كلية الآداب بتطوان، عدد خاص بتطوان، العدد 5، 1991، «ترجمة أبي الحسن الشاذلي»، في كتاب «سبك المقال لفك العقال».

منهج التحقيق:

لقد حاولت ـ على الرغم من وجود بعض الصعوبات والمحاذير الموجودة في المخطوط ـ كما ألمحت ـ إنجاز تحقيقه وفاق منهجية محددة ودقيقة مستأنساً فيها بعمل المحققين الفضلاء ـ تجلت في الالتزام بالخطوات الآتية:

1 ـ **المقابلة بين الأصل المخطوط**، والنسخة المصورة بالخزانة العامة التي تم تصويرها في زمن كان فيه المخطوط (الأصل) أكثر سلامة وجدة، والاستئناس بصورة المخطوطة (ب).

2 ـ **فصل كل ترجمة من تراجم المخطوط عن الأخرى** بعنوان أولي مستقل يشتمل على رقم تراتبي، يشار بعده إلى كنية المترجم به، واسمه، لتتضح حدود كل ترجمة، على الخلاف الملحوظ في أصل المخطوط من الدمج والتداخل.

3 ـ **تخريج الشواهد النصية** الواردة فيه والمتمثلة في الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، والأشعار والأمثال، والتعريف الموجز بالأعلام والمواضع، وأسماء التصانيف، مع شرح غريب اللغة، وذكر أوزان الأشعار.

4 ـ **التمهيد بدراسة تحليلية مركزة**، غير مفصلة، مبنية على الحقائق المذكورة في المخطوط، وفي الكتب والمراجع المتصلة بمحاور الدراسة، وأحسب أن هذا التمهيد كان ضرورياً من حيث أنه ألقى بعض الأضواء على الحياة العامة في تونس الحفصية وفي الغرب الإسلامي والأندلس، كما يجلو ما يتصل من ذلك بحياة ابن الطواح نفسه وثقافته المتنوعة، وهي الجوانب التي اشتكى الباحثون من ندرة المعلومات حولها.

5 ـ **وضع الفهارس التفصيلية والكشافات للكتاب**، الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأشعار، والأمثال، والأعلام، والأماكن، والكتب والتآليف. وتلك هي الخطوات والصُوى التي رأينا فائدتها في خدمة تحقيق سبك المقال لفك العقال، والله وحده الموفق.

التحقيق

الورقة الأولى من مخطوط الخزانة الحسنية المرموز له بـ(أ)

ورقة من المخطوط (أ) تتضمن ترجمة أبي عبد الله ابن شيلو التي وقع فيها الخلط

الورقة الأخيرة من المخطوط (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم

يقول العبد الفقير إلى الله تعالى الغني عمن سواه عبد الواحد بن أحمد
ابن محمد بن الطواح لطف الله به وأعانه على طاعته

الحمد لله الذي نحمده بفصيح الكلام ونشكر نعمه الجزيلة بمنتظم النظام
الذي خلق السعادة لمن اصطفاه وسقى بحر وابله فلّ من اجتباه وجعلهم
ساكني [illegible] مع الخلد متنزهين في المواطن مما يرد عليهم من تجليات
التي أطربتهم بعرفها الأنبياء، وخصهم بمزية الأصفياء، فهم نجوم الاقتداء
وأئمة الهدى. وصلى الله على خاتم أنبيائه وخيرة أصفيائه قطب
دائرة الكمال المؤتى جوامع الكلم وعلى آله خير آل
وبعد فقد كنت رأيت مستطرفات من الشعر ونوادر نسمعها ونتناشدها، ومقطعات
أرتجلها، وتكرر ذلك علي وطال بي زمن [illegible] ذلك بسبب جمع
متفرق من كلام منتخب ونظم رائق من ذكر سادات الأعلام وخلد الـ
كرام ليعرف ذلك للغناء نسبه [illegible] فقد [illegible] عنا دثر
الفضلاء، حتى إذا أردت جمع طائفة من أهل العرفان ممن يشار إليه
بالبنان ممن حلت عنه عقلته ووجدته في حضرة القدس لعزلته وهمته
من كلامهم ما يعرب عن نسبهم [illegible] هذا المجموع بشرف [illegible] الأوصاف
المصفى والمسموع فاقتدرت إلى جمع ما تيسر لي وما بعد وقد
اطلعت على سير غريبة وعبر عجيبة فيه للمستبصرين دراية وللمعتبرين
عناية ورعاية فلما [illegible] واطرقا [illegible] الأدب
من [illegible] الجلباب [illegible] أديه مولية السحاب [illegible]
معانيه عن [illegible] العذب [illegible] على [illegible]
الرطب للعذرا [illegible] لما يرع [illegible] لما [illegible] عليه الرياض
غب المطر وحلها على [illegible] للأمل بعناء العطر فجمع من العلم شوارد
ومن التاريخ المستطرف فوائد ومن الأدب الغض [illegible] وقلائد

الورقة الأولى من المخطوط (ب)

ولد سنة تسع وعشرين وستمائة بجزيرة شقر وتوفي رحمه الله سنة 629 708
ثمان وسبعمائة وابن عميرة لم يعقلوا
ثم لقيت 19 النحوي الفقيه الشهير ببلده أبا عبد الله بن شيلو
وكان نحويا لغويا خبيرا ما جلست عنده لما قرئت شاهدته يفتي بسائلين
في مسائل مشكلة فأحلها له بعجب من ذلك وكان يبشر لحتى في أكثر
ومنظره ويعذر به مقاصده في نعت في العليل المرسل يحتفظ من قبيل
للجنس السؤال ولا بتشكيه فيه غني بطاهر الأحلال جزاه الله عن المسلمين
جزاء الأخيار وجعله من زمرة المجتبين الأبرار فلقد كان هذا الشيخ متفننا
من المعارف مليح الفكاهة والمؤانسة معتاعا رابما بمقاصد الحكماء والأدباء
نتيجة العلم ظاهر عليه وكثير ما لديه أنشدني رحمه الله لبعض الأندلسيين
الناس في أمرهم حيارى ... يستفهمون بشيم كل بارق
ومن غدا منتحلا لبيان ... قالوا له المبتدا السفارق
وأنشدني رحمه الله
فأنتم بعز الأملح طاب معارجها ... وطعمها وطاب العود والورق
توفي رحمه الله يوم الخميس الثاني عشر لجماد الآخر عام 718
ثمانية وسبعمائة ومن طبقته في العلم
25 وممن لقيته الشيخ الفقيه المحدث الحافظ
الكاتب المجيد الحسيب أبو محمد عبد الله بن محمد بن هرون القرطبي ولادة
التونسي وفادة أخذ عن جماعة وافرة من الأندلسيين وله فهرسة
جمع فيها من الرجال ما لا يحصى عددا وله في موطأ الإمام مالك رواية عالية
وله شعر كثير وله من الشعر الوسط أخذت عنه مقصورة الإمام الأديب
المتنبي أبي الحسن حازم بكمالها وأجازنيها وجميع ما وقع له من نظم ونثر
وفهمنا من مشكلاتها كثيرا ونظرنا بين معانيها ومعاني غيرها مما يشبهه
واستغنيت بأبي الحسن على علو همته في غنائه عن النظم والنثر لذا
بولد المعاني ولبس من مقصورته هذه معنى مخترع إلا قوله

ورقة من داخل المخطوط (ب) تتضمن ترجمة أبي عبد الله ابن شيلو التي وقع فيها الخلط

الاعتدال وبهذا جاء المثل كما تدين تدان فكان يبرا منها الى الله وهو يكنه
ستهزاء وفاز من فاز بالربح وحظي بالخسران واعوذ بالله من النفوس السبعية
الخاسرة البشرية الطالبة العقربية يحكى عن شيخ زمانه امام العلماء ابن الحداد انه
الغضب العاضي ابو الصيا بسبب الغماز انه كان اقرض منها مالا
ببلد الجزائر انه حلف له عليه فجاء بمجلس الاحكام بعد ما تدخل عليه رجلان
فيهما غريمه فقال لبعض الشهود وهو عبد الحق بن ربيع احكم بينهما
حتى افتكي حاجة فلما وصل قال له انما امتنعت من الحكم بينهما لان هذا
في نفسي منه شيء فخشيت ان احكم عليه فيميل طبعي جزاه الله عن دينه
خيرا وجزاه عن جميع المسلمين شيوخا وصغارا وفقراء اوقاتهم بالمعمورة
وان سلط عليهم من الجبابرة وقهر المتكبر وعلى كل حال الحبيب ما نفسر من
الاحوال وكانت هذه الكرامة الشرعية والعلامة الطبيعية تنظر لسببه الى جمرة
تنكر الايماء وتنقد بها الخلاف الصبا وبالماء على ان العرق كالماهر والرشق
بالهر فكانت لحانه من التلف بالتلف كذلك الحال هنا ما اختلف وقد يهلك
الانسان من حيث امنه وينجو الجهد السمي حيث يجد ولما ينبني ابو حمزة من
البشرية ... التوكل في المهامة العقربية حتى ينه الالطاف ...
... بالاخلاق جادلني له ذنبه وكان كذلك سبب الغربة ينهض به
هذا يكون في الصدق كذلك من مثل على تلك الغدم والخلل تشبه الخلال وان
كان بينهما بون ولذلك فلما ان وقع عند العقبي ايا من الناس فسله
من العرج ابو ... عنه الكلف دون ما التبس وصلى الله على سيد الامم وخير
الكل محمد بن عبد الله العربي القرشي المكي الابطحي وآله الطاهرين وسلم
تسليما كثيرا وكان الفراغ من كتبه في سابع عشر ذي
القعدة الحرام عام 1018هـ ثمانية عشر والف
عرف الله بركته آمين

الورقة الأخيرة من المخطوط (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم، يقول العبد الفقير إلى الله تعالى الغني به عمن سواه، عبد الواحد بن محمد[1] بن الطوّاح ـ لطف الله به، وأعانه على طاعته ـ الحمد لله الذي بحمده يستفتح الكلام، وبشكر نعمه الجزيلة يستمطر الإنعام، الذي خلق السعادة لمن اصطفاه، وحقق بعرفانه قلب من اجتباه، فجعلهم ساكني الظواهر مع الخلق متحركي البواطن بما يرد عليهم[2] من تجليات الحق، أكرمهم بكرامة الاجتباء، وخصّهم بمزيّة الاصطفاء؛ فكانوا نجوم اقتداء، وأئمة اهتداء، وصلّى الله على خاتم أنبيائه وذخيرة أصفيائه، قطب دائرة الكمال، المؤتى جوامع الكلم وعلى آله خير آل، وبعد؛ فقد كنت رأيت مبشرات مَرَاء[3]، ونيرات سنى وسناء[4]، ومنصة ارتقاء، وتكرر ذلك عليّ، وظهرت بركته لديَّ، فكان ذلك سبب جمع مفترق، من كلام مُتسق، وزهر رياض، من ذكر سادات أعلام، وقادات كرام، ليكون ذلك

(1) في المخطوطة (ب) عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن الطوّاح.

(2) في (ب) مما يرد عليهم.

(3) يقصد الرؤى: جمع الرؤيا ما يرى في النوم من خير.

(4) بمعنى: نيران مضيئة ورفيعة.

للمتأنسين قدوة، وللمتقدمين[1] في حنادس[2] الغفلات جذوة؛ فأردت جمع طائفة من أهل العرفان ممن يشار إليه بالبنان ممن حُلّت عنه عقلتُه، ووَحّدته في حضرة القدس خلوته، وجمعت من كلمهم ما يُعرب عن شيمهم؛ فكان هذا المجموع، يُشرق لألاؤه المعقول والمسموع؛ فابتدرت إلى جمع ما تيسر لي وما تعذر، وقد انطوى على سير غريبة، وعبر عجيبة، فيه للمستبصرين دراية، وللمعتبرين عناية ورعاية[3]، فلما أسفر صباحه، وأزهر أقاحه، لاحت حدائق أدبه مُوشية الجلباب، وفاحت نواشق أربه مولية السحاب؛ فتبسّم ثغر معانيه عن شنب مبسمه العذب، وترنّم طير مبانيه على قُضب مبسمه الرطب لا غروَ أنه جمع لمَا برع؛ وسطع لما لمع؛ فجاء يُزهي على الرياض غبَّ المطر، ويُجلى على كرسي الأمل بفناء الوطر، فجمع من العلم شوارد، ومن التاريخ المستظرف فوائد، ومن الأدب الغض عقياناً[4] وقلائد، وسمّيته «سبك المقال لفك العقال» ومن الله أسأل التوفيق إلى سواء الطريق إنه ولي أهل التحقيق.

فصل في معرفة العلم وشرفه[5]

وأن شرف كل علم بحسب متعلقه، ولما كان متعلق العلم الرباني ذات الله؛ كان لذلك أشرف العلوم، والعلم والمعرفة على السواء، غير أن المحققين ذهبوا إلى أن العالم أخص بالعارف، ومنهم من يرى أن المعرفة

---

(1) الكلمة ساقطة في (ب).

(2) الحنادس: الظلمات جمع حندس الظلمة أو الليلة الشديد الظلمة. والحنادس؛ ثلاث ليال في آخر الشهر.

(3) في (أ) ونهاية.

(4) العقيان: ذهب متكاثف في مناجمه، خالص مما يختلط به من الرمال والحجارة.

(5) من نافلة القول أن نذكر أنه ليس هناك دين من الأديان السماوية أو مذهب من المذاهب الإنسانية الأرضية، عنى بالعلم ودعا إليه وجعله فريضة من فرائضه، وكرم أهله مثل دين الإسلام الحنيف، فقد دعت إلى ذلك بجلاء آيات القرآن الكريم، والأحاديث الصحيحة من السنة النبوية المشرفة، وحثت عليه أقوال العلماء الثقات وسيرهم ونهضت الحضارة الإسلامية طوال عصور ازدهارها وإشراقها، شاهداً صحيحاً وصريحاً على أن تقدم الأمة إنما تم وكمل بالعلم الشريف. راجع في ذلك. الجامع لبيان العلم وفضله لابن عبد البر، إحياء علوم الدين للغزالي.

أكمل؛ لاشتراك العالم بصاحب علم الحال، وصاحب علم الأحكام فرأوا أن المعرفة أخصّ بالعلم[1] في الإطلاق، واختلفت أغراضهم في التسمية كما هنا، وقد غلّط الإمام المدرك المحقق أبو عبد الله الحاتمي[2] كثيراً من أهل هذا الشأن في تسميتهم الواصل عارفاً، وصاحب علم الأحكام عالماً؛ فيقولون: العارف فوق العالم، ولذلك قال أبو يزيد[3]: «العارف فوق ما يقول والعالم تحت ما يقول»، واستشهدوا بكلام أبي يزيد على ما قالوه، قال الحاتمي: ولا دليل لهم في ذلك، والذي يظهر من كلام المحققين أن يقال: عارف بين عالمين؛ عالم بالأحكام وعالم بالله تعالى؛ لأن تعلق المعرفة إنما هو بالنفس، ومحل هذه المعرفة حضرة الربوبية، ومن هذا المقام يقال للعارف رباني، قال النبي[4] عليه السلام: «**من عرف نفسه عرف ربه**»[5]، فلما كان حظ العارف مع نفسه كان فوق ما يقول، إذ هو قد ارتقى عن مقام نفسه، وهذا الذي أراد أبو يزيد، ولما كان العالم بالله لا ينطق إلا عن الله كان تحت ما يقول؛ لا ما ظنوه، إذ العالم تحت الحضرة الإلهية وكل موجود. وهذا تلخيص كلام الحاتمي وأهل هذا المقام هم أهل الخصوصية، ومذهب الحاتمي أن العالم مُقدَّم[6] على العارف، وهو مذهب المحققين من المتأخرين[7]، وأما علماء الأحكام فهم دون ما تقرر، وهو الذي قرّره الإمام الأوحد المجتهد[8] أبو

---

(1) في (ب) بالعارف.

(2) من الأعلام المشاهير في علمي الظاهر والباطن، وقد ترجم له المؤلف في هذا الكتاب ترجمة مفيدة تحت رقم (5).

(3) أبو يزيد بن عيسى البسطامي من الزهاد المشهورين، كان ابن عربي يسميه أبا يزيد الأكبر، وينسب إلى بسطام بلدة بين العراق وخراسان وأصله منها، وتوفي بها، ويرى بعض المستشرقين أنه من القائلين بوحدة الوجود، ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية وقد امتدت حياته بين سنتي (188هـ ـ 261هـ) له ترجمة في وفيات الأعيان 1: 240 حلية الأولياء 10: 33.

(4) في (ب) سقطت اللفظة.

(5) وقد دعا الله تعالى إلى هذه المعرفة المفضية إلى معرفته ورعاية عظمته بقوله تعالى: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21].

(6) الكلمة ساقطة في (ب).

(7) يقصد أعلام عصره وما سبقه بقليل.

(8) الكلمة ساقطة في (ب).

محمد بن عبد السلام[1] وجعل بينهما بوناً بعيداً قال: «والفرق بين المتكلمين من الأصوليين وغيرهم جليّ، إذ أحدهما تغيب عنه علومه بالذات والصفات في أكثر الأوقات، ولا تدوم له تلك الأحوال، إذ لو دامت لكان من العارفين، والعارفون أفضل الخلق، وأتقاهم لله، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[2]، ومدحه للمتقين أكثر من مدحه للعالمين، وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[3]، فإنما أراد العارفين به[4] وبصفاته وأفعاله دون العارفين بأحكامه، ولا يجوز حمل ذلك على غيرهم؛ لأن الغالب عليهم غير ذلك، وخبر الله صدق فلا يحمل إلا على مَن عرفه وخشيه، وقد رُوي هذا عن ابن عباس[5]، وهو ترجمان القرآن، هذا نص كلام الإمام عز الدين بن عبد السلام[6] فإن قلت أي فرق بين المعرفة والعلم؟ قلت: هما في

---

(1) أبو محمد بن عبد السلام البرجيني حلاّه صاحب شجرة النور الزكية: 168 بقوله: «الإمام الفقيه الفاضل العمدة الكامل العالم العامل، أخذ عن الإمام المازري وغيره، وعنه أبو محمد بن بزيزة وغيره، له فتاوى مشهورة، كان حياً سنة 606»، وذلك أنه «حصلت له جفوة من الأمير عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي». كتاب العمر 1: 707، الفارسية: 11، تاريخ ابن الشماع: 42.

(2) سورة الحجرات، الآية: 13.

(3) سورة فاطر، الآية: 28.

(4) الكلمة ساقطة في (ب).

(5) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي، حبر الأمة وصاحب رسول الله ﷺ، ولد في مكة المكرمة في بدء النبوة، ولازم الرسول وروى عنه الأحاديث الصحاح، وكان ممن شهد مع الإمام علي معركة الجمل وصفين، وكان مشهوراً بالحفظ واتقان الرواية واستنباط الأحكام، وقد كف بصره في أخريات حياته، وسكن الطائف حيث توفي بها، بعد أن ملأ أيام عمره بالعلم فقد جعل أيامه يوماً للفقه، ويوماً للتأويل، ويوماً للمغازي، ويوماً للشعر، ويوماً للتاريخ وأيام العرب، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ كثيراً ما يستشيره في القضايا.
ترجمته في: الإصابة، ت 4772، حلية الأولياء: 1: 314.
نكت الهميان: 180 الإعلام 4: 95.

(6) عبد العزيز بن عبد السلام ابن أبي القاسم الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء، أحد فقهاء الشافعية ممن بلغوا رتبة الاجتهاد، كان ميلاده بدمشق حيث نشأ وتولى التدريس والخطابة، وكانت له المواقف المشهودة مع حاكم بلده الصالح إسماعيل بن العادل، ثم سافر إلى مصر حيث ولاه صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة والحسبة، وتوفي في القاهرة بعد أن ترك آثاراً علمية نفيسة.
ترجمته في فوات الوفيات: 1: 287، طبقات السبكي 5: 80 ـ 107، مفتاح السعادة 2: 212، الأعلام 4: 144.

الحد والحقيقة على السواء، من كشف الشيء على ما هو عليه، والذين يرون أن المعرفة أخص باسم العارف من العلم باسم العالم، ويرون أن العلم حجاب فأمم[1] لا تحصى، والعلم هو الصفة الشريفة التي وصف الحق بها نفسه وخاصته من أنبيائه وملائكته[2]، ثم منَّ على أوليائه بأن جعلهم ورثة الأنبياء[3] ولما أمتن عليهم بهذه النعمة الشريفة، خصّ أهل العلم بالابتلاء، وهو من الله بهم لطف، وتشحير[4] ونعمة في حقهم، علمه العالمون، وجهله الجاهلون فإن قلت: كيف يكون ذلك نعمة، وظاهر الأمر أنها نقمة؟؛ قلت: ابتلاؤهم في دنياهم هو تحصيل السعادة الأخروية الأبدية، والظفر بعقبى الدرجات العليّة، ولما كانت السعادة إنما هي معرفة الله تعالى، ومشاهدة ملكوته؛ فإن ابتلاءهم في العاجل مضاعف لنيل الدرجات في الآجل، دليله قوله ﷺ: **«نحن معاشر الأنبياء أشد الناس ابتلاء ثم الأمثل فالأمثل»**[5]، روى ابن خفيف الشيرازي[6] أن أبا حامد النجلي[7] جاء إلى أبي المغيث الحسين بن منصور الحلاج[8] وهو على خشبته، فقال: الحمد لله الذي أمكن منك يا عدوّ

---

(1) في (ب) فاقم.

(2) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: 18].

(3) «العلماء ورثة الأنبياء» رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن أبي الدرداء مرفوعاً، وإن ضعفه غيرهم، انظر المقاصد الحسنة: 286.

(4) كذا في المخطوط، ويريد باللفظ وترشيح. وفي (ب) تسخير.

(5) ورد هذا الحديث بلفظ مختلف، رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه عن سعد بن أبي وقاص.

(6) يوسف بن أحمد الشيرازي من أعلام القرن السادس الهجري كان من الحفاظ وشيوخ الصوفية ببغداد، ورحل في طلب العلم إلى بلاد فارس والشام والحجاز، واشتهر بالتأليف والتصنيف، وحسن المحاضرة والظرف، وكلّف ليكون رسولاً عن الخليفة إلى ديوان ملك الروم، ترجمته في ـ الأعلام لابن قاضي شهبة، وتذكرة الحفاظ 4: 145 الأعلام 8: 214.

(7) لعل المقصود به حامد بن العباس وزير المقتدر، والذي تفنن تفنناً شديداً في اتهام الحلاج ورميه بعديد التهم، وأشرف بنفسه على التحقيق معه، وإنهاء حياته وتصفيته. راجع شرح ديوان الحلاج: 45 وما بعدها.

(8) هو أبو مغيث من أعلام القرن الرابع، وهو من الشخصيات القلقة التي تضاربت كلمة الباحثين حولها؛ فيعد عند بعضهم من المتصوفة والفلاسفة المتعبدين، ويعد عند غيرهم في =

الله كيف رأيت بَوْسَ[1] الناس يديك وقولهم لك: يا سيدي ومولاي؛ وأنت راضٍ بذلك؟

فقال: اسمع يا لكع[2] إن كنت تحسن أن تسمع، ثم أنشد[3]:

تأمل الوجد وجد والفقد في الوجد وجد

والبعد لي منك قتل والقتل لي منك بُعد

وكيف يشبت ثان وأنت فردٌ وفرد

يحوز[4] قلبي المعاني وليس من ذاك بد

أُعدُّ في الناس مولى لأنني فيه[5] عبد

وروى ابن خفيف[6] أيضاً أن الشبلي[7] أرسل إليه فاطمة الأموية[8] وقال لها: امضي إلى الحسين بن منصور الحلاّج، وقولي له: إن الله ـ عزَّ وجلَّ ـ

= عداد الملاحدة الضالين، وأصل الحلاج بن فارس، ونشأ بالعراق، وحج ودخل بغداد ثم إلى تستر حيث ظهر أمره، وشاع خبره عام 299هـ فصار له أتباع ومريدون، وطفق بنشر مذهبه سراً ويشيعه في الأماكن التي ينزل فيها، ومن أحواله أنه كان كثير الصيام، قليل الأكل، حريصاً على الصلاة يظهر مذهب الشيعة للملوك العباسيين، ومذهب الصوفية للعامة، ويدعي الحلول، مما جعل الوشايات تكثر حوله فأمر المقتدر العباسي بالقبض عليه وبمضايقته، فصبر على العذاب إلى أن قطعت أطرافه الأربعة، وحز رأسه، وأحرق شلوه، ورمي برماده في دجلة.

ترجمته في: طبقات الصوفية: 307، البداية والنهاية 11: 132، الوفيات 1: 146، تاريخ بغداد 8: 112، الأعلام 2: 285.

(1) باسه بوساً: قبّله (فارسي معرب).

(2) اللكع: اللئيم، والأحمق، والعييّ.

(3) من البحر المجتث؛ ولم أقف على هذه الأبيات في شرح ديوان الحلاج.

(4) في (ب) يجوز.

(5) في (ب) فيه.

(6) ابن خفيف الشيرازي المذكور.

(7) أبو بكر الشبلي: دلف بن جحدر أحد النساك في القرن الرابع تولى المناصب السامية في أول حياته في الري، ثم ترك الدنيا وزخرفها، وانصرف إلى العبادة، واشتهر بالصلاح والأدب وقد أبدع ديواناً في الشعر الصوفي، ولد بسر من رأى، وتوفي ببغداد سنة (334هـ ـ 946م).

له ترجمة في: وفيات الأعيان 1: 180، حلية الأولياء 10: 366، تاريخ بغداد 14: 389.

(8) لم أقف لها على ترجمة.

ائتمنك على سر من أسراره فأذعته فأذاقك طعم الحديد، فقال منشداً[1]:

تجاسرت فكاشفتك لما غلب الصبر
وما أحسن من مثلك أن ينهتك الستر
إذا عنفني الناس ففي وجهك لي عذر
لأن البدر محتاج إلى وجهك يا بدر

ثم قال لها: أمضي إلى الشبلي، وقولي له: والله ما أذعت له سراً؛ فإن كان ذلك كذلك، أحرى أن تكون محن الفضلاء عقوبة لهم في دار الدنيا. فقالت يا سيدي: ما التصوف؟[2]. فقال: ما أنا عليه والله ما فرّقت بين نعمه وبلائه ساعة قط[3].

---

(1) من بحر الهزج.
والأبيات منسوبة للحلاج، وهي للحسين بن الضحاك الخليع من أعلام القرن الثالث الهجري - كما ذكر ذلك المستشرق ماسينيون، وقد أثبتها الدكتور كامل مصطفى الشيبي على هذا النحو:

أيا من طرفه سحر ويا من ريقه خمر
تجاسرت فكاشفتـ ـك لمّا غلب الصبر
وما أحسن في مثلـ ـك أن ينهتك الستر
وإن لامني الناسـ ـس ففي وجهك لي عذر
لأن البدر محتا ج إلى وجهك يا بدر

(2) جاء في أخبار الحلاج خبر آخر «وعن أبي بكر الشبلي قال: قصدت الحلاج، وقد قطعت يداه ورجلاه، وصلب على جذع فقلت له: ما التصوف؟ فقال: أهون مرقاة منه ما ترى، قلت له: ما أعلاه؟ فقال: ليس لك إليه سبيل، ولكن سترى غداً فإن الغيب ما شهدته وغاب عنك. فلما كان وقت العشاء جاء الإذن من الخليفة أن تضرب رقبته، فقال الحرس قد أمسينا نؤخر إلى الغد؛ فلما كان من الغد أنزل من الجذع، وقدم لتضرب عنقه فقال بأعلى صوته: حسب الواجد أفراد الواحد له. ثم قرأ ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ﴾ [الشورى: 18]، وقيل هذا آخر شيء سمع منه، ثم ضربت عنقه، ولف في بارية، وصُبّ عليه النفط وأحرق وحمل رماده على رأس منارة لتنسفه»، أخبار الحلاج: 36.

(3) عرف التصوف بتعريفات كثيرة ومختلفة، وربما كان هذا التعريف الذي قاله الحلاج مندرجاً فيها، ومنها أنه التسليم والخضوع المطلقين لقضاء الله في كل الأحوال، وصفاء الظاهر والباطن له، وهو ما عبّر عنه أحدهم بقوله:

ليس التصوف بالفوط من قال ذاك فقد غلط
إن التصوف يا فتى صفو الفؤاد عن الشطط

راجع: المعجم الصوفي.

1 ـ أبو محمد عبد العزيز المهدوي(*)

وإن منهم قطب زمانه، وسيد أخدانه، سيد أهل عصره، وسند أهل مصره، الشيخ الإمام العارف، معدن الأسرار الخفيّة، وينبوع المعاني الإلهية، شمس الحقيقة، وإمام الطريقة، أبا محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي ـ رضي الله عنه ـ كان أمّياً لم يقرأ من القرآن شيئاً، ثم قرأ وانتهى إلى «قد سمع» فكان على بيّنة من ربه، وكُلِّم فسمع، كان في أول إرادته يلبس مرقعة[1] يقال إن فيها تسعين رطلاً، ويدخل بها بحر المنستير[2] ويسير إلى أبي الجعد[3] يصلي حتى تجفّ من مبالغته في العبادة، وانقطع في قصر المنستير،

(*) من أعلام التصوف في تونس والغرب الإسلامي ـ كان كما ذكر المؤلف ـ أمياً ولكن الله فتح عليه بعلوم باهرة، وقد حضر الشيخ محي الدين بن عربي مجالسه عند حلوله بتونس قبل رحيله إلى المشرق، وأثنى عليه في الفتوحات المكية وفي الرسالة التي وجهها إليه من مكة، وهي المسماة «روح القدس» مما يدل على استفادته منه، كما اجتمع به الشيخ أبو مدين شعيب الأندلسي وأبو سعيد الباجي ومحمد الدباغ وغيرهم من علماء تونس والجزائر، وقد توفي حسب رواية الزركشي: ص26 في ليلة الاثنين السادسة عشرة لشعبان سنة ثمان وعشرين وستمائة، ودفن بجبانته بجبل المرسي بمقربة من المنارة، وتولى تلميذه أبو سعيد الباجي غسله وإقباره. وقد احتوت ترجمة ابن الطواح له على إفادات قيمة، كتاب العمر، 1: 481.

(1) المرقعة من لباس المتصوفة المتواضع الدال على الزهادة والتقشف.

(2) المنستير: بضم أوله وفتح ثانيه وسكون السين المهملة، وكسر التاء المثناة، موضع بل بلدة عامرة تقع بين المهدية وسوسه في تونس؛ راجع ما كتبه عنها التجاني في رحلته.

(3) محرس من المحارس التي بنيت لتحفظ ثغور المسلمين مثل آدار والحمامات ورفراف وغير =

ودخل خلوته فبقي أربعين يوماً لم يأكل فيها شيئاً، فقال إمام جامع المهديّة أبو القاسم بن زمر بذلك الزمان: إن مات عبد العزيز لا يُصلَّى عليه لأنه قاتل نفسه؛ فبلغه ذلك؛ فقال: هو يموت وعبد العزيز يُصلّي عليه؛ فكان كما قال كذلك.

ودخل عليه بعض أصحابه بعد الأربعين بإناء فيه شيء من حسى ليتناوله فيقوته؛ فما استطاع أن يسيف[1] إلا بعد جهد عظيم، فلما تناوله سأله من وصل به، وقال كيف تجدك؟ قال: حييت حياة لا أموت بعدها أبداً، ارتحل إلى بجاية[2] للقاء شيخ المشائخ الإمام العالم...[3] معدن الأسرار، وقطب الأقطاب الشيخ أبي مدين[4] ـ رضي الله عنه ـ والأخذ عنه، وتكميل التربية، هو والستة أصحابه الذين هم: الشيخ أبو علي النفطي[5] والدهماني[6] وطاهر

= ذلك، راجع الحلل السندسية للسراج، الجزء الأول، القسم الرابع: 1075. وهناك موضع آخر في المغرب الأقصى يعرف أيضاً بأبي الجعد.

(1) سفَّ الدواء سفاً: تناوله يابساً غير معجون. وفي (ب) فما استطاع أن يسيغه بعد جهد عظيم.

(2) بجاية مدينة مهمة من مدن الجزائر، تنطق بفتح الباء وكسرها والغالب نطقها بكسر الباء، تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، أسسها في الزمن القديم ـ الفينيقيون؛ ثم عمرها الرومان، وظلت عامرة إلى أن دمرها الوندال والبربر، وقد بنيت من جديد في عهد الصنهاجيين في القرن الخامس الهجري، وسموها «الناصرية» واتخذها بنو حماد بعدهم عاصمة لهم، وهي من المهاجر التي استوطنها الأندلسيون، وبخاصة في عهد الدولة الحفصية التي جعلتها عاصمتها ثانية لسلطنتهم.

(3) كلمة غير مقروءة في أصل المخطوط، أقرب قراءة لها «العارف» وهي ساقطة في (ب).

(4) كتبت في المخطوط «أبا مدين» وهو أبو مدين شعيب.

(5) حسن بن محمد بن عمران النفطي، نقبه صوني، أديب من تونس ولد بنفطة بالجريد، وتعلّم بالشيخ أبي الفضل السكري، ثم أخذ عن أبي مدين، وكان موصوناً بالتعفف والديانة، وقد عرفت طريقته بـ«البوعلية» مات مسموماً من السلطة أو غيرها لمواقفه، وتوفي ـ كما ذكر مخلوف في رجب من عام 621هـ، ولا يزال ضريحه ـ كما قال برنشفيك 2: 336 «قائم الذات وسط واحة نفطة».

ترجمته في: شجرة النور الزكية، جامع الزيتونة: 12، تاريخ أفريقيا 2: 336، تراجم المؤلفين التونسيين 5: 44، رحلة التجاني: 143، كتاب العمر: 476 ـ 480.

المزوغي(1) وابن معواس(2) ومحفوظ بن جعفر(3) من نظر بنزرت(4) وسالم التباسي(5) ـ رضي الله عنهم ـ، فلما وصلوا إلى منزل الشيخ أبي مدين ـ رضي الله عنه ـ جعلوا طاهراً المزوّغي يحبس حميرهم، وكان أصغرهم سناً، فقال أحدهم لخادم الشيخ: أين الشيخ؟ فقال الشيخ بلسان طلق، وبيان حق: عند الذي يحبس البهائم. ويقال إن الشيخ أبا مدين كان له مائة وخمسون تلميذاً، أخذوا عنه، واستفادوا به، ونسبته متصلة إلى عليّ ـ رضي الله عنه ـ وذكر صاحب التشوف إلى أخبار أهل التصوف(6) إن الذين استفادوا به ألف تلميذ(7).

(1) أبو يوسف يعقوب بن ثابت الدهماني القيرواني، قال محمد بن محمد بن مخلوف: «كان من أكابر أعلام طريقة الإرادة وأئمة مشائخها، سمع الفقه من أبي زكريا بن عوانة ولازمه، وانتفع به، والحديث عن أبي عبد الله بن محمد بن حوط الله وغيرهما، ولقي أبا مدين الغوث، وأخذ عنه، ورحل للمشرق، ولقي أبا عبد الله القرشي، وأخذ عنه، وصحب أبا عبد الله البكري، وانتفع به، وعنه أخذ من لا يعد كثرة، وانتفعوا به منهم عبد السلام المسراتي، له فضائل جمة، توفي بالقيروان سنة 621، وعمره 72 عاماً».
وذكر صاحب معالم الإيمان أنه توفي عام 669. وقد عرف أيضاً بالجهاد فكان يرابط بقصر المنستير وصفاقس وغيرهما، له ترجمة في: معالم الإيمان 3: 269، شجرة النور الزكية: 168، 169.
قال الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في رحلة التجاني: 56 «وأفرد له الدباغ كتاباً على حدة، توجد منه نسخة خطية في خزانة الجزائر عدد 1718 ونسخة بمكتبة ح. ح. عبد الوهاب بتونس».

(2) قال الشيخ محمد مخلوف في شجرة النور: 70 «الشيخ طاهر المزوغي من عرب مزوغة بأفريقيا، العالم العامل، الولي الكامل، أخذ عن أبي مدين الغوث، وانتفع به، وعنه أخذ الناس، وحصل النفع به، وله عقب ملحاء حلماء، استوطن بلد قصور الساف، وبه توفي سنة 646». راجع تاريخ أفريقيا 2: 266. وكتب في النسخة (ب) وطاهر البزوغي، كتاب العمر 1: 498.

(3) لم أقف لهما على ترجمة، وكتب الأول في (ب) وابن هواس.

(4) مدينة مشهورة في تونس على البحر يشقها نهر، افتتحها معاوية بن حديج سنة 41هـ.

(5) من تلاميذ الشيخ أبي مدين المغمورين.

(6) أبو الحجاج أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي نسبة إلى تادلة بين مدينتي مراكش وفاس ويعرف بابن الزيات، من أئمة اللغة والنحو والأدب والتصوف، وكتابه المذكور يصور نقلته من علم الظاهر إلى علم الباطن، ويظهر طبيعة التصوف الذي كان عليه، وقد كانت وفاته سنة 627هـ أو 628 (1229 ـ 1230)، شجرة النور الزكية: 185 وقد نشر كتابه بتحقيق الأستاذ أحمد التوفيق.

(7) التشوف إلى رجال التصوف.

فصل

أخبرني بعض أصحابنا أنهم كانوا مع الشيخ يوماً فجاء طعام ومعه كاملية[1]؛ فزهد الحاضرون فيه[2]، ولم يلتفتوا إليه فأخذ الشيخ أبو محمد عبد العزيز الغطاء وأزاله وذاقه، ثم رده كما كان؛ فقال الشيخ أبو مدين لأصحابه هو أزهدكم لأنه عرف فيما زهد، وعزفت نفسه عما وجد، وكان شيخ المشائخ قطب المعاني، معدن الأسرار أبو مدين ـ رضي الله عنه يقول: عبد العزيز سَبُع النفوس يعني في تأديبه نفسه، وتربيته غيره، والنفطي ذكير[3] النفوس، وسالم التباسي، جبل راسٍ.

وجاءه رجل من أهل بونة[4] من قبل الشيخ المتعبّد المتبتل أبي مروان الفحصبلي[5] ـ رحمه الله ـ فقال له: الشيخ يسلم عليك ويقول لك: أدع لي. فقال له: نزع الله من قلبه حبَّ الدنيا؛ فعجب الرجل من ذلك، وذلك أن الفحصبلي المذكور كان زاهداً مقلاً يتصيد سمك البحر يتعيش منه، والشيخ حاله حال الملوك من الثياب والمركب الحسن والمسك[6] وما أشبهه؛ فأخذ الرجل الكلام بالإضراب، ونفى عن نفسه الاكتساب؛ فلما رجع إلى

---

(1) قال الأستاذ أحمد الشنيوي في تحقيقه كتاب توشح الديباج: 165 «في عنوان [الدراية] كاملة، وهو إناء كالقصعة، ويبدو أنه معرب عامي عن الكلمة الإيطالية gamella، وكان مستعملاً في صقلية ثم نقله الجنود المسلمون منها إلى تونس وقسنطينة، ونلاحظ أن اللهجة التونسية تنطقها قملية.

(2) في (ب) إليه.

(3) الذكير، يقال رجل ذكير: جيد الذكر والحفظ، ومن الحديد: ذكره.

(4) بونة: هي مدينة (عنابة) بالجزائر وهي مدينة تشتمل على آثار كثيرة، وتقع على ساحل البحر في علو من الأرض، قال صاحب الروض المعطار «وهي من أنزه البلاد وأكثرها لبناً ولحماً وعسلاً وحوتاً، والبحر يضرب في سورها»، وذكر أعاجيب تتصل بهذه المدينة، وقال: «وفي بونة دفن ملك أفريقيا، الأمير الأجل أبو زكريا ابن الشيخ الأجل المجاهد أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص ـ رحمه الله ـ دفن بإزاء قبر الشيخ الصالح الولي أبي مروان الفحصبلي»، الروض المعطار: 115.

(5) أبو مروان الفحصبلي كذا في (أ) وفي (ب) هو المشار إليه قبلاً في الروض المعطار أحد العلماء الصلحاء.

(6) في (ب) والمسكن.

الفحصبلي، وأخبره بمقاله كسر القصبة ورمى السنارة، وقال له: قال الشيخ الحق. وهنا يحق أن يقال: لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل[1]، وما أصدق مَن قال: لهم خبر عجيب، وعندهم العجب العجيب، وإنما مقام الشيخ عبد العزيز مقام الصديقين[2] لأن الصبر على العوافي مقام الصديقين؛ قال عبد الرحمن بن عوف[3] ـ رضي الله عنه ـ: «قد بلينا بالضراء فصبرنا، وبلينا بالسراء فلم نصبر».

كان الشيخ أبو محمد في بدايته يلبس مرقعة، ويقال إنها تسعون رطلاً، ويتقف جداً، ثم انتهى به الحال إلى أن كان ملكاً لبسة، وشذيّ؛ فدخل عليه بعض أصحابه ممن كان يعرفه بتلك الحال، يُعرف بابن عبد الباقي من أهل المهدية[4] فصعد في بيته وصوَّب، وأفكر في انتقال الأحوال، وتعجّب ففهم عنه فقال له وحّدت يا أخي وحُدت، استوى عندها الفقر[5] والعطاء، والكشف والغطاء، فوجم لما علم، قال ـ رضي الله عنه ـ: ميزان الصوفي عندنا ألف دينار إذا شرع في تكبيرة الإحرام؛ فإن مال قلبه عند الشروع في تكبيرة الإحرام إلى الألف لم يكن صوفياً[6]، هكذا هكذا وإلا فلا لا.

---

(1) قال الشاعر ضمن أبيات حكمية، من مجزوء الرمل:

إنما يعرف أهل الفضل في الناس ذووه

(2) الصِّدِّيق في اللسان: الدائم التصديق، والمبالغ في الصدق والذي يصدق قوله بالعمل، قال الله تعالى في وصفه نبيه سيدنا إبراهيم: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: 41].

(3) عبد الرحمن بن عوف بن عبد الحارث من جلة الصحابة وأكابرهم، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان منعوتاً بأنه من الأجواد العقلاء المتحلّين بالبأس والشجاعة، ولد بعد عام الفيل بعشر سنوات، وشهد مشاهد كبرى في الإسلام، واشتغل بالتجارة التي أنفق الكثير من ريعها في سبيل نصرة الإسلام، وكانت وفاته بالمدينة المنورة. ترجمته في: الإصابة 6: 310، حلية الأولياء 1: 98، الإعلام 3: 321.

(4) المهدية: مدينة عامرة بتونس بناها عبيد الله الشيعي الخارج على بني الأغلب، وهو الذي سماها المهدية، ونسبها إلى نفسه في سنة ثلثمائة وبين المهدية والقيروان ستون ميلاً، والبحر يحيط بها من جهاتها الثلاث، وغيرها، ولها محاسن كثيرة أوردها الحميري، بالإضافة إلى أنها قاعدة البلاد الأفريقية في القديم.

راجع ما كتبه التجاني عنها في الرحلة: 320.

(5) في (ب) العقد.

(6) هذا السطر غير موجود في (ب).

كان الشيخ أبو محمد عبد العزيز بالإسكندرية[1] هو وأصحابه، وفيهم رجل يعرف بأبي العباس الطنجي، وكان من أهل الكشف والاطلاع، وكان إذ ذاك جفنان قد عزما على التوجه إلى أفريقيا[2] فعزم الشيخ علي أن يطلع في أحدهما؛ فقال له أبو العباس المذكور: إن سافرت في هذا الجفن يخشى عليك من الأسر، وكان الجفن الآخر عازماً على السفر في وقت واحد؛ فعزم الشيخ على السفر في الجفن الذي نهاه عنه أبو العباس الطنجي، وكان الشيخ يقول له دعنا من[3] يعني الكرامات فإنها عند العارفين خطر عظيم، ورجال الله أنفوا منها لاشتراكها مع المستدرج الممكور[4]، لأنهم يخشون أن تكون لهم جزاء على الأعمال فينتفي الأجر في الدار الآخرة. ولما كان أولياء الله تعالى مطلعين على ما قدّر الله عليهم؛ فهم على يقين من ذلك يأتونه، ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[5]، ﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾[6].

فامتحن الشيخ بالأسر هو وأصحابه، واستقروا بمسينة[7] من جزيرة صقلية[8]، وكان الشيخ أبو محمد عبد الله النابلي[9] ....

---

(1) الإسكندرية: مدينة كبيرة في شمال مصر بناها الإسكندر المقدوني 331 ق.م. وكان يسميها المسلمون في العصور الوسطى، باب المغرب بحكم ما توثق من صلاتها بالمغرب وأهله الذين اتخذوها مستقراً وسكناً، وهي من كبرى المدن المصرية اليوم.

(2) المغرب الأدنى «تونس».

(3) كلمة غير واضحة في المخطوط ربما قرئت جلاجلك.

(4) في النسخة (ب) المحظور.

(5) سورة الأحزاب، الآية: 38.

(6) سورة الإسراء، الآية: 58.

(7) مدينة في شمال جزيرة صقلية ذكرها ابن جبير وحلاّها بقوله: «مسينة رأس جزيرة صقلية، وهي كثيرة المدن والعمائر والضياع ومرساها أعجب مراسي البلاد البحرية» وأثنى على أسواقها وأرزاقها.

(8) جزيرة تقع في جنوب إيطاليا، فتحها المسلمون في القرن بقيادة زيادة الله بن الأغلب عام (212/827) ثم عمرها المسلمون وأنشأوا فيها حضارة عظيمة.

(9) قال أبو عبد الله محمد المعروف بالزركشي في تاريخ الدولتين ص52 و«أبونا عبد الله، واسمه عبد الله بن علي الهواري النابلي وكان اسمه مخلوفاً، وسيدي عبد العزيز المهدوي هو الذي سماه بالأب، فالناس يدعونه بذلك إلى اليوم».

خادم الزنبيل[1]. وكان الفقراء يجلسون في الزاوية....[2].

الشيخ أبو محمد أنهم جاءوا؛ يقول لهم؛ الآن يجيء أبوكم أبو عبد الله؛ فلذلك يقال له: أبونا عبد الله، وقد كتب الشيخ من مسّينة إلى شيخ وقته الإمام الأوحد أبي الحسن الصباغ[3] بمدينة قنا[4] من نظر الديار المصرية قصيدة يخبره فيها بالحال، وينفي عن نفسه ما تتوهمه النفوس من المحال؛ ولسانه بالثناء على مولاه ينطق، وجنانه من رياض العرفان يعبق، وهي[5]:

كتاب أخٍ بادي الصبابة والولع ... ودود إذا ضاق الوداد أو اتسع
رضى على حال التغضب والرضى ... من الخل أسعد بالمراد أو امتنع
طبيب لأدواء القلوب ورينها[6] ... عليم بما ضر النفوس وما يقع
إلى سادتي أهل المودة والصفا ... أولى الزهد والتقوى ذوي[7]
إلى الصفوة الأعلين والأخوة الألى ... مكانهم في البر والخير متسع
من ابن أبي بكر صفيهم الذي ... تحمّل أعباء الصداقة فاضطلع
سلام عليكم والسلام مبرّة ... من السلف الأرضي إلى الخلف الورع
وأن بعد حمد الله جلّ جلاله ... على كل ما أعطاه أو كل ما منع

= وهو عبد الله بن علي الهواري، قال برنشفيك 2: 343 «أصيل نابل المعروف باسم «أبونا عبد الله» ـ والمتوفى سنة (659/ 1261).

(1) الزنبيل: في أصل اللغة معناه الجراب أو الوعاء أو القفه جمعه زنابيل.

(2) كلمة غير واضحة في المخطوط، ربما قرئت «إذا رأى» وهي ساقطة أيضاً في (ب).

(3) هو أبو الحسن بن حميد المعروف بابن الصباغ القوصي المتوفى عام (613/ 1216) يعد من أكبر شيوخ التصوف في عصره وقد أثنى عليه تلميذه ابن عبيديس النفزي في كتابه نزهة الألباب في صفات الأحباب: 97.

(4) مدينة في البلاد المصرية، جاء في وصفها في الروض المعطار «قنا [أيضاً] مدينة بصعيد مصر» وقال ياقوت الحموي في تحليتها «مدينة لطيفة بالصعيد بينها وبين قوص يوم واحد، وربما كتب بعضهم اقناه».

(5) من البحر الطويل.

(6) الرين: الدنس، وما غطى على القلب وركبه من القسوة للذنب بعد الذنب.

(7) كلمة غير موجودة في أصل المخطوط ولا في (ب).

وثم الصلاة المستدامة للذي بأمر الإله في الخليقة قد صدع
محمد المبعوث من سر هاشم فلالاؤه[1] بين البرية قد سطع
فإن كتابي ذا إليكم كتبته ببلدة مسينا وقلبي لكم تبع
أبي الحسن الصباغ ثمة[2] تلوه أبو حسن ابن الحلاوي[3] ومن تبع
وما قدر الرحمن كان وحسبنا رضى يقتضي رضوانه بالذي صنع
ولست أبالي والتوكل شيمتي بما حلَّ من أمر الإله وما وقع
وإنا نزلنا بالأمان وإنما براة من الرق الذي عنده السمع
فمزق تمزيق الأديم وأوهنت قوى ذلك العقد المشدد فانقطع
وصرنا نلم الشعث أودى به التنائي[4] نرقع من خرق الحوادث ما اتسع
فيسر ذاك الله حيث أتى به وكان صنيع الله أعجب ما سمع
وجمّع بالإحسان مفترق المنى وفرق من شمل المكاره ما جُمع
وألبسنا العز الذي كلُّ مسرف قد أذعن مذعوراً إليه وقد نزع[5]
وأصبح ليث الغاب بعد صياله تضاءل حتى عاد أهون من وضع
فما رجع التسآل إلا توهماً سوى طمع منهم يؤدي إلى طمع
وقد يسَّر الرحمن أمر جميعنا ولم من الشمل المشتت ما انصدع[6]
ونحن بحمد الله نأمل أرضنا وكل له قلب إلى الأهل قد نزع
فطيبوا نفوساً بالمودة أثمرت وما يحصد الإنسان إلا الذي زرع
سلام عليكم ما أجاب مطوق مطوقة فوق الغصون وما سجع

(1) الألاء: البريق واللمعان.
(2) في (ب) ثم.
(3) في (ب) أبو الحسن ابن الحلاوي.
(4) في (ب) التنائي وهو الأصوب.
(5) في (ب) وقع نزع.
(6) القافية ساقطة في (ب).

وقد جرت بينه وبين شيخه الشيخ الإمام العارف القطب الكبير الشهير المسلك المربي أبي مدين ـ رضي الله عنهما ـ مكاتبات ومراسلات فمن ذلك رسالته التي وجه بها إليه وهي: «الحمد لله الذي تعرّف لخاصته فنعمهم بما أشهدهم من ذلك الجمال، وتعرّف لعامتهم بنعوته ففهمهم بالصفات والأسماء، وأذاقهم كأس تطلّب الوصال فغرقوا بها في بحار تكر بهم أمواجها لساحل الكمال وأشهد العامة الأفعال فتعرّف لهم منها، وخاطبهم مما أشهدهم، وتعرف لهم منه من حق الأفعال فقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾[1]، ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾[2]، وقال: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ﴾[3]. فعمهوا[4] في بيداء ذات شعاب وأوحال[5]، بين ماء وتراب وطين وصلصال، ثم سأل الكلّ عن نفسه ونفسه[6]؛ فاستجاب الكل بكل لسان وكل حال ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۩﴾[7]، ثم نكّر نفسه بنفسه، ووحّد نفسه بنفسه لفعل نفسه، وتكبر وتعالى عن ذلك كله بقوله: ﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾[8]، وقوله سبحانه: ﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾[9]، نحمده حمداً يستجيب فيأوي إلى حمده، ونثني عليه ثناءً يقر ويأوي إلى وكره وأصله، فينبئ كما أنبأ خيرته من خلقه بعد أن عاذ من أنبائه برضاه من سخطه، وبمعافاته من عقوبته، وبه منه أثنى على نفسه، والصلاة على نور البصائر والأبصار وسر السرائر والأسرار،

---

(1) سورة الغاشية، الآية: 17.
(2) سورة الأنعام، الآية: 2.
(3) سورة الرحمن، الآية: 14.
(4) فعمهوا: من عمه عمهاً وعمهاناً وعموهة: تحيّر وتردد في الطريق لم يدر أين يذهب، وفي الأمر: لم يدر وجه الصواب فيه.
(5) الكلمة ساقطة في النسختين.
(6) في (ب) بنفسه.
(7) سورة الرعد، الآية: 15.
(8) سورة طه، الآية: 14.
(9) سورة الرعد، الآية: 9.

والشاهد والحافظ على الشهود والحفظة الكرام الأبرار، وعلى آله وأصحابه خير آل، وأصحاب الأنصار[1]:

سلام على شمس الأنام وبدره[2] ومجلي غياهيب الدياجي بفجره
وغيث أفاء الله منه على الورى هواطل يستحيي الموات بقطره
ورحمة خلق الله من كل وجهة وكعبته الغراء معدن سره[3]
شعيب ولي الله سر عباده أبو مدين معنى الأنام وفخره
فيا جنة المأوى ويا علم الهدى ويا ناشراً علم الإله بأمره
حضرت ولم تحضر وغبت ولم تغب وما كنت في كل بجانب طوره
فيمناك يمناه وسرك سره وبرك مقرون بخالص برّه
ونورك نور الله يهدى له وهل إلى أحد في الناس إطفاء نوره
عليك صلاة الله ما دام دهره وما غرّد القمري[4] وحنّ لوكره

وكتب أيضاً ـ رضي الله عنه ـ «الحمد لله الذي ظهر بما به اختفى، وحجب وعذّب وتكرّم وعفا، وقرّب واجتبى، وأزلف وحبا[5]، وعدل فيمن عنه عدل، ووفى لمن وفى، والصلاة على سيدنا محمد عبده ونبيه ورسوله المصطفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، وهو حسبنا ونعم الوكيل[6]:

أراك أراك لا تبغي[7] أراك وكيف ومهجتي أبداً تراكا

---

(1) من البحر الطويل.
(2) في (ب) وبرده.
(3) القافية ساقطة في (ب).
(4) القمري: ضرب من الحمام مطوق، حسن الصوت، والأنثى قمرية. واللفظة ساقطة في (ب).
(5) حباه: اختصه.
(6) من البحر الوافر. المقطوف العروض والضرب.
(7) في (ب) لا أبقي.

ويطلبك العباد عَمىً وجهلاً ولستُ بطالب إذ لا سواكا
وما لي والطلاب وأنت سمعي ولبي والفؤاد وأنت ذاكا[1]
أخذت[2] القلب لم تأخذ سواه فقدت به الجميع إلى سناكا
وأمطرتَ العقول وما حوته وجلّى الله غيثاً من سماكا
فسارت في العوالم يا شعيب برحمة من به ظفرت يداكا
أرى العلياءَ من طرب وشوق تغار لبقعة لبت نداكا
ويرغبك السماك[3] وكل شيء تمنى أن يكون له السماكا
سموتَ ولست عن شيء بغيب ولم يك من شمائلك اختفاكا
ولكنَّ القلوب إذا تصدّت تصد عن النهوض إلى علاكا
إذا عظم الضياء يعود ضداً تصاريف القضا حكمت بذاكا
ورحمته كما ولاك طولاً كرامته فخصك واصطفاكا

فجاوبه قطب المغرب، بكلام مُعجب مُغرب: «الحمد لله الذي ذبح قلوب المجتهدين بالجدو وذهَّبها بذهب الذهاب[4] عن شكواه، وأقبل هدهود[5] التهديد، يخبر في ترجع التغريد عن نصيحته بسرعة الذهاب، وما راجاه وجاوبه يمام الأنين على الآلات؛ فتجدد للمستهام بلواه، وظهرت فواخت[6] الإخفات، فخاطبت من بالغفلة مات، إن كنت قد أفقت من سنة السَّبات فقل آه ثم آه، وأندب[7] مساويك بلسان الاعتذار، وقل واحسرتي على

(1) يبدو من ذلك القول بالحلول.
(2) ساقطة في (ب).
(3) السماكان نجمان في السماء نيران، أحدهما في الشمال وهو السماك الرامح، والآخر في الجنوب يسمى السماك الأعزل.
(4) اللفظة ساقطة في (ب).
(5) الهدهدة: صوت الهدهد، وصوت هدير الحمام (ج) هداهد.
(6) الفاختة: ضرب من الحمام المطوق (ج) فواخت.
(7) في (ب) ما ندب.

ما فرطت في جنب الله، وساعدته[1] ورقاء الورق بالنواح على الورق[2] فاسمع شجوها الفاخت فأنكاه، فاستعبر عن تحقيق[3] دعواه عيناه عيناه، ويداه يداه، ويمناه يمناه، فإذا اعترضه معترض في قلقه وفرقه وذهوله وبلواه، أجابه لسان البيان عن شرح الحال؛ أما بعد فإنه من اتقى الله سبحانه وقاه، ومن توكل عليه حقَّ التوكل كفاه، ومن استغنى به نجّاه، ومن شكر أولاه، ومن أقرضه جزاه، فاجعل التقوى عماد قلبك، وجلاء بصرك، فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا خشية له، ولا جديد لمن لا خَلِقَ له، وقد أصبحت أميراً تقول فيُسمع منك، وتأمر فينفذ أمرك، فيا لها نعمة واحترز من النعمة أشد من احترازك من المصيبة، فالله تعالى يسددك ولا يبعدك، ويحفظك ولا يوحشك، إنه بذلك جدير، وعلى ما يشاء قدير، وهو اللطيف الخبير؛ فإن قطعت كتابك عني فالله سبحانه لا يقطع شخصك مني، لا خيالاً ولا نوماً، ولقد ضاق صدري حين أتت المراكب ولم نرَ لك فيها كتاباً، فرأيتك في النوم، وأنت تقول لي إن كنت تريد بسلامك عليَّ الدنيا فلا تسلم عليَّ، ولا نسلم عليك، وإن كنت تريد الآخرة فسلامك يبلغني وإن لم تكاتبني وسلامي يبلغك وإن لم أكاتبك؛ فزال عن قلبي كلما كنت أجده من القبض[4]، وما توحشتك إلا أني رأيتك على هيئة تزيدني نشاطاً، فالله سبحانه لا يقطعك عني يقظة ولا نوماً والسلام».

فجاوبه الحبر النفيس، بما يليق به من التنزيه والتقديس، «الحمد لله الذي اضمحلت الذوات لتجلي ذاته، وتلاشت الصفات لظهور صفاته، وعدمت الأوهام في توهم الإحاطة بموجوداته، كما انقلبت العلوم جهلاً بإزاء علومه ومعلوماته، وغرقت العقول في غوصها العقل ما عقل في بحار آياته، وتاهت الأسرار في بيداء أسراره وكلماته، وهامت في مهامه حكمه وعجائبه المحكمة

---

(1) في (ب) وسادته.
(2) ساقطة في (ب).
(3) ساقطة أيضاً في (ب).
(4) المنقبض: الضيق الصدر.

المودعة في عجائب مصنوعاته[1]؛ فانقلبت خاسئة حاسرة صاغرة مستغشية[2] به داهشة لعظيم ما بدا لها[3] من عظيم مهواته؛ فاستلبها عنها وكثرها في استلابها فطافت ملبية، وقبلت الحجر من حجره وكبرت ذاته بذاته ومصنوعاته بصنعه وأسمائه وصفاته بأسمائه وصفاته، نحمده حمداً أصله منه، وفرعه إليه، وصلى الله على محمد خاتمه الجامع بين وسطه وطرفيه، وعلى آله وأصحابه الناظرين إليه، والمستدلين به عليه، أما بعد حمد الله كما تقدْم، والصلاة على سيدنا محمد نبيه ورسوله العلم، وعلى آله وأصحابه وجميع أمته صفوة باء النبيين والشهداء على الأمم، وسلم وشرف وعظم وكرم؛ فقد تقدم من الرمز في المتقدم ما تقدم فليفهم من يفهم، وقد وصل كتبكم ـ وصل الله به قلوبكم، ووذّى إليه شارد همومكم، ورأيت منه ما أودعتم[4] فيه من تحفكم من درر نظمكم ونظامكم، وكان أوله ومبدؤه بعد اسم الله والصلاة على رسوله، الحمد لله الذي ذبح قلوب المجتهدين بالجد، وذهبها بذهب الذهاب على كل شيء سواه، إلى قوله: وأباح[5] لبسة لمن أذهب لَبْسَه فاهتدت إلى تناوله يمناه إلى قولك؛ فإذا عليه مكتوب إن كنت تفكر فيمن أبدعه وفطره وأنشأه فهو المتعالي عن الأكوان والألوان والأشكال، والأمثال والجواهر والأعراض والأشباه[6]، وهو الذي في السماء إلّه وفي الأرض إلّه، إلى غير ذلك من قولك: عيناه عيناه، ويداه يداه، ويمناه يمناه، إلى ما ذكرت من الجملة الرضية في الوصية المرضية، فاعلم ذبح الله قلبك به ولاشاه، وعن تذبيحه ونسجه وأعراه ما أعراه من لبسه ولَبْسه، وأعماه بل أبقاه حتى تكون غنياً.

واعلم أنه لا يكون هناك ولا لمن أتحف بذلك، تفكر ولا تدبر، ولا ذكر

---

(1) في (ب) مصنوعات.

(2) في (ب) مستغيثة.

(3) ساقطة في (ب).

(4) في (ب) ما أودتم فيه.

(5) في (ب) وآبا لبسه ولا يستقيم الكلام بذلك.

(6) في (ب) والأشبه.

ولا تذكر، ولا سماء ولا أرض ولا كل ولا بعض، فضلاً عن الأكوان والألوان والأشكال والأمثال والجواهر والأعراض والأشباه، وأما النعمة من طريق الإمارة على ما أخطأه[1] المعنى المتمكن من الإشارة لكن ليس فيها دون الله نعمة، ولا لأمثل[2] حضرته نهمة ولا همة ولا مهمة[3]، والله المسؤول أن لا يشغلكم وإيانا بالخلق إلا بالحق، لا ربَّ غيره ولا معبود سواه، وأما ما ذكرت من أمر[4] النقلة والاستشارة[5] في الرحلة فالصواب ـ أكرمكم الله في توقيع الجواب ـ أن يكون بعد تمييز الصواب، والوجه المصواب، ولم نتحقق حالة البلاد من طريق النقل؛ فتوزن بهذه ويمكن الترجيح لأن كلَّ ناقل إنما يعرب بمقاله، وشاهد حاله بما شاهد من حاله، وحاله يرجع إلى همته وحاله؛ فلم نجد من ذا الوجه طريقاً للترجيح، ولا ما يؤذن بالإمساك والتدريج[6]، ولم يكن عندي في حين الوقت أيضاً من غير طريق النقل في المسألة ما يعوّل[7] عليه، لكن استخر[8] الله فالله يدلك على الوجه الأرجح، والأمر الأصلح، والطريق الأوضح الأنجح، وأما ما ذكرت من الرؤيا فلقد وصلني نحوها من طريقها، وإنما أردت[9] الحق، فالله يريد[10] ما وراءه، ولا يوفقك مع كل شيء سواه، وإنما السلام للغائب لا لمن يشاهد إياك، وتشاهد إياه، ولو كان الأول هو الحق، وغالب أمر الخلق، وفي الجمع بينهما الجمع، وفي الفرق بينهما الفرق.

---

(1) ساقطة في (ب).
(2) في (ب) ولا لأهل.
(3) في (ب) ولا همة.
(4) ساقطة في (ب).
(5) في (ب) والإشارة.
(6) في (ب) أو التسريح.
(7) ساقطة في (ب).
(8) كتب في المخطوطين: استخير.
(9) ساقطة في (ب).
(10) في (ب) يريك.

2 ـ أبو مدين شعيب الأندلسي(*)

قلت أما الشيخ أبو مدين ـ رضي الله عنه ـ فهو إمام الكل، وغمام المحل، بحرهم المحيط العذب، وزهرهم الفائح بل مندلهم الرطب، انتهت إليه الكرامات، وظهرت عليه العلامات، فبحق إن كان قطب الدائرة، ورجل الأولى والآخرة، فلنذكر من كلامه نبذاً للتبرك به، فمن ذلك أنه سئل؛ هل قرأت قط؟ فقال: نعم قرأت إلى سورة الملك[1] فوجدتها سورة منتهاي فوقفت عندها، ولو تجلى لي بقدر أنملة لاحترقت، فسورة كل صورة سدرة منتهاها، ولولا أن في العقول نقصاً لأخبرتكم بما حصل لي من هذه السدرة التي هي منتهاي.

ثم تكلم في الوحدة فغشيته حالٌ شديدة خيف عليه منها تفرق الاتصال،

(*) الصوفي الشهير الذي كان له تأثيره الواسع على حركة التصوف في القرنين السادس والسابع، وهو شعيب بن الحسن، الأندلسي التلمساني، أصله من ناحية أشبيلية بالأندلس، ثم أقام بفاس، وسكن بجاية حيث ظهر مذهبه الصوفي، وكثر أتباعه ومريدوه، وقصده المتصوفة من المغربين الأدنى والأقصى ومن الأندلس، فلما خشيهُ السلطان يعقوب المنصور انتقل إلى المغرب الأوسط حيث توفي بتلمسان بعد أن قارب الثمانين أو تجاوزها، وترك آثاراً انتفع بها من جاء بعده ترجمته في: البستان: 115، تعريف الخلف 2: توشيح الديباج: 86، جذوة الاقتباس: نيل الابتهاج: 193، شذرات الذهب 4: 203، عنوان الدراية، 22، جامع كرامات الأولياء، التشوف إلى رجال التصوف: 319.

(1) ساقطة في (ب).

ولما سُريَ عنه قال: بي قل وعليّ ذُل، فأنا الكلُّ، إن نظرت إلى نفسي لم أرَ إلا الله، وإن نظرت إلى الله لم أرَ إلا نفسي. وقال: وقد رأى رؤيا عظيمة فمنها أنه قال: قال لي الحق في منامي يا شعيب قلت: يا رب نعم قال: لكل ذات مرآة، قلت نعم. قال فمن مرآتي أنا إذن، قلت أنا يا رب تعاليت، قال صدقت يا شعيب. وكانت له جماعة من الجن ببري[1] الأندلس والعدوة يصرفهم في جميع الأمور، وكانوا ينزلون برسم خدمته ويلبسون صور الآدميين بحيث يراهم، ويستخدمهم، وكان يسلطهم على الظلمة بالبوادي[2] فلا يزال الضعفاء ينتصفون بهم ببركته. وكان لهم منهم طيّارون، وكان يعلّمهم قصار المُفصّل يصلون بها وتسمع تلاوتهم، وهذه حديقة مغان، وحقيقة معان، انتجعاها فأمرع[3] عودة النضر، وطريقة بيان سلكاها فأينع بعد أن كان صلداً بها الصخر، قلت رأيت له كلاماً على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا﴾[4]، يقصر عن كتبه النضار، وتحار في معانيه القلوب والأبصار، كلام من أدرك وحقق ووافق المفصل لما دقّ، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾[5]، فقال ـ رضي الله عنه ـ أعلم أن الأنبياء عليهم السلام منزهون عن الفواحش، معصومون من الكبائر، وعندنا عالمان عالم الملك والإرادة، وهو المعبّر عنه بالعالم السفلي، والعالم الملكوتي هو الذي لا يقتضي الترتيب ولا الزمان ولا المكان، وإنما هو أمر رباني ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[6]، إذ ليس في وجوده تقديم ولا تأخير ولا زيادة ولا نقصان، فهذا عبارة عن العالم الملكوتي المستمر على حقيقته، وهو الأزلي الذي لا كسب[7] فيه وإنما الكسب في عالم الملك والشهادة المضافة إليه القدرة المصرفة المحكمة، وفيه الترتيب والكسب

---

(1) في (ب) ببر الأندلس.
(2) في (ب) بالوادي.
(3) في (ب) فانتزع.
(4) سورة يوسف، الآية: 24.
(5) سورة يوسف، الآية: 24.
(6) سورة النحل، الآية: 40.
(7) في (ب) لا للكسب فيه.

والزمان والمكان والأكوان والأحكام فعبّر عما ظهر في عالم العلم والإرادة المسمى بالعالم الملكوتي بالأزل، وعبّر عما ظهر في اختراع القدرة المصرفة بالحكمة المسمى بعالم الملك والشهادة بالأبد، إذ في تباينهما ظهر الترتيب؛ وشرعت الشرائع، وخرجت لا إله إلا الله محمد رسول الله، على هذه النسبة من معنى العالمين اللذين هما عالم الملك والشهادة، وعالم الملكوت والأزل والأبد. فلا إله إلا الله أزلية لفراغ الخلق منها وهي من صفة عالم الملكوت. ومحمد رسول الله أبدية، وهي من صفة عالم الملك، فما يظهر من الكسب يُعزى إلى الأزل، وما نزل مع[1] ترتيب الأحكام بالكسب يُعزى إلى الأبد، ولهذا المعنى لما شاهد الخضر عليه السلام الضائع[2] في دارة العلم والإرادة التي هي ملكوتية، وعلم أنه سيكون منه ما قص الله علينا فقتله؛ فأنكر عليه موسى عليه السلام لأنه حكم على الغلام بحكم عالم الملك والشهادة، فقال له: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾[3]؛ أي لا تقتله حتى يبلغ الزمن الذي يخرج فيه الفعل ويفعله، وحينئذ تعاقبه عليه بالقتل؛ فهذا حكم الشرائع المسطورة، والأخبار المأثورة، فقال له: ﴿ألم أقل لك أنك لن تستطيع معي صبرا﴾[4]، **﴿قال له موسى إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني﴾**[5]، وليس هذا من موسى إنكار علم، وإنما هو إنكار اختلاف تباين الأحكام، إذ أحكام عالم الملكوت تباين أحكام عالم الملك والشهادة من جهة الشرط والمشروط، لأن حكم عالم الملكوت لا يقام حتى يبلغ الوقت، ويظهر مشروطه، فمن هنا كان إنكاره، وإنما أسّست لك هذا لأعرفك من أين كانت همة يوسف عليه السلام، وهمة زليخا[6]، وأن الأنبياء عليهم السلام إنما نزلوا

(1) في (ب) وما نزل بعد.
(2) في (ب) الغلام في دائرة العلم.
(3) سورة الكهف، الآية: 74.
(4) سورة الكهف، الآية: 75.
(5) سورة الكهف، الآية: 76.
(6) من الأعلام الواردة في القرآن.

إلى الخلق من دائرة العلم والإرادة التي هي من عالم الملكوت إلى دائرة الملك والشهادة، فهمة يوسف عليه السلام بزليخا إنما كانت من عالم الملكوت؛ لأنه عاين في تلك الدائرة ملكاً له، وبقي الوقت مرتبطاً بعالم الملك والشهادة، الذي لم يبلغ وقته؛ فظهر له جبريل ـ عليه السلام ـ الذي هو من ظاهر الملكوت في صورة والده الذي هو من عالم الملك عاضاً على إصبعه برهاناً ليقع التناسب بين العوالم بعضها ببعض؛ فسجن في دائرة العلم والإرادة حتى يبلغ الوقت في عالم دائرة الملك والشهادة، ولما وقع في السجن بالأمر الإلهي في دائرة الملكوت، نسي يوسف السجن هنا في دائرة الملك والشهادة على مقتضى الترتيب الحكمي، والأمر الشرعي، وليس من شأن الأنبياء التعرض للبلاء، وإنما شأنهم طلب العافية والرضى، وهمة زليخا إنما كان باطنها محبة أزلية، وظاهرها شهوانية، فانحجبت عن المحبة الأزلية بالشهوة الطبيعية، ولذلك قالت: ﴿مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ﴾[1]، فكلامها ظاهر وباطن، فظاهره خطاب للعزيز لأنها من أهله، وأن يوسف ـ عليه السلام ـ أراد بها السوء، وباطنه في الحقيقة خطاب للحق وكأنها قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن؛ لأن يوسف ـ عليه السلام ـ في الحقيقة من أهل الله، وهي التي أرادت به السوء لغلبة محبة الطبيعة على المحبة الأزلية؛ فسجن العزيز يوسف، وسجن الحق زليخا في سجن العمى، إذ حقيقة السجن عدم التصرف في الأشياء، إلا أنه لما كان الأصل صحيحاً في العالم الملكوتي خرج يوسف من سجن الحبس وخرجت زليخا من سجن العمى، وعادت إلى صورتها التي رآها عليها، ووقع الاتفاق بين دائرة العلم والإرادة، ودائرة الملك والشهادة، ودخل بها وطلبها في نفسها فأبت عليه، وفرّت بين يديه حتى جذبها وقد القميص عليها من دُبُر، ونودي يا يوسف جذبة بجذبة وهرب بهرب، وتمزيق بتمزيق، وكان سبب نفورها منه أنها رأت برهان ربها، وهو رجوعها إلى صورتها الأولى، البصر بعد العمى والغنى بعد الفقر؛ فهوت إلى محبة الله ـ عزَّ

---

(1) سورة يوسف، الآية: 25.

وجلّ ـ عن غيره، ولم تزل كذلك حتى نودي يا يوسف أخبرها أن رضا الله في رضاك، فعند ذلك سكنت وطابت نفسها، وتزوجت وولدت اثني عشر ولداً كلهم أنبياء مرسلون، ومن هذا المعنى يفهم **«من همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، ومن همّ بسيئة»**. الحديث[1].

فانظر نفاسة ذا الحبر النفيس، والإمام الرئيس وما صدر من معادنه، وما فتح الله له من خزائنه فهو جدير بأن يستحق السبق، ويسترق الخلق، توفي ـ رحمه الله ـ عام أحد وعشرين وستمائة، وضريحه المبارك محط الرحال، ووسيلة الرجال بمرسي ابن عبدون[2]، وتلميذه الشيخ الكبير العارف الواصل المحقق أبو محمد عبد الله النابلي بها أيضاً قبره، وعنه يسند فخره، وقد كان تلميذ تلميذه، شيخ زمانه، وإمام أخدانه، الصامت المتكلم، قطب الوقت، ورب البخت، أبو علي حسن الزبيدي[3]، ممن حذا ذلك الحذو، وكان السكر عنده الصحو، وبقية الخمسة الذين ذكرهم الشيخ الأديب الأحفي[4] أبو عبد الله محمد بن أحمد التجاني[5] في كلمته التي رثى فيها الشيخ أبا علي حسناً الزبيدي ـ رحمهم الله أجمعين ـ فمن ذلك قوله فيها[6]:

أفدي رجالاً طلّقوا الدنيا وهم   معها طلاق تباين وبتات

---

(1) صحيح البخاري، رقاق: 31 صحيح مسلم إيمان: 203 ـ 206.

(2) يعرف أيضاً بمرسي جراح، وورد في تاريخ الدولتين: 41، 74: أن «مرسي سيدي جرّاح [كان] يعرف بمرسي ابن عبدون، واشتهر بعده بسيدي جراح المذكور [جراح بن خميس] لملازمته الاحتراس به»، قال الأستاذ محمد محفوظ «جراح بن خميس دفين المرسي من ضواحي تونس» 4: 403.

(3) أحد المتصوفة والزهاد في العهد الحفصي، كان يحظى مع أخيه الفقيه حسين الزبيدي بمكانة رفيعة ليس في أوساط المحكومين فحسب بل عند الحكّام والرؤساء أيضاً، وقد تمتعت زاويته في مدينة تونس بحظوة خاصة؛ بحيث لا يضام من يلتجئ إليها.
راجع في ذلك الفارسية: 373، تاريخ أفريقيا 2: 354.

(4) في (ب) الأصفي.

(5) ترجمته رقم (14).

(6) من البحر الكامل.

كانوا هم الأوتاد في أقطارنا ... وكنوزنا ومعادن البركات

قاموا بدين الله خير قيامة ... وتجردوا للزهد والطاعات

فنهارهم ودجاهم متقسم ... للذكر والأفكار والصلوات

هم خمسة كأصابع اليمنى فقل ... في عدِّهم بتحقق وثبات

عبد العزيز أخو الجلالة والسنا ... والسبق في الطاعات للغايات

يتلوه عبد الله ناهج سبله ... لله من نهج ومن طرقات

ومحمد ذو التوب ثم شقيقه ... عمرو وكلهم أجل ثقات

وأتى الزبيدي الرضي من بعدهم ... حسن أخو الإحسان والحسنات

ما شئت من تقوى وفرط تواضع ... ومعارف وعوارف أشتات

لم أنسَ إذ صاروا به والأرض من ... طرب به مهتزة الجنبات

لا بقعة[1] ألا تودُّ لوانها ... جدث وليس الحظ غير هبات

وقد كنت كتبت هذه القصيدة في ريعان الشباب وكنت أستحضرها. . . [2] عنّي؛ فكتبت منها ما أذكر وأنا الله أستغفر، ودخلت بها يوماً على ناظمها أبي عبد الله، فنظرها؛ فقلت له: أجزنيها.

فكتب لي ارتجالاً[3]:

لأبي سلامة لا عدته سلامة ... مني أتم إجازة إن شاء

ما كنت أستثني عليه رواية ... فيها ولا جمعاً ولا إنشاء

قلت، وقد استطردنا إلى غير الذي أردناه، وأتينا على ما كنا قصدناه[4]، لكن الحديث شجون، والمرء بكلامه مفتون؛ فلنرجع إلى ما يليق بذكر شيخ

---

(1) كلمة غير مقروءة في أصل المخطوط (أ) كلمة غير مقروءة، والإضافة من (ب) لا بقعة.

(2) كلمة غير مقروءة أيضاً، ربما استقام تقديرها بـ«فغابت» كما في النسخة (ب).

(3) من البحر الكامل التام.

(4) في (ب) قصناه الحديث وفي ذلك اضطراب.

زمانه، وإمام أقرانه، وكراماته أكثر من أن تحصى، ولما كان الإمام المحقق المدرك أبو علي النفطي[1] تلوه في رياض المعرفة والكشف، لا غرو أن نطرّز بنبذ من كلامه فنحلي بها أجياد الوصف، وندرج من كلامه، ما نفض به للعرفان عن مسك ختامه، وأدرج من كلام معاصره الشيخ أبي يعقوب الطُري[2]، واطلع بأفق الأمل للمجتلي كوكبه الدري، وأحلى عروس الأمل على كرسي القبول، وأنيل القاصد[3] من روضتيهما أسنى الأمل وبغية السول، وابتدأ بها ـ على بركة الله ـ فما كتب به الشيخ أبو يعقوب الطري له ـ رحمه الله ـ الحكمة صناعة نظرية يستفيد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجوه بأسره[4] في نفسه، وما عليه الواجب فيما ينبغي أن يكتسبه بعلمه، وتشرف بذلك نفسه ويستكمل، ويصير عالماً معقولاً مضاهياً للعالم الموجود، ويستعد للسعادة القصوى في الآخرة وذلك بحسب الطاقة الإنسانية، فإذا علمت هذا. . .[5] علماً تصورياً نطقت به، والنطق يقع اسمه على ثلاث مراتب، لطيف للطيف، ولطيف وكثيف؛ فلطيفه للطيفه يقع على القوة المذكورة في النفس، وهي التي يعقل بها الإنسان المعقولات وبها تحاز العلوم والصناعات، والتمييز بين الحسن والقبيح من الأفعال، الثانية وهي المعقولات الحاصلة في نفس الإنسان بالفهم، وهي التي استنبطها من نفسه لنفسه، واستخرج منها لنفسه معنى ما، ويسمى النطق الداخل، الثالثة: العبارة مع الغير عما يحصل له في الضمير، ينهى لغيره ما حصل له من نطقه الداخل مع نفسه، ويسمونه النطق الخارج.

والأولى مهاد وتوطئة للثانية، والثانية مهاد وتوطئة للثالثة، فافهم من هذا

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) نسبة إلى طرة إحدى قاعدتي بلاد نفزاوة كما ذكر التجاني في الرحلة: 142، 143 قال: «ومن المنتسبين إلى طرة هذه الشيخ أبو يعقوب الطري صاحب الرسالة»: ثم أورد أولها، ومخاطبة الشيخ أبي علي النفطي له في شأنها.

(3) في (ب) المقاصد.

(4) لفظة بأسره ساقطة في رحلة التجاني، راجع ص143.

(5) كلمة غير مقروءة؛ وغير موجودة في (ب).

المهاد والتوطئة من نفسك لنفسك، ثم مع غيرك ترتيب قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾[1]، فتحقق فهم النطق من نفسك ومراتبه تعرف كلام الحق، اعرف نفسك تعرف ربك، ومن هذه المراتب تفهم مراتب العقول وكيف مُهدت.

واعلم أن للعقل مراتب، وله أسماء بحسب تلك المراتب، فإن العبارات إنما اختلفت بحسب الاعتبارات الأولى وهو الذي استعد به الإنسان لقبول العلوم النظرية والصنائع الفكرية، وهو الذي حدّه الحارث بن أسد المحاسبي[2] ـ رضي الله عنه ـ فقال هو غريزة يتهيأ بها إدراك العلوم الفكرية، يقذفه الله في قلب من يشاء، كما أن للحياة غريزة يتهيأ بها الجسم للحركات الآلية، والإدراكات الحسية، كذلك العقل غريزة يتهيأ بها ضبط العلوم الفكرية، فكما فارق الحيوان الجماد بغريزة الروح، كذلك فارق الإنسان البهيمة بتلك الغريزة؛ وكمفارقة الحديدة الصقيلة لغير الصقيلة، ونسبة هذه الغريزة إلى المحل كنسبة الشمس إلى نور البصر، وبعض يرى من بعيد نصف يوم، وبعض من كذا، وبعض أعمش.

المرتبة الثانية: من العقل، هي العلوم التي يخرج بها إلى الوجوب لجواز الجائزات، واستحالة المستحيلات، وهي أول مراتب الإنسان للعقل فحدُّه من هذه المرتبة بعض العلوم الضرورية.

المرتبة الثالثة: هو علم مستفاد من هذه العلوم الضرورية بالقياس، وهو

---

(1) سورة الشورى، الآية: 51.

(2) هو الحارث بن أسد المحاسبي أبو عبد الله معدود في طبقة الصوفية الكبار، وجمع في ثقافته بين علم الظاهر والباطن، فقد كان عالماً بالأصول والفقه والمعاملات بالإضافة إلى وعظه وأساليبه التربوية والذوقية، ولد ونشأ في البصرة وتوفي ببغداد سنة (243/ 857) بعد أن ترك تآليف ورسائل مفيدة.

ترجمته في: حلية الأولياء 10: 73، صفة الصفوة 2: 207، وفيات الأعيان 1: 126 حلية الأولياء 10: 73.

علم التجارب فيصير علم التجارب ما تمهد منها، ويعطي برهاناً عقلياً.

المرتبة الرابعة: هو أن ينتهي هذا العقل بما مهد وبسط إلى حد يقمع الشهوات البهيمية والشهوات الحسية، وينال بها غب حد الحكمة التي قدمنا ذكرها في أول هذا المطلب؛ فتتجلى له صور الملائكة إذا تحلى بحليتها، وسلك طريقتها؛ فيعاين الحقائق الدائمة، ويعلم بدأته ونشأته وموضعه، فافهم لماذا خلق وصوِّر ونقل في أطواره طوراً بعد طور.

والمرتبة الأولى والثانية من العقل، كأنه مفطور[1] عليه فلا ينالهما أحد باكتساب والثالثة والرابعة مكتسبتان فافهم من النطق وحد النطق أن العلم المفطور عليه، والحس المعقول والمشهود ما يحتاج إلى تعليم، ولا يصل إليه برهان لتساوي الكل فيها، وإن أردت هذا من وجه الشرع فهمت قوله ـ عليه السلام ـ «أول ما خلق الله العقل وعرفت صقالته، وكيف انطبع فيه حقيقة ما في الذات من العلم، وعلمت أيضاً قوله ـ عليه السلام ـ لعلي[2]؛ «إذا تقرَّب الناس إلى الله بأعمال البر تقرَّب إليه بعقلك»، وقوله أيضاً: «يا عليُّ إزدد عقلاً تزدد من ربك قرباً». وللأوائل في هذا كلام طويل يرجع محصوله إلى العقل العلمي، وإلى العملي نص قوله ـ عليه السلام ـ فميزوا العقل وبالله التوفيق.

فجاوبه الإمام المتبحر الذائق[3] بما نصه: «من شيبان الأبلة الأمي، إلى الحبر أبي يعقوب: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[4]:

أما آن من صبح الرشاد تنفسٌ ... وحتى متى ليل الظلام معسعسُ

تراني أرى فجر الهدى متعرضاً ... فينزع للترحال صبٌّ معرس

(1) في (أ) مفطوراً عليه.

(2) الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ ولم يذكر في (ب).

(3) يقصد الشيخ أبا علي النفطي.

(4) سورة الحديد، الآية: 16. والأبيات من البحر الطويل.

ومـا حـذري إلا شُـغـوب مـغـيـرة .... [1] ومـا أشـمـط حـنـدس

أما بعد؛ فإن كتابك ورد مشتملاً على ماهية العقل وحقيقته، وقد ألفيته وافياً بمقصودك غير وافٍ بمقصودي، ولست ممن قنع عن الدر بالصدف، واقتنى علوماً لم يؤمر بها شرعاً؛ فاستغرقت فيها همته حتى زلت به قدم الغرور في مهواة من التلف، وكلما تذروه رياح الموت، فالهمة تقتضي تركه[2]:

وكـم مـن مـنـزل لـو مـت فـيـه لـكـنـت بـه نـكـالاً فـي الـعـشـيـرة

وقد استشهدت بالحديث في النظر في الأسباب والترقي منها إلى مسببها؛ فالأمر ـ كما ذكرت ـ لكن ليست أسباباً هي ظلمات ثلاث، بل هي أسباب نوريّة يستدل بها على منورها؛ فمعرفة النفس مقام محمود شريف[3] وهو مقام المقربين الذين يمزج من شرابهم الظرف[4] لأصحاب اليمين، فالمقرب من عرف نفسه وحدا لربه[5] وها هنا نظر لا يسلم[6] إلا لمن يسلم من رعونات البشرية، والحظوظ النفسانية، ويمكن الارتقاء[7] عنه إلى من عرف ربه موحداً لنفسه[8] وقد منَّ الله ـ سبحانه ـ بعلوم جليلة ربّانية محمدية، يعضدها الشرع، ويشهد لها العقل السليم، الجامع بين الأصل والفرع، كالجمع والافتراق، وخرق السبع الطباق، وحقيقة الزوجين[9]، وما اشتملت عليه أرحام الأنثيين، والترقي من الأين إلى حيث لا أين، وكيفية الأرواح والأشباح، وسكون الليل وانفلاق الصباح، واختلاف الألسن

---

(1) في البيت بالمخطوطين كلمتان ساقطتان موجودتان في رحلة التجاني: 144 هما: وما لاح اصباح.

(2) من البحر الوافر، والبيت غير مذكور في رحلة التجاني ضمن الرسالة.

(3) الكلمة ساقطة في الرحلة.

(4) في الرحلة «الصرف».

(5) في الرحلة «موحداً».

(6) في الرحلة «لا يسلم منه».

(7) في الرحلة «الارتفاع».

(8) في الرحلة «من عرف نفسه موحداً لربه».

(9) في الرحلة «وحقيقة البرزخين».

والأصوات، وعجائب الآيات[1]، إلى غير ذلك مما لم يُلفَ قط مسطوراً، وقد اضمحل الوجود، وبطل دعواه، وبرز المكنون على كل شيء كلاً بل هو الله، وأعرب بلسان فصيح غمزاً أو رمزاً[2]، ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾[3]:

لـو أن تـرانـا والأحـبـة حـولـنـا لـرأيـت غـزلانـا تـصـيـد سـبـاعـا

بل لـو تـرى تـلـك الـبـقـاع وحسـنـهـا لـظـلـلـت بـالـحـسـن الـبـديـع مـراعـا

شـوقـي[4] طـبـاع واصـطـبـاري كـلـفـة وأرى الـتـكـلـف لا يـزيـل طـبـاعـا

وكثيراً ما تشير إلى مطالعة كتب حرام[5] الوقوف عليها عقلاً وشرعاً، ولنا في رسول الله أسوة ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[6]، وكفى بهذا جمعاً؛ والحنيفية السمحة قد أشرق سراجها، وعم نورها[7]، وقهر سلطانها كل أشرس عاتي القلب، ليس له تحقيق أهل الأصول ولا تدقيق أهل الوصول[8]، فهم الهمج الرعاع الذين هم لكل ناعق أتباع، قد أوثق الغيُّ عقولهم فهم في ريبهم يترددون، أفتى معرفتي أرى الشر[9] من ذوي النباهة قريباً، وكأني بسيدي يقول قد شبَّ عمرو عن الطوق، وما أحوجه في حقيقة الشرع، وحالة التصوف إلى شيء من الذوق، واعلم أنه لا تظهر حالة حسنة إلا بملازمة أصل صحيح؛ فإن كنت ممن أراد الآخرة وسعى لها سعيها[10] وأناب إلى الله بقلب سليم[11] فها أنا

(1) في الرحلة «ومنطق كل شيء وعجائب الآيات».
(2) في الرحلة «وأعرب بلسان ناطق فصيح».
(3) سورة مريم، الآية: 98، والأبيات بعدها من البحر الكامل.
(4) في الرحلة «حبي».
(5) في الرحلة «حرم».
(6) سورة النساء، الآية: 80.
(7) في الرحلة «وغمر نورها».
(8) في الرحلة «ليس له تحقيق أهل الوصول، ولا تدقيق أهل الأصول».
(9) في (ب) الرشد.
(10) اقتباس من قوله تعالى ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ [الشورى: 20].
(11) اقتباس من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.

أقبل قدميك، متبع ما يوحى إليك؛ وإلا فأطوعني أطمار الهذيان ولا تقعقع لي بالشنان[1] ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ۞ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾[2]، إلى قوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[3].

ولما استبان الصبح أدرج ضوءه ... بأنواره أنوار ضوء الكواكب[4]

أشرق في الليل نور بهجته ... ولاح حتى طفيت مصباحي[5]

ما زلت أعرف أيامي وأنكرها ... حتى استبانت فلا بيض ولا سود[6]

وحال بي في بحار الكشف مختبطاً ... لا القرب قرب ولا الإبعاد تبعيد

«جعلنا الله وإياكم من الموحدين المتبعين، ولا جعلنا من الملحدين المبتدعين، آمين آمين، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين، وآله، وسلم وكرم»[7].

﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[8]، وبعد: فإنك ذكرت أن حقيقة العقل ما فهمتها من علم التشريح[9] فهذا هو الانتكاس على أم الراس، بل أشير لك إلى طرف من شرع العقل لا بحقيقته المكنونة، فظاهر العقل هو القابل للوجود، القائم به، الممد للنفس القائم عليها، المضاف إلى الروح في تصرفه، المواري الروح في

---

(1) مثل عربي يقال: «فلان لا يقعقع له بالشنان» لا يخدع ولا يُروّع.
(2) سورة مريم، الآية: 43.
(3) سورة مريم، الآية: 47.
(4) من الطويل.
(5) من المنسرح.
(6) من البسيط.
(7) يظهر من السياق انتهاء معاني الرسالة الأولى وختامها، وأن الذي وليها فاتحة رسالة في الرد عليها، وليس في المخطوط فصل يدل على ذلك.
(8) سورة إبراهيم، الآية: 11.
(9) علم التشريح: يبحث في تركيب الأجسام العضوية بتقطيعها وفحصها.

جولانها، المتصل بالمعرفة الإلهية، من لم يكن عقله غلب خصال الخير عليه، كان حتفه في أحسن خصال الخير عنده[1]، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم؛ فما أسوأ حال من صيَّر صنعة خلقت لمثل هذه الكرامات، محركة للشيطان ومزيلة للشهوات، ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[2]، فتفطن لمن خلق الموجودات في دنيا وآخرة، ولا تشغلك عن ذلك دنيا إن أقبلت شغلت، وإن أدبرت أساءت وفجعت، وسلّم لمن كان بها، تلك دار الخاسرين، ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ﴾[3]، وفي أقل قليل أدل دليل ولا فائدة في التطويل، واعلم يا أخي ثبّت الله قدمك في الدين، ورفع همتك إلى عليين أن لسان الحال أخرس من فصاحة المقال، فماذا بعد الحق إلا الضلال، فمن قصد غيره في السراء والضراء فقد آل إلى شر حال[4]، فالإشارة بعد الإشارة تعمي بصيرة كل ذي سبب فلم يبق إلا: فلم يبق إلا وجود فما بقي وخفي من جميع الوجود أراك بعين الحق في كل ما أرى[5].

قد أتينا من ذكرهم بما يُعرب عن فخرهم، وجنى زهرهم، ومما يذكر عن الشيخ أبي يعقوب الطرانة[6]، بعد وصول الرسالة له؛ ارتحل لعند الشيخ أبي علي وقبّل قدميه، وتاب من كل معارفه، ولازمه ملازمة استفادة؛ فقال له يوماً: كم سنك؟ فقال له سنة، يعني من وقت وصوله إليه. قلت للحاتمي جزء في مناقب الشيخ أبي محمد عبد العزيز فمما حكى عنه ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: شاهدت منه أمراً راقني ومن تلامذته ما إليه شاقني، إذ العبد من طينة سيده، والتلميذ على مذهب شيخه، قال: والذي دعاني إلى ذلك أنه في زمانه

---

(1) ساقطة في (ب).

(2) سورة آل عمران، الآية: 191.

(3) سورة التوبة، الآية: 55.

(4) في (ب) مآل.

(5) كذا ورد الكلام في المخطوطين.

(6) هكذا كتب في المخطوط، وهو تحريف، والذي يقتضيه السياق أبو يعقوب الطري المذكور، وكذلك أثبت في المخطوط (ب).

من طعن عليه حسداً، ولم يزل أهل الفضل محسودين قديماً وحديثاً، وطيبهم يُلفى عند الأرذلين خبيثاً، وأبت النفس الإنصاف ﴿وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[1]، فهم كما قال عذلوا في حب أنفسهم ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾[2]، وذلك أني شاهدت منه أمراً غريباً ما رأيته قط إلا عنده، وما سمعت به إلا حكاية عن السلف، وهو مما يدل على متابعة السنة، وذلك أني فاتتني صلاة العصر في الجماعة؛ فدخلت منزله فصلّيت فذاً؛ فلما أكملت صلاتي ما بقي أحد من طلبته إلا وعزاني وصافحني ودعا لي بخير بالخلف وقوى صبري، فلم أميز والله نفسي، وظننت أني قد خرجت عن زماني، وبقيت متعجباً أن يكون في هذا الزمان على ركاكة حاله، وخساسة آله مثل هذا، وتذكرت قول حاتم الأصم[3] فاتتني الجماعة فعزاني أبو عبد الله البخاري[4] وحده، ولو مات لي ولد لعزّاني أكثر من عشرة آلاف، فحمدت الله الذي شاهدت في زماننا على خسته قوماً ما كان عليه السلف، وعملوا على قوله عليه السلام: «**من فاتته صلاة العصر[5] فكأنما أوتر ماله وأهله، وذلك فيه العزاء**»[6].

فأولى في فوات ثواب من لا يفنى فبمثل هؤلاء ينبغي أن يقتدي وفيهم أقول[7]:

---

(1) سورة التوبة، الآية: 32، وفي المخطوط ورد خطأ ـ لفظ «المشركون» بدل «الكافرون».

(2) سورة البقرة، الآية: 109.

(3) حاتم بن عنوان، أبو عبد الرحمن المعروف بالأصم، أحد الزهاد المشهورين بالورع من أهل بلخ، زار بغداد، واجتمع بالإمام أحمد بن حنبل، وشهد بعض وقائع الفتوحات ومعاركها، ومن النعوت التي كان يحلى بها أنه «لقمان هذه الأمة»، توفي عام (237هـ/ 851م).
له ترجمة في: تاريخ بغداد 8: 241، الأعلام 2: 151.

(4) غير الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري صاحب صحيح البخاري المولود في بخاري سنة (256هـ).

(5) في بعض الأقوال والتفاسير أن الصلاة المقصودة بقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة: 238]، المقصود بها صلاة العصر.

(6) البخاري: مواقيت؛ 14: مناقب: 25، مسلم، مساجد: 200، 201، ابن داود: صلاة: 5، الترمذي، صلاة: 14.

(7) من البحر الطويل.

بنفسي أحبابي[1] تواصوا بكلّ ما تواصى به أهل الحقيقة والبر
تواصوا بذكر الله في كل حالة فأفناهم المذكور عن حضرة الذكر
فلما فنوا عن كل ما هو كائن ولم يألفوا شيئاً سوى ليلة القدر
تبدّل شفع القوم وتراً مقدساً فصار خطاب الوتر يسري إلى الوتر

ويكفي هذا القدر؛ فقد شفى الصدر.

---

(1) ساقطة في (ب).

3 ـ الشيخ أبو الحسن علي الشاذلي(*)

ومنهم ـ رضي الله عنهم ـ إمام زمانه، وذخيرة أقرانه الإمام الأوحد، العالم العامل المحقق المدرك الذائق، حامل لواء العرفان، وناشر علم البيان، الشيخ أبو الحسن علي الشاذلي ـ رضي الله عنه ـ وهو علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قصي بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ حسني النسب، قريب السبب، من سبط النبوة نجاره، ولآل مناف فخاره[1]، كثيراً ما يحكي عن جده سنداً وكشفاً، وذوقاً ووصفاً، شيخه الإمام العارف المسلك، الولي الذائق الأوحد المجتهد المحقق، السُّني السني أبو محمد عبد

(*) صاحب الطريقة الشاذلية المشهورة، ذات الأثر البعيد في الغرب الإسلامي والمشرق، من بلدة شاذلة بتونس التي قرأ العلم وتفقه فيها، عنى في بداية أمره بعلم الظاهر ومنه علم الكيمياء ثم عزف عن ذلك، واشتغل بعلم الباطن ورحل إلى بلاد المشرق فأدى فريضة الحج، وحل بالعراق والإسكندرية، وتوفي بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج عام (656/ 1258) بعد أن تأثر بطريقته مريدون في الأقطار التي دخلها، وله تآليف ورسائل.

ترجمته في: طبقات الشعراني 2: 4، نور الأبصار: 361، نكث الهميان: 213، لطائف المنن، شذرات الذهب 5: 278، الوافي بالوفيات. الأشراف على نسب الأقطاب الأربعة: هدية العارفين 1: 709، طبقات الأولياء، تاريخ أفريقيا 2: 337. المطرب في مشاهير أولياء المغرب: 120، كتاب العمر، 1: 487.

(1) في (ب) ينسب نجاره.

السلام بن مشيش[1] ـ رضي الله عنه ـ عند عزمه على التوجه من المغرب الذي طلع به سنا بدره المغرب[2] أوصاه وقال له[3]: «يا علي الله الله، والناس الناس نزّه لسانك عن ذكرهم، وقلبك عن التماثيل من قبلهم، وعليك بحفظ الجوارح، وأداء الفرائض، وقد تمت ولاية الله عليك، ولا تذكرهم إلا بواجب حق الله عليك، وقل: اللهم أغنني بخيرك عن خيرهم، وقني شرهم[4]، وتولني[5] بالخصوصية من بينهم، إنك على كل شيء قدير، نزيل شاذله[6] فكان شاذله، نسب إليها، وقطن لديها؛ فطلع شمس أفقها، وهلال غسقها، تبعه بعض أهل زمانه من الفقهاء؛ فكان عضب غرضه لديه مثل الهباء، وتعقب عليه كلمات، كان بها في حيّه قد مات، سعى في نفيه وإزعاجه، وقطيعته من تلك الجهات وإخراجه، يروي عن الفضيل بن عياض[7] أنه قال: «الغيبة فاكهة

---

(1) صوفي مغربي مشهور ـ ظهرت له ـ كما يقولون ـ الكرامات حياً وميتاً ويقال بشيش بالباء الموحدة، دفن في جبل العلم بشمال المغرب الأقصى سنة (622هـ) بعد مقتله، وهو إلى كونه من المتصوفة يعد أحد الأشراف الأدارسة، وكان من أبرز شيوخه الذين انتفع بهم الشيخ عبد الرحمن الحسين المدني العطار، ولا تزال المعلومات المتوفرة عن شخصيته قليلة ومحدودة، وقد صار ضريحه مأماً للزوار من مختلف الطبقات بعد أن شهر بالصوفي أبي محمد عبد الله الغزواني.
ترجمته في: لطائف المنن: 45، شرح الصلاة المشيشية 1 ـ 9، سلوة الأنفاس 1: 5 ـ 6، الدرر البهية 2: 102، بيوتات فاس: 66، عبد السلام شقور «جبل العلم بين الشعر والتاريخ»، مجلة البحث العلمي العدد 41/ 1993.

(2) كان ذلك عقب جرّه إلى المحاكمة بمحضر السلطان أبي زكريا.

(3) كتبت هذه الوصية في شرح الصلاة المشيشية هكذا «قال له: قل الله الله والناس. ونزه لسانك عن ذكرهم، وقلبك عن التماثيل من قبلهم، وقل اللهم أحرمني من ذكرهم، ونجني من شرهم، واغنني بخيرك عن خيرهم، وتولني خصوصية من بينهم، إنك على كل شيء قدير».

(4) ساقطة في (ب).

(5) في (ب) وتوصلني.

(6) قرية صغيرة في تونس، ذكر برنشفيك في تاريخ أفريقيا: أنها اندثرت الآن.

(7) الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، وكنيته أبو علي شيخ الحرم المكي في زمنه، ومعدود من العباد الصلحاء والمحدثين الأتقياء، انتفع بعلمه خلق كثير في طليعتهم الإمام محمد بن إدريس الشافعي، وقد كان حلاوة بمكة، ونشأ بابيورد، ودخل الكوفة كبيراً، ثم سكن مكة حيث توفي عام (187/ 803هـ).
ترجمته في: (طبقات الشعراني 1: 68 ـ 70) (الرسالة القشيرية 1: 62 ـ 64)، (وفيات =

القرّاء» وقد حسده قوم لنبله فبغوا عليه وذمّوه، قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ «يؤخذ بقول العلماء في كل شيء إلا قولهم في بعضهم بعض»، وقال ابن حازم[1] «حسد العلماء بغي وداء» وقال الفضيل أيضاً: لا تصحب القراء؛ فإنك إن أرضيتهم مدحوك بما لا فيك، وإن أغضبتهم شهدوا عليك بما لا فيك».

فلما حلّ بالديار المصرية حلّ لديهم بدار الهداية، وإمام الدراية، ورث مقام القطب الشهير، والعلق الخطير أبي حجاج الأقصري[2] ـ رضي الله عنه ـ وحضر مجلسه الإمام المفتي عز الدين بن عبد السلام الدمشقي، ومما يسند إليه، ويعول في ذلك عليه، أنه قال يوماً بمحضره؛ أخبرني جدي بكيت وكيت ـ يعني النبي ـ عليه السلام ـ فقال له: كذبت يا شيخ فلما ظهر منه الإنكار، وإذا رجل يقعقع حلقة الدار، فأمر الشيخ بدخوله، وكان قوّالاً؛ فقال له الشيخ قل: فقال على البديه[3]:

صدق المحدث والحديث كما جرى   من غير تلبيس ولا تمويه

فبادر عز الدين للتوبة مما جرى منه وما شاهد الحاضرون من لدنه نحا ناحية الصواب بلثم بنانه. . .[4]. بعروة التوبة في فوره وأوانه، قال ـ رضي الله عنه ـ خوطبت أن أدع على من ظلمك، فقلت يا رب أدعو[5] له بالصلاح والتوبة. فقيل لي ثانية: ادعُ عليه، فقلت يا رب أدع له بالصلاح والتوبة. فقيل لي ثالثة: ادعُ عليه. فقلت ماذا أقول علمني كيف أقول.

= الأعيان: 4 ـ 47)، (شذرات الذهب 1: 316)، (تذكرة الحفاظ 1: 245 ـ 246).

(1) ربما أراد به عبد العزيز ابن أبي حازم مسلمة بن دينار المدني، وهو فقيه محدث، قال في نعته الإمام أحمد بن حنبل «لم يكن بالمدينة بعد مالك أفقه من ابن أبي حازم، تهذيب التهذيب 6: 333 الإعلام 4: 141».

(2) من متصوفة الديار المصرية واسمه يوسف بن عبد الرحيم له آثار وأخبار وتوفي سنة (642هـ). ترجمته في طبقات الشعراني وحسن المحاضرة وطبقات الأولياء.

(3) من البحر الكامل وصدر البيت مختل العروض بسبب نقصان حرفين، وإذا نونت كلمة تمويه كانت العروض مقطوعة وعدّ من الكامل.

(4) كلمة غير واضحة في أصل المخطوط وفي (ب) وحارب.

(5) في المخطوطين ادع.

فقال اللهم اقطع البركة من علمه وعمره، وافتنه في ولده، واقطع دابره بسوء العاقبة له، واجعله نكالاً للمتقين، فكان الأمر كما قال.

أخبرني شيخنا الشيخ الفقيه الأعدل الأفضل أبو زكريا اليفرني[1] بدرسه المبارك، قال: كان من دعا عليه الشيخ أبو الحسن مفتوناً بولده؛ فمما اتفق له أن ولده بلغ مبلغ الرجال؛ فمن شفقته عليه أراد أن لا يؤلمه بالحديد، ويمنعه من الختان، وقال بمحضر جلسائه: خمس من الفطرة، نتف الإبطين، وتسوية الشارب وتقليم الأظفار، وحلق العانة، والختان؛ فعزم ألا يفعل ذلك، فقال له بعض معاصريه: يا شيخ أحببت أن ترجمنا العامة بالحجارة.

رأى بالمغرب مشائخ عدة، وهو من غمارة[2] وكان يقرأ كتاب سيبويه[3] وابن عطية في التفسير[4].

---

(1) من كبار علماء تونس في القرن السابع الهجري، تتلمذ عن ابن عصفور وعلى كبار علماء عصره، وقد ساق تلميذه ابن الطوّاح طائفة من أسماء شيوخه وتلاميذه وأصحابه في السبك، كما أورد أخباراً من سيرته تدل على تبحره في العلم وتأثيره في محيط الحياة الفكرية في تونس والغرب الإسلامي، وأثنى عليه الغبريني في عنوانه: 318 ثناء وافراً حيث قال «ومن أحسنهم علماً وخلقاً ورياسة ونفاسة، صاحبنا الفقيه الجليل الفاضل الكامل أبو زكريا يحيى اليفرني، رجل من أهل الكمال، في كل وجهة وحال، ولولا أن ذكره هنا إنما جاء بالاستطراد لذكرت من فضائله ما يعلم أنه أربى على من سبقه وزاد».

وقد ذكر الزركشي في تاريخ الدولتين أنه توفي في ثاني صفر من سنة سبعمائة، ووصفه: 56 بأنه «كان تلميذ ابن عصفور وخليفته في فنه»، بينما ذكر الونشريشي في الوفيات: 97 ـ 161 أن أبا زكريا يحيى اليفرني توفي في واحد وسبعمائة، ومن الغريب ألا يترجم ابن الطوّاح لشيخة هذا في «السبك» ولكن الأستاذ المنوني رجح أنه كتب له ترجمة لم يشتمل عليها المخطوط.

(2) غمارة: قبيلة كبيرة من قبائل الشمال المغربي.

(3) عمر بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، يكنى أبا بشر، ويلقب سيبويه أي ريح التفاح، صاحب الكتاب في النحو، والذي عد به أمام أهل الصناعة، ولد في البصرة سنة (148هـ/ 765) ونزل في البصرة فانتظم في مجالس الخليل بن أحمد، ورحل إلى بغداد حيث ناظر الكسائي ومنحه هارون الرشيد عشرة آلاف درهم، وقد توفي بشيراز عام (80هـ 7961).

(4) هو عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي، يكنى أبا محمد، فقيه مفسر من أهل غرناطة، عارف بالحديث والأحكام، وكان يكثر من الغزوات في حروب الملثمين، واشتهر بتفسيره المسمى «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز وهو من علماء القرن السادس الهجري، له ترجمة في: قضاة الأندلس: 109، نفح الطيب I : 585، المعجم لابن الآبار: 259.

وصحب الشيخ العارف المكاشف صاحب الكرامات الشهيرة والأوقات المنيرة أبا سعيد خلفاً الباجي التميمي[1] وكانت وفاة الشيخ أبي سعيد عام ثمانية وعشرين وستمائة، وهو المعزي في الشيخ أبي محمد عبد العزيز المهدوي، توفي الشيخ أبو الحسن بحميثري بدرب الحجاز، ودفن هنالك، وكان ماؤها زعافاً فعذب ببركته طعمه، أخبرني بعض الحجاج الموثوق بهم من أصحابنا بقية الفقراء بجامع الزيتونة[2] ـ شرَّفه الله تعالى ـ وذلك في شهر رمضان المعظم من عام أربعة عشر وسبعمائة، قال:

خرجت ناظراً على معدن الزمرد؛ فاجتزنا بالموضع المذكور؛ فرأيت رجلاً من سكان ذلك المكان، وهو يضلع متوكياً على عصاه؛ فقلت له ما سبب ذلك فقال: إن ناساً من الحجاج وردوا علينا فزاروا قبر الشيخ فضيّقوا علينا في ورود الماء فقلت: برجلي مشيراً لهم إرفعوه عنا واتركوا مجيئكم إلينا، وأومأت إليه فلمستها فإذا هي يابسة كالصلد. وكان من أكابر أولاده الشيخ العارف العالم المدرك المحقق أبو العباس المرسي[3] ـ رضي الله عنه ـ وكان ابتلي بناصور[4] بين السبيلين، وله كلام في الطريق نحا فيه منحى شيخه لولا التطويل لأتينا على نبذ منه، لكن في هذا كفاية وهداية.

---

(1) من كبار علماء تونس في القرن السابع الهجري، عرف بغزارة العلم والصلاح وانتفع به خلق كثير، وتخرّج به مريدون وطلاب علم، قال الزركشي في تاريخ الدولتين: 26 «وفي ليلة الاثنين السادسة عشرة لشعبان من سنة ثمان وعشرين وستمائة، توفي بتونس الشيخ الصالح أبو سعيد خلف بن يحيى التميمي الباجي، ودفن بجبانته المعروفة به بجبل المرسي بمقربة من المنارة»، وكانت وفاته في شعبان (628هـ/ 1231). راجع: نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار 1: 547، تاريخ الدولتين: 26، تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي 2: 337 ـ 343.

(2) من الجوامع والجامعات الكبرى التي كان لها تأثيرها البعيد في تاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية، أسسه عبد الله بن الحبحاب سنة 114هـ/ 732م في المكان الذي أقام به حسان بن النعمان الصلاة عند فتح مدينة تونس سنة 77هـ/ 698م، وقد تخرّج به أئمة الإسلام في القديم والحديث.

(3) أحمد بن عمر المرسي أبو العباس شهاب الدين، أحد الفقهاء المتصوفين من أهل الإسكندرية، أصله من مرسية في بلاد الأندلس، له ترجمة في النجوم الزاهرة 7: 371.

(4) داء معروف في القديم والحديث بهذه التسمية، ويقال له أيضاً الناسور والناصور، والجمع نواصير.

كتب الشيخ أبو الحسن من البلاد لبعض أصحابه الكتاب الشهير ـ وهو بليغ فصيح، عذب الألفاظ، سهل على الحفاظ، وهو يشير فيه إلى القطبية وبلوغ الأمنية[1] وهي غاية متطلبهم، ومنتهى أربهم ونصه، «أما بعد؛ فإني منذ اثنتي عشرة سنة أغدو وأروح فيما هيأ الله لي من سفر الروم على عساكر أولياء الله؛ فما مررت بك إلا وجدت ريحاً طيبة، تعقلها العقول، وتألفها النفوس وترتاح لها الأفئدة، ويبتهج بها. . .[2]. ويذعن لها الأمر، ويجتمع بها كل مفترق ولا يجهلها من علم، ولا يعلمها من جهل فوجدت أدناهم بمنزلة الرجلين، وأعلاهم بمنزلة الرأس، فلا رأس إلا برجلين، ولا رجلين إلا برأس والكل واحد، والتخصيص بمن طهّرهم الله بماء التمحيص فوصلوا رتبة التخصيص، فأول طهارتهم التي هي شرط في طريقتهم، الإعراض عما سوى الله؛ فصلوا صلاةً متقبلة بالإقبال على الله فناجاهم بما سمعوا من لذيذ خطابه، وسقاهم من كؤوس المحبة فأسكرهم من شرابه، ثم ولاهم ولاية التخصيص لما كملوا، وأبرزهم للخلق بما به فضلوا، فجاؤوا ملوكاً في زي الفقراء، عمدة الملوك العدد والأنصار، وعمدة الفقراء[3] الغنى بالله والرضا بمجاري الأقدار، قليل من يحبهم، كثير في المعنى، كثير من يبغضهم قليل في المعنى، الشمس واحدة كثيرة في المعنى النجوم عدة كثير قليل عند ظهور الشمس، وهي سنة الله مع الأولياء فاستبانت فضيلة الولي بكثرة أعدائه وقلة أنصاره، ثم لا يعبأ بهم بل يحرضهم على نفسه فيقول ﴿قُلِ ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[4]، ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ

---

(1) القطبية، منزلة عالية من المنازل التي يرتقي إليها المتصوفة والقطب في أصل اللغة: قوام الشيء، ومداره، ومن القوم: سيدهم.

(2) كلمة غير واضحة في المخطوط، قدّرها الأستاذ جعفر بن الحاج السلمي في تحقيقه ترجمة أبي الحسن الشاذلي مجلة كلية تطوان، العدد 5/ 1991 بـ«الدين» والأصح أن تقدر في نظري بـ«الصدر» مراعاة للفاصلة بعدها.

(3) سقط هذا السطر في (ب).

(4) سورة الأعراف، الآية: 195.

ٱللَّهُ﴾[1]، فلا تعبأ بمن ناوأك[2]، ولا تعتمد على من تولاّك، فإنما هي ربوبية تولت عبودية، وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها عموماً في كل مدينة وقرية أن الأكابر مجرموها، والصالحين فقراؤها[3]، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، وكفى بالله وكيلاً؛ فاجلس جلوس من فقد الكل وعزاه الله تعالى بقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[4]، وبقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[5]، فليس بعاقل مَن لم يتعز عندي بعزاء الله، وإني لمشتاق إلى لقائه، وأرجوه من الله، والسلام».

اجتمع الشيخ أبو الحسن هو والشيخ أبو علي السناط[6] وطلبا الرحلة للديار المصرية؛ فقال الشيخ أبو الحسن طريق منتوية أقصد؛ فإني أريتها بيضاء نقية «تأكلون من كلأها، وتشربون من مائها» وقال الآخر أقصد طريق البحر فرأى رجل[7] من أصحابهما ملكين نزلا من السماء فأعطيا لهذا لواء، وللآخر لواء، وقال: أنت ولي الله، والآخر ولي الله، وليس لولي على ولي ولاية، قال: ـ رضي الله عنه ـ كنت ليلة في وردي فقرأت حتى انتهيت إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾[8] فرأيت رسول الله ـ ﷺ ـ فقال لي: ـ يا علي أنا ممن أعلم، ولا أغني عنك من الله شيئاً، له فضل المريد[9] والمراد، لم يسبق إليه ولا نبه عليه[10] لا يفهمه إلا من دخل بلاده، وبلغ من الله رشاده، توفي ـ رحمه الله ـ عام أحد وخمسين

(1) سورة التوبة، الآية: 40.
(2) في (ب) بمن تاركك.
(3) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾ [الأنعام: 123].
(4) سورة الرحمن، الآية: 26.
(5) سورة القصص، الآية: 88.
(6) كذا كتب في المخطوط، ولم أقف له على ترجمة، والمترجم له في المظان أبو علي يونس السماط، ذكره التجاني في رحلته: 260 كما ذكره صاحب نزهة الأنظار 2: 282 وغيرهما.
(7) في (ب) رجلاً.
(8) سورة الجاثية، الآيتان: 18 و19.
(9) في (ب) الخريد.
(10) ساقطة في (ب).

وستمائة، وما مات حتى كف بصره، كان رجلاً أسمر اللون جاحظ العينين، طويل القامة، جهير الصوت، أخبرني الشيخ الحاج[1] الصالح المقري أبو عبد الله التلمســاني[2] المشتهر بالناسخ، أنه صلى خلفه الصبح بالإسكندرية فقرأ في الركعة الأولى بالجاثية، وفي الثانية غلبه حال فقرأ بسورة الإخلاص.

---

(1) ساقطة في (ب).

(2) ربما قصد به الشيخ محمد بن أحمد بن إبراهيم بن محمد التلمساني المذكور في وفيات الونشريسي الذي قال فيه «حفيد أبي إسحاق، وصاحب الرجز في الفرائض وولد عام ستة وسبعين وستمائة» ألف سنة من الوفيات: 124.

4 ـ الشيخ أبو الحسن علي التجيبي (الحرالي)(*)

ثم منهم الشيخ العارف الإمام، العالم المحقق المدرك المتقن المتفنن، ذو الكرامات الشهيرة، والأوقات المنيرة، الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد التجيبي، عرف بالحرّالي(1) ـ رضي الله عنه ـ كان محصلاً لأنواع العلوم الظاهرة والباطنة، أخذ الأصول عن ابن الكتاني الفاسي(2) وأخذ العربية والأدب عن أبي ذر الخشني(3) ....

(*) أندلسي الأصل ـ كما أثبت ابن الأبار في التكملة. ولد بمراكش ونشأ بها، وأخذ العلم عن ابن خروف، وأبي الحجاج بن نموي وغيرهما، ثم رحل إلى المشرق وحج، ولقي جماعة من العلماء فظهر فضله وعلمه بينهم؛ ثم عاد إلى بلاده حيث نشر معرفته، وتوجه مرة أخرى إلى الشرق حيث توفي فجأة في الشام سنة سبع وثلاثين وستمائة (1239) وله تآليف متنوعة منها كتاب في التفسير، وحاز في التصوف درجة الإمام، قال: «أقمت في مجاهدة النفس سبعة أعوام حتى استوى عندي من يعطيني ديناراً، أو يزدريني»، ترجمته في: توشيح الديباج: 162.
نفح الطيب 1: 417، عنوان الدراية: 85 ـ 97. شجرة النور: 181، التكملة 2: 687، الأعلام 4: 256، شذرات الذهب 5: 189، ملء العيبة 2: 295 ـ 308.

(1) نسبة إلى حرالة قرية من أعمال مرسية بالأندلس. وفي (ب) ورد خطأ (الحوالي).

(2) محمد بن علي بن عبد الكريم الكتاني من أعلام القرن السادس ينسب إلى مدينة فاس بالمغرب الأقصى، عرف بالتبحر في العلم والتزهد وتعاطي الأدب، ومن أشهر تآليفه التي عرف بها «المستفاد من مناقب الصالحين والعباد من أهل مدينة فاس وما ولاها من البلاد».
له ترجمة في جذوة الاقتباس: 137.

(3) محمد بن عبد الله الخشني من فقهاء الأندلس الكبار في القرن السادس ولي إمارة «مرسية» =

وأبي الحسن بن خروف[1] وأخذ علم الحديث عن أبي الحسن بن القطان[2] وأخذ علم التفسير عن أبي عبد الله محمد بن عمر القرطبي[3] ـ رضي الله عنه ـ نزيل المدينة على ساكنها أفضل السلام، وأول من أخذ عنه علم التصوف الشيخ أبو الصبر السبتي[4] لقي الشيخ أبا يوسف الدهماني[5] ثم لقي الفخر الفارسي[6] جماعة وافرة من الصوفية ـ نفع الله بهم، ورضي عنهم ـ ذكر عنه الشيخ أبو عبد

= في سنة 539هـ ولقب بالأمير الناصر لدين الله، وأعان مروان بن عبد الله على جيوش الملثمين بشاطبة ثم توجه إلى غرناطة غازياً فقتل في معركة على مقربة من مدينة غرناطة سنة (540هـ/ 1145م).

الحلة السيراء: 217، الأعلام 6: 229.

(1) علي بن محمد بن علي بن محمد الحضرمي المكنى ابن خروف النحوي عالم باللغة من أهل الأندلس، وصف بأنه كان كثير الترحال لم يتزوج وأعطى حياته للعلم مفيداً أو مستفيداً إلى أن توفي بمدينة أشبيلية عام (609هـ/ 1212) وترك عدداً من التصانيف منها: «تنقيح الألباب في شرح غوامض الكتاب» و«شرح الجمل للزجاجي»، وله مساجلات مع بعض معاصريه.

له ترجمة في: وفيات الأعيان 1: 343، جذوة الاقتباس: 307، برنامج الرعيني: شجرة النور الزكية: 172.

(2) علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، يكنى أبا الحسن ابن القطان، يعد من علماء الحديث وحفاظه، ولد في مسقط رأسه فاس، وأقام في مدينة مراكش حيث تولى القيام بالتدريس والتأليف، ومن تصانيفه كتاب «بيان الوهم والإيهام الواقعين في كتاب الأحكام»، انتقد فيه أحكام عبد الحق.

له ترجمة في شذرات الذهب 5: جذوة الاقتباس: 298.

(3) أبو عبد الله محمد بن عمر القرطبي من مشاهير قراء قرطبة، ومفسريها، حلاه الذهبي بقوله: «كان إماماً زاهداً متقناً بارعاً في عدة علوم كالفقه والقراءات والعربية، طويل الباع في التفسير، توفي في المدينة المنورة سنة (613هـ).

له ترجمة في شذرات الذهب 5: 145، العبر للذهبي 5:

(4) أبو الصبر أيوب بن عبد الله بن أحمد بن بن عمر الفهري السبتي، الإمام الزاهد المشهور بالتقى والورع، تلقى علومه عن ابن بشكوال والسهيلي وابن قرقول، ولقي طائفة من الصالحين منهم أبو يعزى وأبو مدين شعيب وعرف بالرواية وصناعة الشعر، وقد استشهد في موقعه العقاب عام (609هـ). راجع: شجرة النور الزكية: 184.

(5) حلاه أبو محمد عبد الله النجاني في رحلته بـ«الشيخ الصالح أبي يوسف الدهماني» وذكر خبر إقامته وسكناه بمسجد غانم قرب قصور الوردانيين الذين أزمع أهلها على قتله فظهرت له الكرامة معهم، راجع الرحلة: 56. وما تقدم من الترجمة له في هذا الكتاب.

(6) الفخر الرازي (محمد بن عمر بن الحسن)، ويسمى ابن خطيب الري من أعلام القرن السابع الهجري.

الله السلاف[1] خديمه أنه قال: قرأت على أبي عبد الله القرطبي الفاتحة، وحزباً[2] واحداً من القرآن بالمدينة ـ شرَّفها الله ـ في سبعة أشهر، حكى الشيخ أبو الحسن ذلك في بعض تواليفه، وهو المسمى حل المقفل في فهم القرآن المنزل، قال: وكان الشيخ أبو الحسن يقرأ أحداً وعشرين نوعاً من العلم، قال: وذكر لي ـ رحمه الله ـ أنه قال: فتح عليه جملة الحروف عدا الألف في ثلاثة أيام، وعلم لام الألف بعدها في سبعة أيام[3] وله تصانيف كثيرة، وبعضها لم يكمل، قال: وله وضع على[4] كتاب سيبويه، سماه النافع، وشرح على الموطأ.

وفي التفسير أكمل منه الربع الأول، وفي الجدل، وفي التصوف والأصلين، وكان مدركاً في العلوم، وله كرامات وأحوال، توفي ـ رحمه الله ـ بحماة من أرض الشام[5] في الثاني عشر لشعبان عام ثمانية وثلاثين وستمائة ـ

---

(1) ورد في (ب) أبو عبد الله السلاوي.

(2) في (ب) وجزءاً.

(3) يندرج هذا الفن تحت مضمون علم أسرار الحروف، قال العلامة ابن خلدون في المقدمة: 936 «وهو المسمى بهذا العهد بالسيمياء، نقل وضعه من الطلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من المتصوفة، فاستعمل استعمال العام في الخاص، وحدث هذا العلم في الملة بعد صدر منها، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيديهم، والتصرفات في عالم العناصر، وتدوين الكتب والاصطلاحات، ومزاعمهم في تنزل الوجود عن الواحد وترتيبه، وزعموا أن الكمال الأسمائي مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب، وأن طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأسماء، فهي سارية في الأكوان على هذا النظام، والأكوان من لدن الإبداع الأول تنتقل في أطواره، وتعرب عن أسراره، فحدث لذلك علم أسرار الحروف»، وذكر أن هذا العلم ألف فيه البوني وابن العربي، وأن ثمرة هذا العلم تصرف النفوس الربانية في عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى، كما ذكر تقسيماتهم الحروف إلى نارية وهوائية ومائية وترابية على حسب تنوع العناصر، وفصل في ذلك تفصيلاً دقيقاً.
وقد عدّ البوني أن سر الحروف ليس مما يتوصل إليه بالقياس العقلي، وإنما هو بطريق المشاهدة والتوفيق الإلهي، إلى آخر ما جاء في المقدمة.
راجع في هذا: المعجم الصوفي: 320.

(4) في (ب) في.

(5) قال صاحب الروض المعطار: «حماه من كور حمص بالشام وهي مدينة طيبة في وسطها نهر يسمى العاصي، وبينها وبين كفرطاب أربعون ميلاً، ومن حمص إلى حماه مثلها، وهي قديمة البناء، وربضها كبير، وفيه الحمامات والديار»، ص199.

رحمه الله ـ وبين وفاته ووفاة الإمام محي الدين عامن، امتحن ـ رضي الله عنه ـ بأسر أقارب له، فكتب إلى قسيس تركونه[1] ليفك أسرهم، ويزيل عنهم أصرهم.

«بسم الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، الذي خلق البشر كلهم من نفس واحدة، وبرك[2] أبدانهم كلها من أديم الأرض الواحدة؛ فجعلهم بالحقيقة ذوي رحم واحدة، لو تعارفوا حق المعرفة بما اشتركت فيه أبدانهم، وانفردت بالنفس الواحدة نفوسهم، وتحققت بروح الله أرواحهم ما تقاطعوا ولا تسافكوا الدماء، ولا تواثبوا تواثب الأسد على النعاج، حتى انتقم الله لبعضهم من بعض، وأذاق بعضهم بأس بعض، كل بما كسبت يداه، وبما سلف له ولسلفه من ظلمه واعتداه، ثم أكد تواشج رحم الأبدان بدناً، والنفوس نفساً، والأرواح روحاً بما شرع لإبراهيم[3] خليل الرحمن من الملة الجمعاء، والحنيفية البيضاء، وجعله أباً جامعاً لأسباط بني يعقوب بن إسحاق، والد الأصفر أبي كافة الرومية وقبائل أولاد إسماعيل بن إبراهيم أبي كافة العرب الحرمية، وذلك ليكون أولى باجتماعهم وتراحمهم وتعاطف بعضهم على بعض، وائتلاف بعضهم ببعض، فلم يزد الأمر بتأكيد أسباب الألفة إلا افتراقاً، ولا جعل منهم بتوثيق الرحم والملة الإبراهيمية إلا شدة الشتات شقاقاً ونفاقاً، اللهم إلا أحاداً من أفراد الفضلاء، وأكابر الحكماء الذين قضوا حق الرحم والملّة، وتحققوا بروح الله فتصافوا، وتواصلوا في القرب والبعاد، وخلصوا من نكر التباغض والعناد، فلم تحرقهم نار التفرقة وكانت عليهم برداً وسلاماً كما كانت على أبيهم إبراهيم[4]

(1) تركونة، لم يذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان، كما لم يذكرها الحميري في الروض المعطار، وظاهر أنها بلدة أو موضع من بلاد الروم.

(2) في (ب) وبرأ أبدانهم.
وبرك فلان، ثبت وأقام، والمعنى أنه برأ أبدانهم من التراب، قال عليه الصلاة والسلام **«كلكم لآدم وآدم من تراب»**.

(3) سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام، الملقب بأبي الأنبياء ذكرت قصته في القرآن، عاش بعد سيدنا نوح عليه السلام، وكان سيدنا محمد يتعبد على ملته قبل الإسلام.

(4) لفظة إبراهيم ساقطة في (ب).

النار المحرقة، وذلك لما عادوا بقلوبهم إلى الأصل، ولم يلتفتوا لعارض الشتات فبقوا على اتصال الأفضل، وأن كاتب هذا الكتاب لما كان ممن كشف الله له عن كُنْهِ من خلقه الظاهر، ولكنه من أمره الباطن، وأن[1] الأوائل من حيث اجتمعت وبصرت في المفترقات من حيث افترقت، وأذهب عن نظره شتات التفاوت؛ فوجب الأخذ عنده بسنة المتحابين العالمين، والمعذرة لخلق الله أجمعين وهي الحكمة الفاضلة التي أسسها حكم الإنجيل، ولم يحافظ عليها إلا القليل وكاتبه عبد الله علي عرف بالحرالي، وقد كان اتفق من حكم الله على بعض ذوي الرحم الذي يقرب في الظاهر، وإن كان في الحقيقة كغيره، إذ الكل من نفس واحدة بحكم الأسر، وأخذ منهم أخذ القهر؛ فسلم أمرهم لحكيمهم، ورد علم حالهم إلى عليمهم، إلى أن انتهى إليه أن بعضهم، وهو الحسن وعمه وأخواه محمد وإبراهيم وأمهم ظبية، ورفيقهم محمد بن عبد الله التلمساني عند قسيس تركونة ورئيسها وصاحب حكمها وأحكامها فرّير أصبب بدره[2] ـ وفقه الله، وأرشده، وقد علم أن صاحب الحكمة فقير من الدنيا، لو اشتغل بجميع الدنيا ما اجتمعت له الحكمة كما يقال الكمال جمع الحكمة وبذل المال، فخوطب بهذا الكتاب ليرى ما يريه الله في خلاصهم، وقد انتدب بعض المحبين إلى المقاطعة عليهم بما يخف مما نتعرفه من حامل الكتاب، وعجباً أن أوقع الله أسرى ذوي حكمة كلية عند صاحب حكمة إنجيلية، والقسيس ـ وفقه الله ـ يقبل في هذا الواقع العجيب، بما يليق بمن يحب الاتصاف بالموصوف الجميل والخير الجزيل؛ ليوفق النظر في ذلك من به فضله على من دونه ممن لا تداني رتبته، ولا تعرف حكمته، والله ولي الإسعاد بمنه والحمد لله، وسلام على عباده الذين اصطفى».

لما وصل الكتاب إلى قسيس تركونة المذكورة تحيّر في الكتب وألزمه أشد ما يكون من العتب، وقال: هذا خارج عن أحكام الشرائع؛ فوجّه به إلى

(1) في (ب) وأراه.

(2) كذا رسم في المخطوط، والظاهر أنه اسم قسيس تركونة ورئيسها في ذلك الوقت.

الأمير الأجل المقدس المرحوم أبي زكريا ابن حفص[1] ـ برد الله ضريحهم ـ وأسكن جنان الخلد روحهم؛ فكتب إلى نجله أبي يحيى[2] ببجاية، خيِّره في المشرق أو المغرب، فإن اختار المغرب على المشرق فاقضِ عليه، وإن اختار المشرق فخل سبيله؛ فخيَّره فاختار المشرق، فطلع به بدراً مشرقاً، وفكَّ له بعد ذلك القسيس أقاربه وسهّل ببركته عند الله مطالبه، ومن نظمه البديع على طريق القوم ـ رضي الله عنهم ـ قوله[3]:

شهدت وما شهدت سوى إيائي[4] ... وما أحببت من ليلى سوائي
شهادةَ من أصار الفصل وصلاً ... وسوّى في السوابيد السَّواء
وصار به ومنه إليه حتى[5] ... رأى عين الحقيقة في العماء
ومنبعث العوالم من لدنه ... وفتق الرتق في فلك الهباء
فيفنى ثم يفنى ثم يفنى[6] ... فصار فناؤه عين البقاء

وله أيضاً فيما يذكر، وعن معناه يؤثر[7]:

---

(1) هو يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاني الحفصي، مؤسس الدولة الحفصية بتونس، تغلب على الملك وآل إليه سنة (625هـ) واستقل بدولته سنة (626هـ) كان ـ كما ذكر المؤرخون ـ متواضعاً في لباسه وعيشه، وأعطي جهده لتأثيل مجد الدولة، وتوسيع الملك فاستولى على ديار واسعة تمتد من طرابلس الغرب إلى سبتة وطنجة، وأنفق أموالاً ضخمة في إرساء قواعد المؤسسات، وتشجيع المهاجرين الأندلسيين إلى مملكته، وفي رعاية الحياة العقلية والفكرية بها؛ فأنشأ المدارس والمعاهد ودور الكتب، وهو الذي استصرخه ابن الأبار بالقصيدة السينية المؤثرة، ومن أعماله القائمة جامع القصبة وصومعته البديعة وكانت وفاته ببونة (عنابة) سنة (674/1249) ودفن بقسنطينة له ترجمة في: تاريخ الدولتين: المؤنس: 118، الدولة الحفصية: 43 ـ 45، أزهار الرياض 3: 208، تاريخ أفريقيا: ابن خلدون 6: 280، الأعلام 9: 193.

(2) أبو يحيى زكريا يحيى، راجع أخباره في: تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي 1: 307 ـ 309، تاريخ الدولتين:

(3) من البحر الوافر.

(4) كتبت في المخطوط إناه.

(5) في مشارق أنوار القلوب، ومفاتح أسرار الغيوب: «وسار إليه منه وفيه حتى».

(6) في مشارق أنوار القلوب: يبقى.

(7) من البحر الوافر.

لبادي ذا الوجود إذا تبدّى   سرائرُ لا تنالُ بدرك عَيْنِ
إذا نور القلوب رآه رتقا   رأى أرب العباد بغير مين
وإن لمح الفؤاد رآه فتقا[1]   رأى العبد الجميل بقيد[2] شين
وإن أوما إلى حد تبدّى   له عبداً بنفس ذات بين
فمنها أنفس تُعزى لشين   ومنها أنفس تُعزى لزين
وإن تُرفع له الأرواح طُرا   فذاك الله خالق كل كون
فخذها لم يُنقبها احتجابٌ   وأحللها بقلبك خدن صون
تَسَعْ ما ضاقَ عنه سماءُ أرض   بلا زمن وتفقد كلَّ أين

وله ـ رحمة الله، ورضي عنه ـ[3]:

ما بدا فهو وجهه   والذي غاب أعظم
هوْ لا شك ظاهر   فهو بادٍ مُكتّم
لا تقل كيف لي به   فبه عنه مَفْهَم

كان ببجاية ـ رحمه الله ـ في مسجد الشيخ الصالح المكاشف الزاهد المتبتل أبي زكريا الزواوي[4] في خلوة بقي أياماً لم يأكل طعاماً، فشعر بعض أصحابه بذلك؛ فصنع له طعاماً، وجاء إليه به فحس[5] به من زاويته؛ فلما هَمَّ

---

(1) في (ب) رتقاً.

(2) كتبها الأستاذ جعفر ابن الحاج السلمي «فقيد شين»، ندوة التراث المغربي والأندلسي التوثيق والقراءة، ج4.

(3) من مجزوء الخفيف.

(4) هو أبو زكريا يحيى ابن أبي علي المشهور بالزواوي من كبار العلماء الصلحاء حسني، ولد في بني عيسى من قبائل زواوة، وقرأ في قلعة بني حماد، ووطن نفسه من أول حياته على هجر زخرف الدنيا، وانتفع به من أخذ عنه في علوم الحديث والفقه والمواعظ، وبقي على عطائه إلى أن توفي سنة (611/1214) ودفن في روضته أو كما عبّر ابن الطوّاح في مسجده، وقد ذكر الغبريني في عنوان الدراية جملة من شيوخه ـ 130 ـ 132، وذكر القرافي في التوشيح: 156 بعض أصحابه.

(5) كذا في المخطوطين والمراد فأحس به.

بالدخول إليه، وهو يسأل عن الشيخ، فلما دخل عليه بالطعام قال له الشيخ: يا أخي حسدتني في المقام والوراثة المحمديَّة، وتكلّفت لي، وأما ابتلاؤه بكريمة زوجه فأمر مشتهر[1] لا أحتاج أن أطول به، يدل ذلك على رسوخ قدمه في الولاية، واختص وحده بعلم الحروف في زمانه، وقد نبه في حرف الميم في كتابه الكبير على المنتظر بأحسن خبر.

وكذلك في حرف النون، وقال: إن الحق محجوب بالنور والظلمة؛ فاحتجب عن العامة بظلمة الأبدان، وعن العلماء بحجاب النور، قال عليه السلام في العلم: «إنه نور، ثم قال: حجابه النور، ثم قال: ولا ينجلي موقع ذلك إلا لواحد يفتح الله له، وعلى يديه ما يوضح معارف الملل والنحل، حتى لو حلَّ بجا بلقا[2]، وجا بلصا[3] وقليا[4] ذات العجائب لحكم فيهم بحكم الله النازل وكل لي نبه على الختم، وحكم بهذا الحكم، حتى السلمي في حقائقه[5] وابن النحوي في قراضة دقائقه[6] أخبرني بعض أصحابنا العدول أنه كان

---

(1) في (ب) مقرر مشتهر.

(2) روى أبو روح عن الضحاك عن ابن عباس: «أن جابلق مدينة في أقصى المغرب، وأهلها من ولد عاد، وجابلق أيضاً رستاق بأصبهان.

(3) رواية في جابلق.

(4) موضع كذلك.

(5) هو محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي النيسابوري أبو عبد الرحمن من علماء المتصوفة، قيل إن تصانيفه بلغت المائة أو أكثر منها حقائق التفسير مختصر على طريقة أهل التصوف، وله كتب أخرى، ولد في نيسابور (325هـ) وتوفي سنة (412هـ) راجع طبقات الصوفية 16: 49 تاريخ بغداد 2: 248 ـ الأعلام 6: 99.

(6) يشير إلى بلديه يوسف بن محمد بن يوسف التوزري الأصل، المكنى بأبي الفضل، والمعروف بابن النحوي، ناظم قصيدة المنفرجة المشهورة، المشتملة على الكثير من الدقائق؛ والتي مطلعها:

اشـتـدي أزمـة تـنـفـرجـي   قـد آذن لـيـلـك بـالـبـلـج

بحر المتدارك

وكان ابن النحوي هذا معروفاً بالفقه، ميالاً للاجتهاد، ولد سنة (433هـ) وتوفي عام (513/ 1119م) بعد أن ألف تصانيف، وقد حظيت المنفرجة بعناية العلماء والأدباء فخمسوها وشرحوها، وإن كان من نسبتها إلى التوزري خلاف ومن أهم شروحها: «الأضواء البهجة في دقائق المنفرجة» له ترجمة في: البستان: 299، جذوة الاقتباس 1: 346، الأعلام 9: 325، عنوان الدراية: 50، توشيح الديباج: 297، رحلة العبدري: 52.

بمراكش[1] كاتباً للمنصور[2] وكان من ظرفاء أهل عصره وأدباء أهل مصره، وكان لا يلبس إلا ثياب اللانس[3]، وكان حاله يطرز به[4] أنفس المجالس ولما اجتمع بالإمام العارف المدرك المحقق محي الدين بن العربي الحاتمي[5] أضافه ثلاثة أيام، ثم بعد ذلك قال له محي الدين: إما أن تقيم هنا ونرتحل؛ وإما أن ترتحل ونقيم؛ لأن زنديقين لا يجتمعان في كل واحد[6] فارتحل الشيخ أبو الحسن إلى حماة، وسكنها ثم مات بها ـ رحمه الله عليه.

أخبرني بعض الأصحاب الموثوق بهم من العارفين السالكين أن ابن أبي الدنيا الفقيه الطرابلسي[7] قرأ عليه علم الأصلين والعربية والأدب، وكان يثني عليه كثيراً، قال: لما ارتحل الشيخ أبو الحسن إلى البلاد الشرقية اجتاز بطرابلس؛ فأخذنا عنه هذه العلوم، واستفدنا منه، وأخذنا عنه المعارف، فلما

---

(1) مراكش بالفتح ثم التشديد وضم الكاف وشين معجمة من المدائن الكبرى بالمغرب الأقصى، ومن العواصم الشهيرة في تاريخ الإسلام، وأول من اختطها يوسف بن تاشفين الملقب من الملثمين بأمير المسلمين في حدود سنة 470، وكان أول من اتخذ بها البساتين عبد المؤمن بن علي، ثم اتخذت حاضرة للممالك في عدة عهود سياسية بالمغرب.

(2) المنصور الموحدي (580هـ ـ 595هـ)، راجع المغرب عبر التاريخ: 1: 273.

(3) ضرب من نفيس الثياب.

(4) من (ب) يطرر به.

(5) كتب ابن العربي بالتعريف، والأصح أن يكتب بدون تعريف «ابن عربي» تمييزاً عن العلامة الفقيه أبي بكر ابن العربي من أعلام القرن السادس أحد حفاظ الأدب وعلماء التفسير والمتوفى بمدينة فاس عام (542).

(6) لعله أراد بذلك أن يشير إلى تسرع الناس في رمي العلماء والفضلاء بأقبح النعوت وأحطها قصد إغراء العامة والخاصة بهم لإيذائهم أو إهلاكهم، مذكراً أن اجتماعهما في مكان واحد ووقت واحد ربما أفضى بهما إلى هذا المصير. وما أكثر ما قضى على أعلام الإسلام بهذه الدعاوى الماحقة!!

(7) هو حسب ترجمة الغبريني في عنوان الدراية: 109 «أبو محمد عبد المجيد، وفي رواية غيره «عبد الحميد» بن أبي البركات بن أبي الدنيا الصدفي الطرابلسي» ولد بمدينة طرابلس الغرب في منتصف شعبان (606/ 1210) وفيها تفقه على ابن الصابوني، ثم رحل إلى المشرق مرتين، حيث أخذ عن كبار الشيوخ، وأفاد نجباء الطلاب، قدم إلى تونس في عهد الأمير أبي زكريا يحيى الحفصي (الأول) ثم رجع إلى وطنه حيث ولي القضاء إلى أن توفي عام (686/ 1285هـ) وحلاه ابن مخلوف بقوله: «الإمام الفقيه العمدة الأصولي العالم المتفنن القدوة». له ترجمة في: تاريخ الدولتين: 51، معالم الإيمان: 192، شجرة النور الزكية: 192، كتاب العمر: 710.

قضى الله لبانته، وقضى سبحانه حاجته، رجع من حيث جاء؛ فانحل عقد نظامه وناء، كان يبيح الزنا، ويفعم الإناء، فكنا ننكر عليه حاله، ونذم ترحاله، وذلك أنه كان إذا رأى من يزنى يبكي عليه ويرحمه، وإذا رأى من يشرب الخمر يشفق عليه، وتجري عبرته، وكذلك من يسرق، وبذنبه ينطق؛ فكأنه محلل له فعله، ومجمع له شمله ـ معاذ الله ـ أن يكون هذا حال الأولياء، أن يبيحوا ما حرّم الله، وإنما هم ينظرون نظر الرحمة، وكمال النعمة، فهو بقلبه يرحمه، وبظاهر إقامة الحدود عليه يؤلمه، ولله في هذا الإنسان أسرار لا يعلمها إلا الأفاضل الأخيار فكل منهم تحته كنز أقيم عليه جدار، ومما ينسب إليه أيضاً، والله أعلم بذلك[1]:

إرحم خليلي عبادَ الله كلّهم　　وانظر إليهم بعين الود والشفقه

وقّر كبيرهُم، وارحم صغيرهم　　وراع في كل خلق حق من خلقه

دخل ابن أبي خالد الأشبيلي على الشيخ أبي الحسن وكان بات مُصراً على حالة عصيان وفسوق، فلما جاء إليه بالغد، وقال له يا عثمان: مبيتك[2] البارحة على مخالفتك، يكفره[3] شهادتك بسبتة[4]، فكان الأمر كما قال، واستشهد بسبتة ـ رحمه ـ.

---

(1) من البحر البسيط.

(2) في (ب) جيئتك.

(3) في (ب) يكفر.

(4) سبتة مدينة مغربية، إحدى عواصم الجهاد والعلم في القديم، وتشتمل على سبعة أجبل ومن مشمولاتها مدينة بليونش الحافلة بالغروس والزروع والمرائي الحسان مع إحاطة البحر بها من جميع جهاتها إلا من جهة الغرب ولذلك شبهها مالك بن المرحل في بيتين من شعره بعود الغناء ملقى على ظهره، راجع الروض المعطار: 300. الحركة العلمية: 11 اختصار الأخبار 6، مجلة المناهل: عدد خاص 7712.

5 ـ أبو عبد الله محمد الحاتمي

ومنهم الإمام الأوحد، العالم المتبحر، الذائق الواصل المحقق قطب زمانه، شمس المعارف المشرقة، وروضة الأسرار المغدقة، أبو عبد الله محمد علي الحاتمي ـ رضي الله عنه ـ جده حاتم المعروف بالكرم، مُرسي الأصل، إمام في علمي الفصل والوصل، مشائخه لا تحصى، وفضائله لا تعد ولا تستقصى، صحب شيخ المشايخ، شمس المعارف، معدن الأسرار، ومكمن الأنوار أبا محمد عبد العزيز المهدوي[1] وقرأ عليه كتاب الاعتبار لابن غالب وكتب له من مكة رسالة «روح القدس في مناصحة النفس»[2] وذكر فيها عدة أشياخه، وأن منهم ميزاباً وفرساً، ونبهه ووعظه فيها وعظاً محركاً جداً، حتى إنه تحدث على قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[3]، مثلي ومثلك من كوننا ندعي العرفان، ولسنا منهم، سكن منارة قرطاجنة مع الشيخ وأصحابه، وكان له ابن عم من خدم الشيخ؛ فذكر الشيخ يوماً في مجلسه

---

(1) راجع الترجمة رقم (1).

(2) وتسمى أيضاً «مشاهد الأنوار القدسية، ومطالع الأنوار لإلهية»، وقد كتبها في سنة (600هـ/ 1203).

راجع أنس الفقير: 126، معالم الإيمان 3: 282، تاريخ الدولتين: 41 ـ 47، تاريخ أفريقيا 2: 337.

(3) سورة الشمس، الآيتان: 9 و10.

حديثاً، وهو «علماء هذه الأمة أنبياء سائر الأمم»[1]، فنقد عليه أهل زمانه ذلك؛ فكتب الشيخ من مكة رسالة «المشاهد والمواقف» سنة تسع وتسعين وخمسمائة ونص كتبه، قال العبد: «سألني الأخ الصفي الولي ابن العم بمحرس المنارة، الميمون بقرطاجنة[2] من شرقي تونس ـ أمَّنها الله ـ عن قول نسيج وحده، وفريد عصره، روح الحقيقة، وإمام الطريقة، سيدنا ومولانا، نورنا الأكمل الأعلى، وموردنا الأعذب الأحلى، الصدر الكبير أبو محمد عبد العزيز ـ نفعنا الله برؤيته، وأعاننا على مبرته ـ وكان محققاً في شأنه، قد فاق أهل زمانه توكلاً ومعرفة، وخشية ووراثة وسماحة وتخلقاً، أنه قال ـ أبقى الله بركته ـ: «علماء هذه الأمة أنبياء سائر الأمم» وتركها مهملة، ومرَّ في كلامه، وأرسل عنان خطابه».

وهذا الكلام دلَّ على أنه أكبر أشياخه، ومما يدل على أنه عنده بالمكانة العليَّة، والمنزلة الزكية القدسية، قوله بعد في أثناء الرسالة: «وبعد؛ فإشارة الشيخ المؤيد بنور الله أبي محمد عبد العزيز، ألطف وأخفى من أن أعثر عليها، أو أعبّر عنها، أو أشير إليها، مع أن الذي ظهر لي فيها ـ بيمن الله ـ لو كشفته لرأيت مقاماً وراء العقل، لكن إذا قرنته بالذي أشار إليه شيخنا المرضي وجدته كالقشر الأخضر الذي على الجوز، ووجدت الذي أراده الشيخ كالسر الذي في ذهن لبّ الجوز؛ فانظر ما بيني وبينه من مهامه تنقطع فيها رقاب السالكين[3]؛ فالحمد لله الذي وهب لشيخنا وحرمنا سرَّ الوجود من خزائن الجود».

قلت: هكذا يعظم التلميذ شيخه المرضي، وينشر فضائله بعد أن أحكم الطيّ، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل أهله، ويحسن جني الثمر من ازدان به أصله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ويتنعم به السادة الغرباء.

---

(1) ورد بلفظ آخر «علماء أمتي كأنبياء من قبلهم» وقد قيل إنه «لا أصل له» كما جاء في المقاصد الحسنة: 286.

(2) هذا الاسم تشترك فيه ثلاث مدائن اثنتان بالأندلس والأخرى بأفريقيا، تقع أولى الأندلسيتين عند جبل طارق، والثانية قرطاجنة الخلفاء من كورة تدمير، وهي فرضية مدينة مرسية، والثالثة بتونس وهي الشهيرة المقصودة، متميزة بآثارها العجيبة.

(3) في (ب) الشاكين.

فصل:

من كلامه حلية الأبدال نحا فيها منحى ابن العريف[1] في مجالسه، واطلع فيها نوراً في دوحة الأمل لمجالسه؛ فمن ذلك قوله: الحكم نتيجة الحكمة، والعلم نتيجة المعرفة، فمن لا حكمة له لا حكم له، ومن لا معرفة له لا علم له فالحاكم العالم لله نائم، والحكيم العارف بالله واقف، فالحاكمون العالمون لاميّون، والحكماء العارفون بائيون، لما شُغف الزاهد بترك دنياه والمتوكل بكلة[2] أمره إلى مولاه، والمريد بالسماع والوجد والعابد بالعبادة والجهد، والحكيم العارف بالهمة والقصد، غاب العالمون الحاكمون في الغيب؛ فلم يعرفهم عارف ولا مريد ولا عابد، ولا شهدهم متوكل ولا زاهد، فترك الزاهد للعوض، ووكل المتوكل لنيل الغرض، وتواجد المريد لتنفيس الكرب، وقصد العارف الحكيم بهمته الوصول، وإنما يتجلى الحق لمن امّحى رسمه، وزال عنه اسمه، فالمعرفة حجاب المعروف، والحكمة باب عنده يكون الوقوف، وما بقي من الأوصاف فأسباب كالحروف، وهذه كلُّها علل تعمي الأبصار، وتطمس الأنوار، فلولا وجود الكون لظهر العين، ولولا الأسماء لبرز المسمّى، ولولا المحبة لاستمر الوصال، ولولا الحظوظ لملكت المراتب، ولولا الهُويّة لظهرت الأنيّة، ولولا هُوَ لكان أنت، ولولا أنت لبدا رسم الجهل قائماً، ولولا الوهم لقوي سلطان العلم، فإذا تلاشت هذه الظلم، وطارت بمرهفات الفناء هذه البهم[3]:

---

(1) أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى الصنهاجي متصوف أندلسي من أهل المرية، ولد بها سنة 481هـ وبها نشأته ومرباه، وأخذ فيها علومه المتنوعة، وأقرأ الطلاب فيها وفي سرقسطة، وألف كتابه الذي أشار إليه ابن الطوّاح «محاسن المجالس» في التصوف، ويعد امتداداً لمدرسة ابن مسرة، وقد خشيه السلطان المرابطي لتأثيره على الناس فأمر بنقله إلى مراكش حيث توفي فيها عام (536/ 1141) ولكن أثره ظل متصلاً في تلامذته بعد وفاته، وبخاصة في تلميذه أحمد بن قسي الذي روى عنه ابن عربي ترجمته في: وفيات الأعيان 1: 54، برنامج الوادي آشي: 302، يتيمة العقود الوسطى: الورقة 393، شجرة النور الزكية: 133.

(2) في (ب) يكل أمره وهو الأصح.

(3) الأبيات من المتقارب، وقد كتب البيت الأول منها مدمجاً مع ما سبق من نثر، ولم يتنبه الناسخ لنظمه.

تـجـلّـى لـقـلـبـك مَـن لـم يـزل ... بـه قـاطـنـاً فـي غـيـوب الأزل
وما حـجـب الـعـيـن عـن فـرحـهـا ... سـواك ولـكـن بـضـرب الـمـثـل
تـبـيّـن لـلـقـلـب أن الـذي ... رآه بـه هـائـمـاً لـم يـزل
وجـاء خـطـاب يـعـم الـكـلام ... ويـبـدي سـنـاه رسـوم الـمـحـل

كان الشيخ أبو عبد الله أندلسي الأصل، رحالاً في طلب الفضل، وله ما لا يحصى[1] من التواليف كلها في علم القوم، وشعره كثير في كل الفنون، تواليفه تنيف على المائة وخمسين تأليفاً؛ فمن جملتها الفتح المكي في ثلاثين مجلداً، وفصوص الحكم، ومواقع النجوم وشرح الأسماء الحسنى، وشرح خلع النعلين لابن قصيّ ورأيتها وبرنامجها فلم أحصها كثرة، وكتاب العنقاء حيّر به قوماً حمقى فإنه أشار فيه، ونبّه واستعار في بيانه وما شبّه، فحسب الجاهل الغبي أنه بوصفه حفي، ولم يعن سوى نفسه، ولا نبّه على غير جنسه، وجعلها معنوية وحسيّة وعربية وعجمية، وإنما يعني بالعجمي ما استعجم، وعلى الأغبياء ما استبهم[2]، ومن طلب الحظ لنفسه حجب عن حسه بحسه، ذكره ابن سعيد[3] في خزانة التاريخ، ولم يوفّه حقّه، ولا علم نصحه للسالكين ولا صدقه، وأنشد له[4]:

(1) في (ب) ما يحصى.
(2) في (ب) ما استفهم.
(3) علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسبي المدلجي، مؤرخ أندلسي من أعلام القرن السابع المعروفين بالأدب والرحلة والتأريخ، ومن الأسر العالمة، ولد بقلعة يحصب قلعة بني سعيد قرب غرناطة حيث تعلم ونشأ، وأخذ علومه بأشبيلية ثم رحل إلى الغرب الإسلامي، وانتقل إلى المشرق، وألّف كتباً مهمة منها المشرق في حلى المشرق والمغرب في حلى المغرب، واختصار القدح المعلى والمرقصات المطربات، والغصون اليانعة ورايات المبرزين وخزانة التاريخ المفقودة التي ذكرها ابن الطواح، ولد سنة (610/1214) وتوفي بتونس سنة (685/1286) له ترجمة في:
فوات الوفيات 2: 89، نفح الطيب 1: 453، المغرب في حلى المغرب بغية الوعاة: 357، الأعلام 5: 179.
(4) من البحر الطويل؛ ترجمان الأشواق: 43.

لقد صار قلبي قابلاً كل صورة   فمرعى لغزلان وديراً لرهبان
وبيتاً[1] لأوثان وكعبة طائف   وألواح توراة ومصحف قرآن[2]

وله من الغراميات التي تفت الكبد، وتزيد الكمد[3]:

سلام على سلمى ومن حلّ بالحمى   وحق لمثلي رحمة أن يسلما
وماذا عليها أن ترد تحية   علينا ولكن لا احتكام على الدُمى
سروا وظلام الليل أرخى سدوله   فقلت ارحمي[4] صبّاً غريباً متيماً
فقالت أما يكفيه ما بي فقلبه   يشاهدني في كل حال أما أما[5]

بيان وكشف: كان محي الدين بالحرم يوماً؛ فجاء عز الدين بن عبد السلام، وهو إذ ذاك إمامهم ونقطة دائرتهم وإمامهم؛ فصلّى خلفه فنبذه بالزندقة، وأعاد الصلاة خلفه؛ ثم بعد ذلك أثبت له الولاية، وجعل اسمه في ديوان أهل الهداية[6]:

يوماً يمان إذا لاقيت ذا يمن   فإن لقيت معدّياً فعدنان

وأين رتبة أهل الرسوم، من رتبة الحال المعلوم[7] أولئك قوم خصوا

---

(1) كتبت في ترجمان الأشواق «بيت» بالرفع.

(2) جاء في شرح ابن عربي للأبيات «ما سمي القلب إلا من تقلبه فهو يتنوع بتنوع الواردات عليه، وتنوع الواردات بتنوع أحواله، وتنوع أحواله لتنوع التجليات الإلهية لسره، وهو الذي كنى عنه الشرع بالتحول والتبدل في الصور»، وقال: «ولما كانت الأرواح العلوية حافة بقلبه سمي قلبه كعبة، وهي الأرواح المذكورة له، إذا مسّه طائف من الشيطان فهن أصحاب الملمات الملكية، ولما حصل من العلوم الموسوية العبرانية جعل قلبه ألواحاً لها، ولما ورث من المعارف المحمدية الكمالية جعلها مصحفاً وأقامها مقام القرآن لما حصل له من مقام أوتيت جوامع الكلم»، ترجمان الأشواق: 43 ـ 44.

(3) من الطويل. ترجمان الأشواق: 25.

(4) في ترجمان الأشواق «فقلت له صباً غريباً متيماً».

(5) كتب البيت في ترجمان الأشواق: 27 هكذا:

وقالت أما يكفيه أني بقلبه   يشاهدني في كل وقت أما أما

(6) من البسيط.

(7) يقصد أين علماء الظاهر من علماء الباطن، وأين أهل الفصل من أهل الوصل، ويعني بهم المتصوفة والزهاد الذين حسنت صلتهم بربهم وتخلوا عن زيوف الدنيا وبهارجها.

بالعناية، واصطفاهم مولاهم للولاية لما كثر الكلام على محي الدين، شرفه عليهم بالكرامة سلطان السلاطين؛ فاجتمع فقهاء عصره بمجلس الخلافة، ولم يقصدوا في الجمع خلافه، وكان قصدهم بيان يقع؛ فأبى الله إلا أن يتم نوره، ويطلع في أفق الحفظ شموسه وبدوره؛ فقال لهم الشيخ محي الدين: أنتم أحطتم بما جاء به النبي ـ عليه السلام ـ من كل الوجوه؛ فقالوا: لا.

فقال لهم: ثم من أدرك ما لم تدركوا، فكأن عز الدين بن عبد السلام أنكر هذا القول فلما رآه الشيخ مُصراً على الإنكار، رفع يديه إلى السماء، وقال: اللهم ادحض حجته، وعم عن حاضريه محجته؛ فصعد منبر الخطابة في تلك الجمعة، فدعى على السلطان وطائفته فأزعج إلى الديار المصرية بعد إهانة شديدة، وضرب بالعصي، ومما ابتلى به محي الدين في دنياه، وامتحن به في رؤياه، أنه وُشي به إلى السلطان، ورفعت عليه كلمات شنيعة عندهم؛ فقال السلطان: قتله بمحضر الأعداء علينا يُستشنع، وهذا أمر فيه قدح على الدين إذا يُسمع، ولكن لا يخاتن، ولا يدانى ولا يخالط؛ فنبذوه وراء ظهورهم، وأبى الله إلا أن يتم نوره دون نورهم.

توفي ـ رحمه الله ـ بدمشق[1] سنة ست وثلاثين وستمائة، ودفن بالصالحية في تربة القاضي زكي الدين[2].

قلت: ذكرت هؤلاء الرجال الأربعة، وهم أصحاب أحوال وأقوال وأفعال، وكل منهم خُصَّ بابتلاء[3]، وصعد ذروة سنى وسناء، والابتلاء[4] نوعان: ابتلاء بالدنيا، وهو عند الصديقين أصعب الأشياء، وابتلاء بالمحن،

---

(1) هي قاعدة الشام، وعاصمة سوريا في الوقت الحاضر، سميت باسم صاحبها الذي بناها وهو دمشق بن قاني بن مالك بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام، وقد اتخذها بنو أمية عاصمة لحكمهم، وبها جامعهم الذي بناه الوليد بن عبد الملك سنة ثمان وثمانين، وقد أسهب الحميري في الروضة في وصفها وفي ذكر محاسنها الروض المعطار: 237.

(2) وقبره بهذه التربة مشهور معروف إلى اليوم، بل سميت المنطقة باسم هذا الشيخ إكراماً له وعرفاناً بقدره.

(3) في (ب) بالابتلاء.

(4) في (ب) وابتلاء.

وهي من مؤلمات الزمن، وكلاهما يُسمى عند الخصوص ابتلاء، وفي العموم اصطفاء، فالعافية عندهم في الأموال والإكثار، واللجين والنضار، وإنما العوافي عند الخواص، أن لا يفرق بين العطاء والفقد، لا أن يكون أشابة أو من ذوي المجد، وبالجملة الأمور بيده[1] مصدرها وموردها، ومحكم إمضائها ومسندها، ولما كنت عام أربعة وسبعمائة رأيت النبي ـ ﷺ ـ وابتليت ببلية بانت عندي تلك القضية، اقتديت فاهتديت بقوله ـ ﷺ ـ **«نحن ـ معاشر الأنبياء أشدُ الناس بلاءً، ثم الأمثلُ فالأمثلُ»**[2]، بعثت بالرسالة المدبجة التي سميتها **بنزهة الأحداق، وروضة المشتاق**[3]، وإن لم أكن منهم، ولا ممن يصلح للأخذ عنهم، فالمرء مع من أحبَّه[4]، وإن لم أكن مثلهم؛ فأنا ممن تشبّه، وهي: «سلامٌ نفحاته غذقة الأزاهير[5]، وصفحاته عبقة الأسارير، يختص تلك المعالم الأرجة، ويقتصر تلك الأندية البهجة، ويتوضع نسيمه تضوع مسك اللطائم[6] وينتعل خيمه هام الجوزاء[7] لا بل إكليل النعائم من شيق الفؤاد ملتهبه، خفاق الجنان معذبه يرتاح إذا هبَّ نسيم وجده، فتعرب الزفرات عن أليم وجده، جنانه عن محكم أشواقه مسند ولسانه عن برح غرامه منشد[8]:

نسيم وجد وإن هبت نوافحه ... فطيفها لم أزل وهناً أصافحه

مغنى الهوى ومنى الألباب عن بها ... معنى يشوقك غاديه ورائحه

كم أقلق شوقه قلق الدوائم، وأشجاه شجوه شجو الحمائم[9]، وأجرى

---

(1) في (ب) بيد.

(2) سبق تخريجه.

(3) تندرج هذه الرسالة ـ كما تقدم ـ ضمن الرسائل الحجازية أو الحجازيات التي حفل بها الأدب في الغرب الإسلامي والأندلس.

(4) لفت إلى الحديث الشريف الذي يقول فيه عليه الصلاة والسلام «يحشر المرء مع من أحب».

(5) في «ب» الأزاهر.

(6) اللطائم جمع اللطيمة: وعاء المسك. وفي (ب) الطلائع.

(7) الجوزاء برج من بروج السماء.

(8) من البحر البسيط.

(9) شجاه الأمر شجواً: حزنه، والحديث أطربه، وشجاه تذكر الألف، وأشجاه: شجاه.

دمعه جري الغمائم، فلا وجد إلا من أليمه يُسعر، ولا شجو إلا عن صحاح غرامه يسند ويؤثر، وجدير لمن فارق تلك المعاهد، أن يكون الشجن له موافقاً، والأسف مساعداً:

أشتاق إن ذكرت أعلام طيبتها   شوق الحمام له إلف يطارحه
ما حلّ بي جَذَل إذ لم أحلّ بها   وللأسى مأتم أنّت نوازحه

روضة ثراها يعبق أرجاً، ولالاؤها يبدو بهجاً لها على كل البقاع الفضل، وأنّى يُساجل وابل الغوادي[1] المحل، ناهيك بها بقعة ضمت أكرم الرسل قدراً، وأعظم الأنبياء فخراً، وسنن العصاة سراً وجهراً، فلولا إنسان العين ما عُينت، ولولا وسمي[2] الغبراء ما أزيّنت، ولولا الزند ما طُعن المثقف ولولا الكميُّ ما عرف المرهف:

يا روضة حلّ بدر التم ساحتها   وكنز سعد حُبي بالسول رابحه
لك الفخار فجر الذيل من طرب   وطائر اليمن قد وافاك سانحه

فهي العقيلة سناء وسنى، فلكم ذادت عن شيق[3] أرجائها وسنا، والعذراء التي لا تقبل عذر مقصر ولم يزل واقعها عن ساقي الجد مشمر، ذات البهاء والنور، والجذَل والسرور، والحبيب المفدّى بالنفوس، والأمل الذي ينفي به فادح البوس، كنز[4] السعادة، وهلال الأنجم الوقّادة، شمس المعالي، وعمدة السادة والموالي:

بدر تكامل إذ لاحت مطالعه   فعمت النور إذ ذرت مطارحه
بحر السماح وزهر الروض مُنتَشقا   قد طاب مائحه غرباً وفائحه
كم أدرك السول عافي كفه جذلا   كما بمدح علاه فاز مادحه

---

(1) جمع غادية وهي السحابة تنشأ فتمطر غُدوة.
(2) الوسمي: مطر الربيع الأول.
(3) في (ب) شين.
(4) في (ب) كنز.

إمام الرسل، وغمام المحل، وختام الفضل آياته مقررة، ومعجزاته مكررة، وفضائله منشورة مسطرة؛ فهو الأخير المقدم، والصارم المصمم، به ثغر الأمل باسم، وزهر الجندل ناسم[1]، فهو مفيد العفاة، ومبيد العداة، وملجأ العصاة، لا فخر إلا عنه يُسند، ولا ذكر إلا من أرومته يقصد:

أثنى عليه الذي في الذكر فضله   هيهات من بعد أن تحصى مدائحه
فاهت بأمداح خير الخلق ألسننا   كالمسك نمّت به ليلاً روائحه

سند الآملين، وسيد الأولين والآخرين، وضالة المنشدين، غيث اللأواء[2]، وليث الهيجاء بدر السماح[3]، وزهر البطاح، وسمي محل التقصير وهندي نصل التيسير، ختام الأنبياء، وغمام الأصفياء ناصر الوحي الصريح، وناشر الهدى الصحيح، معاليه جلّت فجلت، ومعانيه حلت فجلتْ، وشمس معجزاته شرقت فأشرقت، ودفقت الأشعة على أقطار الغبراء فاندفقت وائتلقت:

يا خاتم الرسل يا من طاب عنصره   ودوخت بالعدا قسراً فوادحه
وبلّغ الوحي عن مولاه مجتهداً   فخاب أعزل ذي جحد ورامحه

هو آية الله العظمى للبشر، أفلا ترى هديه يتضوع كنسيم الشجر، فلولاه لكنا في عمياء متلفة، ولتهنا بزيزاء[4] على شفا جرف هار مشرفة، لكنَّ هديه عمَّ فأنار، وألمَّ فاستنار، وحسبي ما رأيته عياناً، وتلقيته منه في المنام إيقاناً؛ فلي بذلك مزية[5] المصافحة، وحلية المنافحة، فتقبيلي كفه شرف مأثور، وهدي على مر الأيام عليَّ مقصور، ورجاؤه إيّاي، أزاح عني بلواي فليس هو بأول هدى من علم، وهل يُمدح العرنين[6] إلا بالشمم:

---

(1) نمست الريح نسماً ونسيماً: هبت، وتنسمت هبت هبوباً رويداً.
(2) اللأواء: ضيق المعيشة، وشدة المرض.
(3) في (ب) بدر السماء.
(4) الزيزاء: الأرض الغليظة، والأكمة والجمع: الزيازي.
(5) في (ب) حرية.
(6) العرنين: أول كل شيء، وما صلب من عظم الأنف حيث يكون الشمم، الجمع العرانين ويقال في المدح شم العرانين لمن عرفوا بالأنفة والاعتداد بالنفس.

بـلـغ عـبـيـدك سـؤلاً مـنـك ثـانـيـة فـطـالـمـا شُبَّ بـالأشـواق لافـحـه
وامـنـن عـلـيـه بـزور الـقـبـر مـن كـثـب فـبـرق سـؤلـي بـكـم قـد شـيـم لائـحـه

عقلة المستوفزين. . . .[1]، ونحلة الخاطبين[2] أصابته، وجنا العارفين خدمته، ووسيلة السالكين إلى الله محبته، من ذل لديه ذل، ومن حلَّ به القرى استحل، فالسجية العربية قرى الأضياف، وهبة الآلاف، وإيصال حبل الآلآف، وكم حمى نزيلاً، وأعز ذليلاً، وهدى إلى الله سبيلاً:

ما زلت أجني المنى مذ حلَّ هديك بي ولـن يـضـل إذاً مـن أنـت نـاصـحـه
فـلـي الـسـعـادة والـبـشـرى إذاً أبـداً إذ بـحـر جـدواكـم مـا خـاب سـابـحـه

ليلة ما كان أطيب وصلها، وأعذب شملها، لتمت بها كف الغمام، ورأيت بها بدر التمام، وسجعت لفراقها سجع الحمام[3]؛ فلم أنس ذاك الخطاب الشهي، والبشر المعسول الجني، والكلام السهل، والخطاب الفصل فيا له من نور غشى منزلي الخراب، وعمَّ مجلسي اليباب كساني حلة البهاء، وأقبسني مقباس الضياء:

فـمـنـزلـي مـنـزل الـسـعـد الـحـفـي بـه وكـان مـن قـبلُ قـد طـاحـت طـوائـحـه
فـمـرتـج الـعـزم إن لـم ألـفـه عـجـلاً حـسـبـي بـأنـك يـا مـولاي فـاتـحـه

هفت كلُّ القلوب، إلى لقاء المحبوب، واشتاقت الحوباء[4] حبيبها، وطلبت مرضى الفراق طبيبها، فيا لله ما أشجى الفراق، وأعز الاشتياق، عجباً كيف لا تذوب الأفئدة حرقاً، وتنقطع الكبد قلقاً، ويذوب الجنان[5] فرقاً، كيف الحال، والأمر قد حال، وقد فاز بالأحبة من نبذ المحال:

كـتـمـت مـا أنـا ألـقـى مـن مُـنـى بـكـم ومـنـيـتـي أنـنـي مـن بـعـد بـائـحـه

---

(1) كلمة غير واضحة، ربما قرنت إنابته، وفي (ب) ثابتة.
(2) في (ب) الخاطئين.
(3) السجع: ترديد الحمامة صوتها على طريقة واحدة، والسجع في النثر الفني الالتزام بالفواصل.
(4) الحوباء: النفس، الجمع: حوباوات. وجاءت اللفظة خطأ في (ب) الحرباء.
(5) في (ب) الجبان.

صلى عليك إله العرش ما صدحت   فوق القضيب حمامات تناوحه

المشتاق يطلب من الكمال نيل الآمال، ويدعو نهاره وليله، أن يجرر في طيبته ذيله، متوسلاً إلى جلال سيده بفك أسره، والإزاحة عن إصره، فقد عمّه الأسى، وفني تعللاً بليت ولعل وعسى، داعياً إلى الله ببركة البيت وأهله، أن يجمع بكم مفترق شمله، فحاله قلّب، وبرق أمله خُلّب، وأطماعه تضرب أصدريها، وتنشد وأحر قلباه ألسننا لديها، هذا ولي أمل مشمر عن ساق وجد[1]، وعزم مُغلق بلغ الغاية ثم انتهى إلى حد، لكن الأسباب تتعذر، والوسائط الموصلة لا تتيسر[2]، وجهد المقل عزم دائم، وجزم ملازم، وما حال المنغمس في الزلل، المتلفع بجلباب الخطل، من لا يجد خليلاً، ولا إلى الرشاد سبيلاً، قد عدم المؤنس الموصل، والصديق المعلل، فيعلم الله أن غذاء الأجسام القوت، وغذاء الأرواح الملكوت، ولا خليل إلى ذلك يجنح، ولا عين إلى نور عالم الجبروت تطمح؛ فانطمست عين خديم الروضة المحمدية المطلبية الهاشمية، ورمدت عينه، وتفاقم لهذا الخطب الملم أينه، والعبد يرغب من وسيلة الخلق، وخميلة الحق، أن يفرج أزمته، ويؤنس بذلك المقام وحشته، ومعاذه على الروضة القدسية المحمدية المطلبية الهاشمية، ورحمات الله وبركاته، من لاثم براها، وناسم ثراها، عبد مقامها، المنتجع رياض غمامها، الرافل في أبراد أمله، المقر بخطئه الجم وخطله، المعتمد على قطبها المحيط الأعظم، شفيع الأنام والطراز المعلم؛ فلما طلع بأفق أملي بدر السعادة المشرق، وأراح عن قلبي نجم المخالفة المخفق، حمدت الله الذي ألهمني للرشد، وأقام عندي هذا الخطب الملم بالخلد[3]، ومن ذلك الآن، ارتاض الجنان، ووقع الامتنان، وسهّل الله سبحانه عليَّ فهم العويص من كلام أهل الإشارة، والرموز الخفية والعبارة، ابتليت بعدم المعين، وفقد الماء المعين،

---

(1) في (ب) جده، وختام الفاصلة إلى حده.

(2) في (أ) لا تيسر.

(3) في (ب) بالخلة.

وكنت والأشواق تحرق جناني، وتخرس الفكر في الوجود الحق لساني، إن نطقت أظهر الجلساء الهزء والسخرية والبلادة والعنجهية[1]، وقالوا هذا سخفٌ به ينطق وحمق هو به في ميدانه لا يلحق، وينشد إذ ذاك لسان حالي، للعاطل منهم والحالي[2]:

كل كنى عن شوقه بلغاته ولربما أبكى الفصيحَ الأعجمُ

ولقد كتبت في هذا المعنى لبعض الفقراء من الأصحاب رسالة بيَّنت حال ذوي الإعجاب، المنغمسين في شهوات النفوس، وهي «سلام الله العطر الريا، النضر المحيّا، يخص ناديكم الأرج، وتفيض معلمكم البهج، معلم الدراية والديانة، ومعهد الإخلاص والورع والصيانة، مقبس أنوار الحقائق الوقّادة ذات الألاء، وشجرة التحقيق التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، منبع الأذكار الخفية، وقرارة الأسرار الزكية القدسية، حوزة سلوك العارف المنقطع، وأفق بارق التجريد الملتمع من وادكم في الله وداد المخلصين العاملين على أداء مفروضاته المنقطعين، ورحمة الله وبركاته، بلّغه الله أمله من واهبه وفيكم، وألف بيننا مألفاً نروي فيه حديث السلوك عنكم، فلقد تشوقنا إلى المآنس بكم، شوق الدوائم وحمنا على ذلك لو أسعفت الأقدار به حوم النسور الحوائم، وأنى يقر قرار القلب المتقلب، ويرقأ دمع العين المنسكب، والديار متنائية، على أن القلوب وإن بَعُدَ مزارها متدانية، فنحن ـ وإن تناءت أجسادنا فلطالما ناجت نجوى الأصفياء أكبادنا، وأيم الله لقد اشتقنا مجالس الأنس بكم المعهودة، وتذكرنا أوقات الذكر الحقيقي الليالي المشهودة، على أنكم مذ بنتم بان الأنس أجمعه، إذ منكم كان يعهد بدر كماله المشرق ومطالعه[3]، والقبة منذ فقدتكم عينها عمياء، وأذنها عن سماع غير كلامكم صماء ندبها من البقر

---

(1) العنجهية: الكبر والعظمة والجفاء. وفي (ب) العنجفية.

(2) من الكامل.

(3) في (ب) مطلعه.

ذود فذود[1]، وامتد بها الأغبياء والمتفقهين[2] طود وطود، فلكم مزكوم بها لا يستنشق نسيماً، ولا ينتجع من لطيف الإشارة إلا يبساً هشيماً، ولا يهب ريح ارتياح إلا سموماً، إن ذكرت له الزهادة عدّها لك بلادة، أو ذكرت له القناعة صيّرها لك ضراعة، أو هممت بذكر الرجال عدّ ذلك من باب ضيق المجال، أو تحدثت في أصناف العلوم كان ذلك عندهم من أشجان الغموم، يقطبون للسالك تقطيب المزمن، ويلغونه بوجه الهمزة المستيقن، لا يجنحون إلا إلى الخضم والقضم[3] ولا يبحثون إلا في عناقيد ابنة الكرم؛ فمنهم من يفضل العسلي على سواه، ومنهم من يفضل التين القوطي ولا يعدل عن هواه[4] وهم على اختلاف أصنافهم، وائتلاف طباعهم المذكورة وأوصافهم، لا يفهمون من الفقر إلا رقصاً وأكلاً[5]، ولا من التجريد إلا مرحباً وأهلاً وسهلاً، من ترشد منهم يضل ويجمع، ومن تزحزحه عن الخطأ مكانه لا يبرح، فطوراً أسكت أمامهم، وطوراً أتكلم، وطوراً أشكيهم إصابة للغرض، وطوراً أتظلّم، والناس إن سالمتهم ركبوك وإن آذيتهم تحاموا عليك ونبذوك، فالسلامة منهم غريبة، والندامة منهم دانية قريبة، وبعض من كان ينتابكم آض[6] بطبعه العقربي يغتابكم، وتمامها يطول ذكره.

قلت لما أفعم الإناء، وطال العناء[7]، نفث مصدور بما أكن، وأظهر معذور من قلقه ما أجنُّ، ولله نفحات في أيامه يخص بها من شاء من أنامه، قد استرسل الكلام، واستسهل[8] الإلمام، وهو شرطنا في هذا الكتاب، وربطنا في

---

(1) الذود: القطيع من الإبل بين الثلاث إلى العشر (مؤنث) وفي المثل «الذود إلى الذود إبل».
(2) المتفيقه: المتعالم المدعي الفقه.
(3) الخضم: الأكل بجميع الفم، أو بأقصى الأضراس، والقضم: كسر الشيء بأطراف الأسنان.
(4) كناية عن الاشتغال بالدنيا وتلذاذاتها الفانية.
(5) راجع في ذلك ما كتبه الإمام المحقق شيخ الإسلام موفق الدين ابن قدامة المقدسي في رسالته: «ذم ما عليه مدعو التصوف».
(6) آض: عاد وانقلب؛ والطبع العقربي رمز للطبع المؤذي غير السوي.
(7) في (ب) الفناء.
(8) في (ب) واستبسل.

هذا الإسهاب فكمال الغرض في ذكر الأولياء، وإدراج كلمات الأصفياء فلنرجع إلى ما كنا بصدده، وما شمنا[1] برقه قبل في صعده؛ فأقول دون حاجة بالتصريح، وينشد لسان حالي إنشاد فصيح[2]:

فـانـنـي أن أرى الـديـار بـعـينـي　　فـلـعـلـي أعـي الـديـار بـسـمـعـي

(1) شام السحاب والبرق: نظر إليه يتحقق أين يكون مطره. وفي (ب) وما اشهنا.

(2) من البحر الخفيف.

6 ـ أبو الحسن علي النميري (الششتري)(*)

وممن صدر له في طريق القوم نثر ونظام، وجلت شموس بلاغته للجهالة سحب ظلام، الشيخ الأوحد العارف الصوفي المحقق المدرك الرحال، أبو الحسن علي بن عبد الله النميري[1] ـ رحمه الله ـ كان تاجراً سفاراً فتأدب، وقرأ علم الرأي ثم تصوّف وذاق لعهده الأول اشتاق، وكلامه فيه عذوبة، والمعرفة لم تزل معه مصحوبة، شارك في كثير من العلوم، وله من التواليف كتاب العروة الوثقى، وكتاب المقاليد الوجودية والعلمية في آداب القوم ـ رضي الله عنهم ـ

(*) من أعلام التصوف والأدب في الغرب الإسلامي والأندلس، حلاّه أحمد المقري بقوله: «عروس الفقهاء» واسمه علي بن عبد الله النميري الششتري، ويكنى أبا الحسن، وهو ينسب إلى منطقة ششتر من عمل وادي آش بالأندلس، وفيها درس وحصل معارفه، ثم شرع في السياحة والانتقال فمرّ بالمغرب الأقصى والأوسط والأدنى، وحل بمصر حيث توفي بقرب مدينة دمياط سنة (668/ 1269م) وكان له أتباع كثيرون ومريدون، قيل إنهم كانوا ينيفون على أربعمائة فقير ينهضون بخدمته، وإلى ذلك فقد ألف كتباً وصنّف مصنفات منها: «المقاليد الوجودية في أسرار الصوفية» و«العروة الوثقى في بيان السنن وما يجب أن يفعله المسلم» وله «ديوان» باسمه نشره الدكتور علي سامي النشار، حظي بإعجاب القدامى والمحدثين.

له ترجمة في: نيل الابتهاج: 321، عنوان الدراية: 239، شجرة النور الزكية: 196، توشيح الديباج: 166، المخطوط رقم 969ك، تاريخ أفريقيا 2: 339 ـ 427، ديوان أبي الحسن الششتري: 4 ـ 20، شرح أحمد عجيبة على مقطعات الششتري (مخطوط) خع رقم 1974 د. المطرب في مشاهير أولياء المغرب: 125.

(1) في (ب) النمري.

مؤيدة بالحديث الصحيح، المتن والسند، وله شعر كثير وأزجال يتداولها الفقراء، وله المعراجية والقدمية والقصارية، كان سفاراً جوّاباً، ولسبيل التجريد منتاباً، يقال إن أهل طرابلس[1] اجتاز عليهم؛ فأخذوا عنه أنواعاً من العلم، واستفادوا به، وكان إذ ذاك قاضي بلدهم، قضى نحبه؛ فكتبوا إلى حضرة الخلافة العليّة أن يطلبوا من يقدم عليهم وأدرجوا في كتبهم الطلب أن يكون الأندلسي الذي بين أظهرهم؛ فلما بلغه ذلك لم يوافق عليه، ولا مال إليه، فاستحمقوه، وعتبوا عليه[2] فأنشد قصيدته الشهيرة المتداولة بين الفقراء، وهي[3]:

رضى المتيم في الهوى بجنونه ... خلّوه يفني عمره بفنونه
لا تعذلوه فليس ينفع عذلكم ... ليس السلوُّ عن الهوى من دينه
قسماً بمن ذكر العقيق من أجله ... قسم المحب بحبه ويمينه
مالي سواكم غير أني ثابت[4] ... عن فترة في الحب أو تلوينه
ما لي إذا هتف الحمام بأيكة ... أبداً أجن بشجوه وشجونه[5]
وإذا البكاء بغير دمع دابه ... فالصبُّ يحوي دمعة بشؤونه[6]

(1) هي ـ كما قال الحميري في الروض ـ «من مدن أفريقيا، وهي مدينة كبيرة أزلية على ساحل البحر يضرب في سورها، وهو من حجر جليل من بناء الأول، وقد فتحها عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ سنة ثلاث وعشرين»، ص389، وهي اليوم عاصمة ليبيا، ولا يزال أهلها إلى يومنا ينشدون أشعاراً ومقطعات من شعر وزجل هذا الصوفي الكبير الذي حل بين ظهرانيهم؛ ويسمون ذلك «الشـشتري» منسوباً إليه.

(2) القصيدة ـ كما ذكر الدكتور علي سامي النشار في الديوان: 77 «لم ترد في مخطوطات الديوان، ولكن ذكرها زروق في شرحه على النونية، وكذلك ابن عجيبة في شرحه عليها»، قال: «وذكر ابن عجيبة: نزل طرابلس؛ فأخذ عنه أهلها علوماً، ثم عرضوا عليه منصب القضاء؛ فأبى فاستحمقوه، ونسبوه للجنون، فذهب إلى السوق يغني». ثم أورد الأبيات.

(3) من الكامل.

(4) في الديوان تائب، وعجز البيت في الديوان «عن فاترات الحب أو تلوينه».

(5) في الديوان «أبداً أحنُّ لشجوه وشجونه» وأيكه وردت في (ب) بأبله.

(6) في الديوان «بعيونه».

أخبرني صاحبنا الشيخ الفقيه الأعدل، أبو علي الطنهلي[1] أيام مقامي بباجة[2] وذلك في جمادى الأولى عام عشرة وسبعمائة، قال لي: قرأت على الشيخ الأوحد الإمام المدرك المحقق أبي الحسن كتاب المنفصل[3] وأجازنيه، وكان يقرأ المستصفى للإمام أبي حامد[4] ويجيد إقراءه، وكتاب المقامات فيها له طريقة حسنة[5] وكان بباجه إذ ذاك الشيخ الصالح المتزهد، العارف السني أبو محمد الهرغي قال: وكان سكناه بمسجد التوبة من البلد المذكور؛ فكان شبان البلد وكهولهم يخرجون إليه تبركاً، وأخذاً للعلم عنه، قال: فقال لي أبو محمد الهرغي: لا تمشِ لعند النميري، ولا تدن بساحته، فعند ذلك اجتمعت بالشيخ أبي الحسن فقال: أين كانت غيبتك؛ فخجلت منه، ثم قال لي[6]: تكلم فقلت له: نهاني الشيخ أبو محمد الهرغي أن أجيء إلى هنا، وذكر كلاماً فيه هناة، قال: فذرفت عيناه، وقال لي: أمرنا إلى الله؛ فرجعت يومي ذلك إلى الشيخ أبي محمد الهرغي، وقلت له ما جرى منه، فقال لي: كيف قال؟، فقلت له: قال؛ أمرنا إلى الله، فأعدتها عليه ثلاثاً، وبقي الشيخ يكررها يومه كلّه، ولم أسمع منه فيه بعد شيئاً، ويقال: إنه رجع عن مذهب من ينتمي إليه، وتاب من

(1) في (ب) الطهبلي.
(2) سميت عدة مدن بهذه التسمية، كباجة الأندلس، وباجة الزيت بأفريقيا، وباجة مصر، والمقصود هنا باجة أفريقيا والتي تسمى أيضاً باجة القمح.
(3) كتاب المفصل من تأليف العلامة الزمخشري في النحو أتمه في غرة المحرم سنة 514.
(4) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي المعروف بحجة الإسلام، جمع بين العلم والفلسفة والتصوف، مولده ووفاته في الطابران (قصبة طوس بخراسان) حيث ولد في عام (450 ـ 1058) ورحل إلى نيسابور وبغداد فالحجاز فبلاد الشام، فمصر، ونهض خلال ذلك بالتدريس والإقراء والإفتاء، والتأليف التي بيّن بها حقيقة الدين، وهتك بها ستر الملاحدة والضالين، ومن أبرز تآليفه «إحياء علوم الدين» والكتاب المذكور «المستصفى» و«الاقتصاد في الاعتقاد» و«محك النظر» و«مقاصد الفلاسفة» و«المنقذ من الضلال» و«فضائح الباطنية» و«تهافت الفلاسفة» وغيرها من التآليف وتوفي في عام (505/ 1111).
له ترجمة في: وفيات الأعيان 1: 463، طبقات الشافعية، 4: 101، الوافي بالوفيات 1: 277 مفتاح السعادة 2: 191، شذرات الذهب 4: 10 الأعلام.
(5) ربما أراد بالمقامات هنا مقامات الحريري التي كانت أكثر انتشاراً في الغرب الإسلامي والأندلس من مقامات بديع الزمان الهمذاني.
(6) في (ب) فقال لي.

ذلك، وأظن هذا القول صادقاً فإن لكلامه من الحلاوة ما لم يكن في كلام شيخه.

قلت: شعره في التحقيق من النمط العالي[1] وله أزجال مطبوعة كأنها للقلوب مصنوعة، نحا نحوه أبو محمد عبد الله الطبيرلي[2] ولم يدانه، ولا شأنه مثل شانه، كم بين من يغترف من نهر، وبين من يقتطف من صخر، من راءٍ ليس مثل من سمع، ولا من انطوى مثل من شبع، ومن بديع نظمه في طريق المحققين، كلمته البديعة الفذة الرفيعة، التي أحاط بمعاني التحقيق فيها، وكشف السر المصون في ألفاظها ومعانيها، وهي[3]:

تری[4] طالباً منا الزيادة لا الحسنى ... بفكر رمى سهماً فعدّى به عدنا

وطالبنا مطلوبنا من وجودنا ... نغيب به عنا لدى الصعق إذ غنى[5]

تركنا حظوظاً من حضيض لحوظنا ... مع المقصد الأقصى إلى المطلب الأسنى

ولم نلف كنه الكون إلا توهماً ... وليس بشيء ثابت منه ألفينا

---

(1) لم يبقَ من هذا الشعر إلا النزر القليل، وهو ما أثبت بعضه الدكتور علي سامي النشار في تحقيقه للديوان، والقدر الذي وصل إلينا من موشحاته وأزجاله أكثر مما وصل إلينا من أشعاره ومع ذلك فقد ندت عن الدكتور أصول خطية فيها أشعار وأزجال للششتري لم يطلع عليها.

(2) كتب في المخطوط (الطبيرلي) وهو تحريف، ونظن أن المقصود بالوصف أبا محمد عبد الله بن محمد السليم الطبيري الشريشي المولود بالأندلس، والمنتقل مع أسرته إلى تونس، وهو صاحب ابن رشيد السبتي، وأحد شيوخه، وقد وصفه بقول ينطبق عليه قال: «قرأ وتأدب وتصوف وتعبد وتزهد، وتطور ولبس الخرقة، وتخلق بأخلاق الصوفية. وتبعهم في لباسهم»، وذكر ابن رشيد أن له أشعاراً وأزجالاً، كان ينشدهم منها في الطريق إلى الحج باستدعاء أبي محمد المرجاني، راجع ملء العيبة، الجزء الثاني: 163 وفي (ب) الطيبري.

(3) من البحر الطويل، راجع ديوان أبي الحسن الششتري: 72 وذكر في مخطوط الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 969ك، أن القصيدة تعد سبعين بيتاً، وهي من القصائد المشهورات وقد شرحها الشيخ أحمد زروق، راجع مخطوط مدريد ص4 و186. ومخطوط الاسكوريال: 1955، الاضبارة: 72، وشرحها أيضاً الشيخ محمد بن عجيبة، راجع مخطوط عبد الله كنون بطنجة 10151 وقد أثبتها لسان الدين كاملة في كتابه روضة التعريف بالحب الشريف 2: 609.

(4) في الديوان «أرى» وكذلك في روضة التعريف.

(5) في الديوان «عنا»، وكذلك في (ب).

فرفض السّوى فرض علينا لأننا بملة محق الشك والشرك قد دنا
ولكنه كيف السبيل لرفضه ورافضه المرفوض نحن وما كنا
فيا قائلاً بالوصل والوقفة التي حجبت بها اسمع وارع مثل ما ابنا
تعبدت للأوهام[1] لما تداخلت عليك ونور العقل أوردك[7] السجنا
وهمت بأنوار فهمنا أصولها ومنبعها من أين كان فما همنا
وقد تحجب الأنوار للعيد مثل ما تبعد[3] من أظلام نفس حوت ضغنا
وأيُّ وصال في القضية يُدّعى وأكمل مَن في الناس لم يدع الأمنا
ولو كان سر الله يدرك هكذا لقال لنا الجمهور ها نحن ما خبنا
وكم[4] دونه من فتنة وبليّة وكم مهمه من قبل ذلك قد جبنا
فلا تلتفت في السير غيراً وكل ما سوى الله غير فاتخذ ذكره حصنا
وكل مقام لا تقم فيه إنه حجاب وجد[5] السير واستنجد العونا
ومهما تر كلَّ المراتب تجتلي عليك فحل عنها فعن[6] مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب فلا صورة تجلى ولا طرفة تُجنى
وسر نحو أعلام اليمين فإنه[7] سبيل بها يمن فلا تترك اليمنا
أمامك هول فاستمع لوصيتي عقال من العقل الذي منه قد تبنا
أباد الورى بالمشكلات وقبلهم بأوهامه قد أهلك الجن والبنا

---

(1) في الديوان: «تقيّدت بالأوهام» وكذلك في روضة التعريف.
(2) في الديوان: «أورثك».
(3) في الديوان: «تقيّد».
(4) في الديوان: «فكم» وكذلك في روضة التعريف.
(5) في الديوان: والروضة «فجدّ» والحجاب عند الصوفية حاجز مشبع بالسلبية بتجنبه المتصوفة، فالحجاب فاصل موصل وليس مانعاً.
(6) في الديوان: «فعين» والأصح ما في المخطوط.
(7) في الديوان: «فإنها».

محجتنا قطع الحجا وهو حجنا وحجتنا تتلوه باءٌ بها تُهنا
يثبطنا[1] عند الصعود لأنه يودُّ لو انا للصعيد قد ادخلنا
تلوح لنا الأطوار منه ثلاثة كراءٍ ومرئي ورؤية ما قلنا
ويبصر عبد[2] عند طور بقائه ويرجع مولى بالفنا وهو لا يفنى
ويظهر باسم النفس والشر مدبراً وعقلاً وخيراً مقبلاً عندما يدلى[3]
ولوح[4] إذا لاحت سطور كياننا به فيه وهو النون والقلم الأدنى
وعرش وكرسي وبرج وكوكب[5] وحشو لجسم الكل في وصفه حرنا
تمر[6] خطوط الدهر نحو التفاته أحاطته القصوى التي فيه أظهرنا
يقطع[7] بالأزمان للدهر مثلما يكيّف للأجسام من ذاته الأينا
أقام دوين الدهر سدرة ذاته ونحن ونفس الكل في بحره غصنا[8]
وفتّق للأفلاك[9] جوهره الذي يشكله سر الحروف فحرفنا[10]
يفرق مجموع القضيّة ظاهراً ويجمع[11] فرقاً من تداخله فزنا
وعدد شيئاً لم يكن غير واحد بألفاظ أسماء بها شتت المعنى

---

(1) في الديوان: «ابطتنا» وآخر العجز «قد أخلدنا» كما في الروضة.
(2) في الديوان: «عبداً» وكذلك في (ب) وفي الروضة أيضاً.
(3) هذا البيت لا يوجد في الديوان وموجود في الروضة.
(4) في الديوان: «ولوحاً» وعجز البيت: «له فيه وهو اللوح والقلم الأدنى» وكذلك في الروضة.
(5) في الديوان: «وعرشاً وكرسياً وبرجاً وكوكباً» بالنصب والعجز «وحشواً لجسم الكل في بحره عمنا».
(6) في الديوان: «يكد خطوط الدهر» وفي الروضة «يمد خطوط الدهر».
(7) في الديوان: «يقيّد» وفي الروضة.
(8) عجز البيت في الديوان: «ونحن ووصف الكل في وصفه حرنا» وفي الروضة «ونحن ونفس الكل في بحره عمنا».
(9) في الديوان: لأفلاك، ولا يستقيم باللفظ الوزن.
(10) في الديوان: «بحرفينا» ولفظ البيت في المخطوط أدق وكتب اللفظ في روضة التعريف كالديوان.
(11) في الديوان: «وتجمع». وجاءت كلمة ظاهراً في (ب) مرفوعة.

ويـعـرج والـمـعـراج مـنـه ذواتـه[1] لتطويره العلوي بالوهم أسرينا
ويـجـعـل سـفـلـيـاً ويـوهـم أنـه لسفليه[2] المجعول بالذات أهبطنا
يقدر فصلاً بعد وصل بذاته[3] وفرض مسافات يمد لها[4] الذهنا
يحل لنا طور المعيّة شكله[5] وإن لمعت منه فتلحقه الينا
ويلحقنا بالشرك من مثنوية تلوح لنا وهو الملوّح والمثنا
فنحن كدود القز يحضرنا الذي صنعنا لرفع[6] الحصر سجناً لنا منا
فكم واقف أردى وكم سائر هدى وكم حكمة أبدى وكم مملق أغنى
وتيم أرباب الهرامس[7] كلهم وحسبك من سقراط[8] أسكنه الدنا
وجرّد أمثال العوالم كلها[9] وأبدى لأفلاطون[10] في المثل الحسنا
وهام أرسطو حتى مشى من هيامه وأبدى الذي ألقى إليه وما ظنا[11]

---

(1) في الديوان: «لذاته» كما في الروضة.

(2) في الديوان: «سفليها».

(3) في الديوان: «يقدر وصلاً بعد فصل لذاته».

(4) في الديوان: يجد لها.

(5) صدر البيت في الديوان هكذا «يجلى لناطور المعيّة شكه».

(6) في الديوان: بدفع.

(7) الهرامس: الأسد الجريء، وولد النمر، والهرموس: القوي الرأي، الداهية المجرب.

(8) في الديوان وفي شرح ابن عجيبة بقراط، وسقراط (469 ـ 399ق.م) فيلسوف يوناني كان أبوه نحاتاً وأمه قابلة، لم يعرف عنه الاهتمام بكتابة الآثار المدونة ولكنه عرف بكثرة تلاميذه الذين يعد أفلاطون من أبرزهم، كان يعاون ويقوم من يحاوره للاهتداء إلى الحق، فإذا علم أنه من السوفسطائيين سخر منه وتهكم عليه، وبمن مظاهر فلسفته أن هنالك حقائق عقلية قارة يمكن الاهتداء إليها من الحالات الجزئية المتغيرة، وأن العلم والفضيلة شيء واحد.

(9) إشارة إلى عالم المثل القائلة بأن لكل شيء في عالم الواقع مثالاً يشابهه في العالم المذكور ولكنه أعلى منه وأسمى.

(10) أفلاطون: من فلاسفة اليونان المعروفين (430 ـ 347) راجع ترجمته وما يتصل بفلسفته: الفهرست 357، تاريخ الحكماء: 17، الملل والنحل 2: 88.

(11) والعجز في الديوان ورد هكذا «وبث الذي ألقي إليه وما ظنه».

وكان لذي القرنين[1] عوناً على الذي تصدّى له[2] وهو الذي طلب العينا
ويبحث عن أسباب ما قد سمعتم وبالبحث غطّى العين اذرده غينا
وذوّق للحلاج[3] طعم اتحاده فقال أنا من لا يحيط به معنى
فقيل له ارجع عن مقامك[4] قال لا شربت مُداماً كل من ذاقها... [5]
أنطق للشبلي[6] بالوحدة التي أثار بها لمّا محا عنده الكونا
أقام لذات النوفري[7] مولّهاً يخاطب بالتوحيد صيّره خدنا
وكان خطاباً[8] بين ذاتين من يكن فقيراً يرَ البحر الذي فيه قد غصنا
وأصمت للجنى تجريد خلقة مع الأمر إذا أضحت[9] فصاحته لكنا

---

(1) ذو القرنين: لقب أطلق على كثيرين، والمراد به هنا الإسكندر المقدوني، الوارد ذكره في سورة الكهف الآية رقم 83، وسمي بذلك لأنه ملك بلاد فارس وبلاد الروم، وأيضاً لعظم قوته، فالقرنان كناية عن السطوة والسلطة.

(2) في الديوان: تبدّى له وكذلك في الروضة.

(3) أبو مغيث الحسين بن منصور، تقدمت ترجمته.

(4) في الديوان عن مقالك كما في الروضة.

(5) القافية ساقطة في المخطوط، وفي الديوان غنّى وسقطت أيضاً في (ب).

(6) الشبلي هو دلف، واختلف في اسمه ونسبه فقيل دلف بن جعفر، وقيل جحدر بن دلف، وهو من النساك كان في بدء حياته والياً في دنبا وند وولي الحجابة للموفق العباسي، ثم زهد في بهارج الدنيا، واشتغل بما ينفعه، فعرف بالصلاح والتقوى، ولد في سنة (247هـ وتوفي عام 334هـ) وله ترجمة في وفيات الأعيان 1: 180، حلية الأولياء 10: 366، الديباج المذهب 1: 360.

(7) في الديوان: النفري، وظاهر أنه يريد به محمد بن عبدالجبار بن الحسن النفري المكنى بأبي عبد الله المتوفي عام (354/ 965)، وهو أحد المتصوفة المشهورين ينسب إلى بلدة النفر من أعمال الكوفة بالعراق، من آثاره العلمية كتاب «المواقف» وكتاب «المخاطبات» في التصوف، وهناك متصوف أندلسي متأخر عن ابن الطواح هو محمد بن إبراهيم ابن عباد النفري، راجع في أخبار الأول.
شذرات الذهب 5: 433، الأعلام 7: 55 وأثبت الاسم في الروضة وفي شرح ابن عجيبة النوفري: وهو اسم غير معروف.

(8) في الديوان: خطيباً.

(9) في الديوان: «صارت».

تثني قضيب البان من شرب خمرة   وكان كمثل الغير لكنه ثنى
وكم شذ بالشوذي[1] عن نوعه فلم   يمل نحو أخدان ولا سكن[2] الدنا
وأصبح فيه السهروردي[3] حائراً   يصيخ لما يلقى الوجود له أدنا
ولابن قسي[4] خلع نعلي وجوده   ولبس[5] إحاطات من الحجر قد تبنا
أقام على ساق المسرة نجلها   لمزن من الأسرار فاستمطر المزنا[6]
ولاح سنا برق من الغرب للنُّهى   لنجل ابن سيناء[7] الذي ظن ما ظنا
وقد قلّد الطوسي[8] من قد ذكرته   ولكنه نحو التصوف[9] قد حنا
ولابن طفيل[10] وابن رشيد[11] تيقظ   رسالة يقظان اقتضت فتحه الجفنا[12]

---

(1) في الديوان: «وقد شذ بالشوذي، وهو شخصية صوفية أندلسية غامضة من أصحاب الاتجاه الصوفي المتفلسف القائلين بالوحدة المطلقة، قيل إنه ولي القضاء بأشبيلية في آخر عهد دولة الموحدين ثم ظهر عليه الجذب والتزهد، فصار يمشي في الأسواق ويوزع الحلوى على الأطفال فسمي بسيدي الحلوى ومن المنسوبين إليه الششتري والحرالي وابن سبعين.

(2) في الديوان: ولا ساكن مدنا.

(3) الراجح أن المقصود بالسهروردي في هذا المقام يحيى بن حبش بن أميرك المكني بأبي الفتوح شهاب الدين السهروردي المولود في سهرورد سنة (549/1145) فمن المعروف عنه أنه كان فيلسوفاً منسوباً إلى الإنحلال في العقيدة والدين، وكان كما وصفه ابن خلكان صاحب علم زاد على عقله، وقد دعت حيرته التي أفضت إلى زندقته إلى أن أفتى العلماء بقتله، فسجنه الملك الظاهر غازي وقتله عام (587/1199م)، وقد ترك آثاراً قلمية منها: «هياكل النور»، و«المناجاة» و«التنقيحات» و«التلويحات» وغير ذلك. له ترجمة في وفيات الأعيان 2: 261، مفتاح السعادة 1: 247.

(4) في الديوان: ولابن قسي خلع نعل.

(5) في الديوان: وليس.

(6) عجز البيت في الديوان: لما رمز الأسرار واستمطر المزنا.

(7) ربما أشار الششتري بذلك إلى الرئيس أبي علي الحسين ابن سينا الذي سنأتي إلى ترجمته فيما بعد.

(8) في الديوان: «وقد خلّد الطوسي» والطوسي: نصير الدين أحد علماء الإسلام وفلاسفته، وله تآليف متعددة، دامت حياته بين سنتي (1201 ـ 1274).

(9) في الديوان: «التصرف».

(10) هو أبو بكر محمد بن عبد الملك، ولد في برشانة من أعمال المرية سنة (506) وتلقى تعليمه في الأندلس فدرس الفلسفة والطب واشتغل بهما في قطره وفي المغرب، وكانت وفاته سنة (581) واشتهر بقصته الفلسفية حي بن يقظان راجع المعجب وتحفة القادم.

(11) كذا كتب في المخطوط، ولعل المراد ابن رشد الفيلسوف المشهور وهو المذكور في روضة التعريف.

(12) في الديوان: «رسالة يقظان اقتضى فتحه الحينا».

وعنه طوى الطائي[1] بسط كيانه ... بدسكرة الخلاع اذهب. . .[2]
تسمى بروح الروح جهراً ولم يُبَلْ ... ولم يرَ نداً في المقام ولا قرنا[3]
به عمر بن الفارض[4] الناظم الذي ... تجرّد للأسفار قد سهّل الحزنا
وهام به نجل الحرالي[5] عندما ... رأى كتمه ضعفاً وتصريحه غبنا[6]
وأظهر منه الغافقي لما خفى ... وكشط[7] عن أطواره الغيم والدجنا
وبيّن أسرار العبودية التي ... عن اعرابها لم يرفعوا اللبس واللحنا[8]
كشفنا غطاء من تداخل سرها ... فأصبح ظهراً ما حسبتم[9] لها بطنا
هدانا لقول الحق[10] من قد تولّهت ... لعزته ألبابنا وله هدنا
فمن كان يبغي السَّير للجانب الذي ... تقدّس فليأتِ ليأخذه[11] عنا

فانظر كيف كشف مراتب الرجال وبيْن الفحول من ربات الحجال، وسبح في بحر دون ما ساحل[12] وجعلها. . . .[13] وله شرح على قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾[14] (الآية)، وله أيضاً الكلام على قوله تعالى: ﴿أَلَمْ

---

(1) الطائي: ربما أراد به محيي الدين بن العربي الطائي الحاتمي.
(2) القافية ساقطة في المخطوطين، وهي في الديوان إذ أذهب الوهنا.
(3) في الديوان: ولا خرنا.
(4) عمر بن الفارض: أبو حفص عمر بن علي بن مرشد أحد كبار الصوفية وشعرائها البلغاء، ولد بالقاهرة، ومات بها، وله ديوان شعر مشروح، وأصل آبائه من حماة، توفي عام 632هـ.
(5) في (ب) الخزالي.
(6) في الديوان: وتلويحه عينا، وكذلك في الروضة.
(7) في الديوان: وكشف وكذلك لم يثبته صاحب روضة التعريف.
(8) في الديوان: اللحنا، والأفصح ما في المخطوط وهو ما أثبته ابن الخطيب.
(9) في الديوان: «ما رأيتم».
(10) في الديوان: لدين الحق، وهدنا: رجعنا وسكنّا.
(11) في الديوان: «فليأخذه» ولا يستقيم الوزن باللفظ.
(12) راجع في شرح هذه القصيدة الحافلة بالمعاني ما كتبه الشيخ أحمد زروق في شرحها، وما كتبه ابن عجيبة.
(13) كلمة ساقطة في المخطوطين ربما قدرت «مثلاً».
(14) سورة الأنعام، الآية: 122.

يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾[1]، وله في التحقيق شعر حسن رقيق، فمن ذلك قوله[2]:

خليلي هل لي عن حبيبي عدول ... وطرفي في كل الذوات يجول
لعمري لقد أبصرت في الكل كنهه ... وطرفي منه والمضاف يزول
وحال وجود الوهم[3] من بعد حكمة ... فعاد من انباء الجهات قبول
أخال انفصالاً ثم يغلب طبعه ... فيوكل[4] فيما بيننا ويصول
وأوتيت من عين المحقق شربة ... فإنسان شيطان المجاز ذليل
ويا عجباً كيف انفصالي عنهم ... وكل بمعناه اللطيف يميل
فلا القرب استدعى ولا البعد أتقى ... فذاك إلى وهم الزمان يؤول
صفات وأسماء وفي الكل نكتة ... تدور على أكوانها وتجول
وتبدى لنا وهم اشتراك وجودها ... وذلك في التحقيق قبل يحول
جسوم وأرواح وتلك قضيّة ... تحملها الإنسان وهو جهول
فيا عاذلي كيف الملام لأنني ... شرابي من نحو الحبيب جليل
وعاينت بحر الكون كالآل للذي ... يحققه برهانه فيجول

وله أيضاً[5]:

جرد الفكر في خلاصك تنجو ... ودع الغير هالكاً مع ثمودِ
واعرف النفس كيف كان ابتداها ... وإذا فارقتك أين تعود
ليس ينجو إلا القليل من النا ... س ومن كان عارفاً بالوجودِ

---

(1) سورة الضحى، الآيتان: 6 و7.
(2) من البحر الطويل، والقصيدة تفرد بذكرها المخطوط ولا توجد في الديوان أبي الحسن الششتري.
(3) وهم القلب: إذا ذهب إلى أمر ما غلطاً، وفي قبالة الوهم عند محي الدين بن عربي. العلم.
(4) في (ب) فيوصل.
(5) من البحر الخفيف. والأبيات ليست موجودة في ديوان الششتري وفي البيت الثاني كما تلحظ إقواء.

كان الشيخ أبو زكريا يدرس كتاب إفشاء الحكمة في اللويحة حتى حفظ أكثره، وهو متوغل في تعظيم شيخه جداً، وهذا حال الوارث الصادق، ومن غريب ما حكي عنه، أنه قال: كنت يوماً بجبل لبنان[1] بالشام؛ فخرج عليَّ الأسد، فقلت في نفسي ببركة الشيخ نسلم منه، فلما قضيت لبانتي، وجئت وسلمت على الشيخ، فقال لي: كيف كان ينفعك تحقيقك من الأسد، فتكلم على سري. رأيت له كلاماً على حقيقة الشيخ ما هو؟ فقال ـ رضي الله عنه ـ الشيخ هو الكامل في نفسه، المكمّل لغيره، والكمال هو الذي لا يقبل الزيادة، ولا يمكن فيه النقصان، وهذا حدُّه من حيث الإطلاق، وأما من حيث الإضافة فيكون كاملاً بالإضافة إلى من دونه[2]، أو يكون كاملاً بحسب مذهب ما أحكمه، ووصل فيه الغاية، وتنقصه مذاهب أخر، وبالجملة، الشيخ الكامل عند الأصوليين هو الذي حصَّل العلوم السبعة العقلية[3]، التي لا يحملها أحد عن أحد، وأقام الدليل على حدوث العالم وإثبات صانعه، وإثبات قدم الصانع، وإثبات صفاته السبع على أنواعها[4]، وإثبات قيامه بنفسه، وإثبات تنزيهه، وجواز الرؤية، والإيمان بالنبوة وإثباتها بالمعجزات، والأعمال الثمانية، وهي الدعائم الخمس والألفة والنصيحة، والتوبة، وهذا هو الشيخ الكامل عند الأشعرية[5] ـ رضي الله عنهم، وهو الذي يخلص المسترشد من التقليد،

---

(1) بلاد معروفة من أرض الشام تقع شمال فلسطين وسوريا، سميت باسم جبلها المرتفع المتصل من البحر إلى البحر، كان مشهوراً في القديم بسُكنى الزهاد فيه.

(2) في (ب) إلى ما دونه.

(3) راجع في تعريف العقل كتاب التعريفات للجرجاني: 151 ـ 152.

(4) راجع الصفات الذاتية، والصفات الفعلية لله تعالى في كتاب التعريفات: 133.

(5) الأشعرية نسبة إلى مذهب الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق من نسل الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري مؤسس المذهب، وهو من الأعلام المجتهدين في علم الكلام، ولد في البصرة، أخذ مذهب الاعتزال، ثم خالفه، وتوفي ببغداد بعد أن ترك آثاراً كثيرة، وقد بين طبيعة مذهبه وطرائقه عدد غير قليل من الكتاب في القديم والحديث.

راجع في ذلك: وفيات الأعيان 1: 326، البداية والنهاية 11: 187، الموسوعة العربية الميسرة 1: 166.

ويحمله إلى العلم بالدليل، ويخلصه إلى الاعتقاد الجزم، واليقين المحض، ويعرفه بما يجب لله، وما يجوز عليه، ويستحيل في حقه.

والكامل عند الحكماء، هو العارف بعلّة العالم وبسببه الأول على ما يجب له وبالوسائط التي بينه وبين علّته، وبترتيب الموجودات، ويعلم مراتب العقول التسعة[1]، ويتجوهر بالعقل الفعال أو يصل إلى الكلي بالعلم، ولا حاجة لخلافهم هنا، وإنما نريد من كل صنعة أنموذجها وغايتها؛ ليتبين بذلك شرف نسبتنا، وتتميز عن غيرها، وقد ذكر شيخنا. الكامل عند الحكماء، وعند الصوفية في نتيجة الحكم مع المسترشد أن يجرد جوهره، ويخرجه من القوة إلى الفعل، ويرده علاّماً بالفعل؛ فهذه سعادتهم، وهم فيها بحسب إدراكهم وتجريدهم وما يقطع من المراتب التي بينه وبين العلة الأولى ـ بحسب ذلك تكون سعادة كل واحد منهم، فهذا كامل الحكماء قد ذكرته وشيخي، وأما الصوفي فهو الذي حصل مفهوم الأسماء، وتخلّق بها، وتجرّد عن صفاته وتخلّق بصفات الحق، وحصل العلوم الخمسة، وهي الموهوب والإلهامي، واللدني، والواقف بعد المقارنة والأمانة، وغاية الصوفية الفناء في المطلوب، والفناء عنده والسكر والصحو، وسعادته الالتذاذ بمشاهدة الحق والأمانة في حضرته، وما أشبه ذلك، وفعل الشيخ منهم مع المريد المسترشد أن ينقله من الشهوات الطبيعية ويخلّصه من ظلمة الكون، ويجرده بالتوجه والتخلق الرحماني، ويقيمه في حضرة الصفات العالية، ومشاهدة النظام، وبالجملة يبلغه غاية شيخه وبحسب هذا تقيس على كل واحد منهم، وهذا الكلام على الشيخ قد تخلّص بحسب المراتب، وبيَّنت لك شيخ كل مذهب وسعادته وغايته، وأما الشيخ عندي فهو المقيم في حضرته، الساكن في وحدته، الدائر في نقطته،

---

(1) ذكر الجرجاني في كتابه التعريفات، بعد تعريف العقل وماهيته أنواعاً ومراتب للعقول منها العقل بالملكة، والعقل بالفعل، والعقل المستفاد. كتاب التعريفات: 151 ـ 152. وورد اللفظ في (ب) مراتب العقول السبعة.

الثابت في نكتته، وقد خرجنا إلى غير الذي أردناه، ونبهنا على غير ما كنا شرطناه، ولولا الملالة التي تلحق الإطالة؛ لبيّنتُ أكثر هذه الحالة.

كان الشيخ أبو زكريا البلنسي - رحمه الله - يوماً ببجاية يبيع حطباً من الشعراء؛ فرآه الشيخ فتفرّس فيه الهداية فجلبه إليه، وقال له: يا يحيى أعوادك تعود أعياداً، ولازمه وورثه، توفي - رحمه الله - سنة خمس وستين وستمائة، ودفن بموضع يعرف بالبلينة من أرض الصعيد، وقبره هناك يزار، ويتبرّك به، وأخبر شيخه أن الأبدال[1] غسلوه ودفنوه، وأمر أصحابه أن يجيبوا أوراقه في مزوده[2] الذي كان يسافر به فلم يجدوه.

ويحكى عن شيخه أنه قال: الأوتاد[3] بايعوه في وقفة الجمعة، ذكر ذلك في كتاب نكرة عرفة، وقال: كل ولي لله اجتمع في هذه الوقفة حتى قال: الجهات والكلُّ من أصحابنا.

---

(1) الأبدال في مصطلح أهل التصوف: سبعة لا يزيدون، ولا ينقصون، يحفظ الله بهم الأقاليم السبعة، لكل بدل إقليم فيه ولايته، فالأبدال سبعة سموا أبدالاً لكونهم إذا مات واحد منهم كان له بدل.

(2) يقصد بالعبارة أن يحضروا أوراقه الموجودة في عيبته أو مخلاته.

(3) جمع وتد، وهو رتبة من مراتب الصوفية ودرجاتهم ويندرج عند ابن عربي في رجال العدد ممن يعبر عنهم بالجبال، راجع المعجم الصوفي: 517.

7 ـ أبو الطاهر إسماعيل الركراكي[*]

ومنهم الشيخ الكبير، والعلق الخطير، الإمام الأوحد، الذائق المحقق، المدرك المكاشف، المربي، معدن الأسرار ومكمن البشر، أبو الطاهر إسماعيل بن بلارزك الركراكي ـ رضي الله عنه ـ كان من أصحاب المجاهدات والرياضات العلية، وكان قوالاً بالحق، كبير القدر، صاحب أحوال رائقة، وأقوال فائقة، امتحن بالأسر في تركونه، وقاسى من البلاء والجهد ما لا يعبر عنه بحد؛ حتى خلّصه الله تعالى بأهوال، واحتمال مشاق وأثقال، يقال إنه كان في جفن وصل من المشرق إلى المهدية ـ حرسها الله ـ فخرج للقائه الشيخ الإمام الأوحد، العارف المكاشف، ذو الأحوال الشريفة، والأقوال المنيفة، أبو علي يونس بن السماط[1] ـ رضي الله عنه ـ وجعل ينتظره حتى هبط وكان هذا منه على كشف به ويقين؛ فلما اجتمع به تأدب معه الشيخ أبو علي، وصار معه إلى قصر

(*) يظهر أن هذه الترجمة مما انفرد بذكرها هذا الكتاب؛ إذ لم أعثر للمترجم به على ما يضيء أبعاد سيرته وأثره سواها، قال الأستاذ محمد المنوني في الترجمة التي كتبها لابن الطواح ولكتابة «السبك»: وفي «سبك المقال ترجمة ينفرد بها فيما أتذكر، وهي لأبي الطاهر إسماعيل بن بلارزك الركراكي».

(1) ورد شيء من أخباره الدالة على صلاحه في رحلة التجاني: 260، ومن أبرز تلاميذه علي بن بلقاسم المزوغي، الذي عرف بالعلم الواسع في علمي الشريعة والحقيقة؛ وكان من أبرز المفتين في عصره، راجع كتاب العمر، 1: 498.

المنستير[1] ـ زاده الله شرفاً ولألاءً ـ وقال له الشيخ أبو الطاهر ـ رضي الله عنه ـ: إذا وصلنا الروضة فلا تترك أصحابك أن يتبعونا؛ فقال له الشيخ: نعم. فلما وصلا إلى روضة الشيخ الإمام المجتهد السني السني أبي عبد الله الكومي جلس الشيخ أبو الطاهر يتحدث معه، وهو يجيبه من قبره بكلام يسمعه الحاضرون. فأعجب الشيخ أبو علي من ذلك، وعلم أن أمره أن يترك أصحابه، إنما كان لهذا الخطب الجسيم، والأمر الغريب العظيم، وهذا أمر عنه تقرر، وسند عند أهل هذه الطريقة المثلى تكرر.

كان الشيخ أبو الطاهر يوماً بالإسكندرية فوجد في نفسه زهواً وإعجاباً؛ فقال في نفسه؛ كل من في وقتي ينبغي له أن يسجد لي؛ فبينما هو كذلك إذ دخل عليه شيخ عليه مهانةٌ ورثاثة أطمار[2]؛ فقال له تأدب يا إسماعيل؛ فطلب حاله فلم يجدها؛ فحاسب نفسه من أين ذلك؛ فما زال يسأل عن الشيخ، ويُدلي بحليته حتى دُلَّ عليه بقيسرية[3] بالإسكندرية؛ فلما طلع عليه رآه ينسج، وكل نضار ولجين؛ فقال له: لعلك تبت من حالك تلك، فقال نعم، ثم أمره بالانصراف؛ فجاء بعد ذلك يطلبه فما وجده، وتشاءم به أهل الموضع الذي نفاه عنهم.

ارتحل الشيخ أبو الطاهر إلى تونس، وتأهَّل بها وسكن وصحبة ناس أكابر، منهم الشيخ الإمام السالك أبو محمد المزدوري[4]، وصاهره بعد، يقال

---

(1) قصر مشهور للعباد بهذه المدينة التي كان بها في القديم خمسة قصور يحيط بها سور واحد، يسكنها جميعاً المتصوفة وأهل العلم ويقال: إن الذي بنى القصر الكبير المشار إليه في المخطوط هرثمة بن أعين سنة 180هـ راجع في أخبارها وفضلها ما ذكره أبو محمد التجاني في رحلته: 30 ـ 31، 32، 369 ـ 378.

(2) الطِّمْرُ: الثوب الخلق البالي والجمع أطمار.

(3) مكان يجمع عدداً من الحوانيت والدكاكين.

(4) لم أقف له على ترجمة، ولكن ورد خبر في رحلة التجاني: 86 عن أبي عبد الله محمد بن محمد المزدوري، الهنتاني الذي اضطر إلى الإقامة في وذرف فعبر عن ضيقه بها؛ وربما كان المقصود بهذا الوصف.

إنه جلس يوماً معه الشيخ الفقيه الإمام الصدر المفتي المتبتل أبو عبد الله محمد بن شعيب[1]، وتحدث الشيخ أمامه بحديث القوم؛ فقال له الشيخ: تؤمن أن وراء علومكم علوماً غيرها، قال نعم، قال له يقنع منك بهذا القدر، توفي - رضي الله عنه - سنة ثنتين وستين وستمائة، ولم يوجد له كلام في طريق القوم.

(1) من العلماء الصلحاء، عرف بالفقه والتصوف والتحصيل لمذهب مالك، قرأ بالمغرب ثم ارتحل إلى المشرق ثم رجع إلى تونس فتفرغ للإقراء فيها وتولى القضاء، وكان يسلك في أحواله وعباداته السلوك الشرعي المعتدل، دون تنطع أو تكلف، وهو ما أشار إليه الغبريني ضمن حكايات سمعها.

ترجمته في: عنوان الدراية: 190 المعيار 3: 293، 4: 267 ـ 283 6: 224، 9: 173 ـ 357.

8 ـ أبو محمد عبد الله المرجاني(*)

ومنهم قطب زمانه، المعرب عن المعرفة ببيانه، الشيخ الإمام، العالم المحقق المدرك السني، ذو الحال الكاشفة، والأقوال الراصفة، معدن السر المصون، وجوهر الصدف المكنون، أبو محمد عبد الله بن محمد المرجاني ـ رضي الله عنه ـ صقلي الدار، قويُّ الاستبصار، نسب قرشي، ومذهب صوفي، ولد سنة ست وثلاثين وستمائة، وعمّر ثلاثاً وستين سنة، توفي ـ رحمه الله ـ في شهر ربيع الآخر، من عام تسعة وتسعين وستمائة، ختام النطق وغمام الودق[1]، كلامه من كتابه[2] المكنون معدنه، وفي سره المصون مسكنه، إذا سئل عنه يقول كلانا يُجهل أمره لدنه، قرأ علم الظاهر على أناس عدة وكان

(*) عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الله البكري التونسي الإسكندري المشهور بالمرجاني أصل سلفه في تونس، وولد بالإسكندرية، وأدركته الوفاة بتونس؛ من أصحاب الصوفي الشهير أبي الحسن الشاذلي، واشتهر مثله بالفقه والتصوف قال الشعراني: «وامتحن وأفتى العلماء بتكفيره، ولم يؤثروا فيه فعملوا عليه الحيلة وقتلوه»، وقد عرف أمراء الدولة الحفصية له فضله في حياته فقدموه، وألف تآليف أظهرت فضله.

ترجمته في شجرة النور الزكية: 193، شذرات الذهب، تاريخ الدولتين: 54، الطبقات الكبرى، كشف الظنون، تذكرة الحفاظ، تراجم المؤلفين التونسيين 4: 300 ـ 301، المعيار 1: 22، 178 ـ 179، ملء العيبة 2: 42 ـ 164، 411، توشيح الديباج: 311، البستان: 123، رحلة العبدري: 60، كتاب العمر: 151.

(1) الودق: المطر شديده وهيّنه.

(2) في (ب) من كتاب.

يكابد الفقر في تلك المدة، كان يعيش من كدّ يمينه، متوكلاً في أمره على الله بيقينه، أخذ علم الفروع عن الشيخ الفقيه القاضي الزاهد الورع أبي العباس أحمد القسي الربعي[1] وقرأ على أبي علي عمر السكاك[2] دونما ارتباك، وكان الشيخ الفقيه الخطيب المفتي أبو محمد عبد الله البرجيني القرشي[3] مخادنه، وفي كل شؤونه معاونه، نظر معه نظر مشاركة الفرائض، وهو إذ ذاك معتدل آئض[4]، ولم يزره الفقيه أبو محمد إلا مرتين فيما يقول فلما اجتمع به قال له: الذي نريده لا يأتيني، والذي يأتيني لا أريده، ومتّ له بالوصف القديم، وكان عنده أهلاً للتكليم، ولما ولي القاضي الزاهد أبو العباس القسي تنفيذ الأحكام جاءه أبو الحجاج الخدري، وقال له: ـ إلهنا واحد. فقال له الشيخ إلهاء بالزوائد والفوائد ولم يفه له بكلام، ولا سمح له بعد ذلك بإلمام، شيخه في الطريق الشيخ الإمام العارف المكاشف أبو علي يونس ابن السماط، زاره مع الشيخ أبي علي الزبيدي هنا في أيام قلائل؛ فاقتنى منه كلّ الفضائل وإنما هي سهام يتقاضاها أهلها، ويراش لتسديد الغرض لديهم نصلها، أخبرني بعض أصحابه الموثوق بهم، أنه قال: اقتديت من رجال الرسالة برجلين: سهل بن عبد الله التستري[5] ....

---

(1) أحد أعلام أسرة الربعي المشهورة بالعلم كما وقعت الإشارة إلى ذلك.

(2) لم أقف على ترجمة له، ويظهر أنه من أسرة مغربية عالمة، كان من رجالها أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الملك الفاسي المعروف بابن السكاك كانت حياته ما بين سنتي (500 ـ 596). راجع العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين: 111.

(3) في تراجم المؤلفين التونسيين أبو محمد عبد السلام بن عيسى البرجيني 1: 113 ومنعوت فيه بـ«الفقيه الفاضل أخذ عن أبي يحيى زكريا بن الحداد المهدوي، تلميذ الإمام المازري»، وقد عيّن حاكم تونس أبو محمد عبد الواحد قاضياً وفقيهاً كما قام بنشر المعرفة، وبث العلوم في العاصمة التونسية، وانتفع بفهومه خلق كثير «وكان الذين هم في طبقة البرجيني ـ كما ذكر الأستاذ محمد محفوظ ـ من الندرة بمكان». ترجمته في: تراجم المؤلفين التونسيين، وكتاب العمر 1: 707 ـ 709.

(4) في (ب) رائض.

(5) سهل بن عبد الله بن يونس التستري من أعلام القرن الثالث الهجري (200 ـ 283هـ) يكنى أبا محمد، ويعد أحد أئمة الصوفية وأعلامهم، وله مشاركة في الرياضيات ومعرفة بعلوم الإخلاص وعيوب الأفعال، من تآليفه تفسير القرآن الكريم مختصر، وكتاب «رقائق المحبين»، له ترجمة في: الوفيات 1: 218، حلية الأولياء 10: 189، الأعلام 3: 143.

وأبي يزيد طيفور[1] ـ رضي الله عنهم ـ وقرأ على الشيخ الفقيه أبي عمران التسولي[2] وعلى الفقيه أبي علي الغماري[3] وكان لا يباشر أصحابه بالتربية، ولا يجيبهم بإيماء ولا تلبية، وأفضل أصحابه الذي سلك مسلكه بالإخلاص، يوسف بن خصيب، ذو المجد والاختصاص، كان الشيخ يقول: ما عرفني لله إلا يوسف، وكان يوسف ينكر أشياء بظاهره فيسأله عنها؛ فيبدي له الشيخ فيها وجه الصواب.

أخبرني الشيخ الصالح سعيد المؤدب بداره مشافهة، قال كانت غلوة شديدة في أيام الأمير أبي حفص، وكان وقتنا شديداً، انتهينا أن كنا نأكل قشور الفول نقتات بها مع الأولاد، فمشيت إلى يوسف بن خصيب، وشكوت له حالي فبينما نحن كذلك، وإذا أزيار بطبيخ[4] وخبز كثير جاء إلى الزاوية؛ فتصرّف الشيخ فيها على جري عادته في ذلك؛ فقلت له: أنا وأولادي جائعون وأخذ الناس منها حظهم ونحن منسيون، ثم أني قلت في نفسي: وزيادة أنها من عند الظلمة قال: وإذا بالشيخ استدعى يوسف وقال له: أعطِ لسعيد كذا من ذلك الطعام، وكان المعطى شيئاً نزراً، وقل له نحن باب الله ما نرى في و. . . .نا و. . . .ذنا[5] إلا الله، وهذا كلام على سره، وكراماته كثيرة.

كان في بدايته يظهر منه ذلك كثيراً، وكان هو يقول الكرامة شبهت بجلاجل الصبيان[6] تخدع بها عقولهم، وإنما هي عند الجمهور معظمة، ورجال الله أنفوا منها خوفاً من المكر والاستدراج، ولذلك كان الشيخ المكاشف أبو سعيد خلف بن أحمد الباجي كثيراً ما ينشد[7]:

---

(1) تقدمت ترجمته.

(2) (3) المعلومات حولهما قليلة، ولم تقع العناية بهما في كتب التراجم.

(4) الزير: الإناء يوضع فيه الماء ونحوه جمعه أزوار وأزيار.

(5) كذا رسمت الحروف في أصل المخطوط، ولعل هذه الحروف ختام لفظة ما أعطينا في الأولى، وأخذنا في الأخرى.

(6) الجلجل: الجرس الصغير.

(7) من الطويل.

فأثبت من صحت له عزمة النوى وأسقط أصحاب الحديث المجمجم

قلت: كان يتكلم بكلام لو تكلم به غيره لما سُلِّم به، قال ـ رضي الله عنه ـ فيما حُكي لي عند بعض الفقراء من أصحابه: الذات خيالية والصفات عرضية، والأسماء لقبية، وقال أيضاً العلم به جهل، والجهل به علم، ولكن أنكر عليه من يسمعه، وقال: ما تعرف لأبي بكر هو الذي تنكر لأبي جهل، وأخبرني الشيخ الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد النفزاوي[1] أيام ملازمته مسجد الشيخ أبي سعيد الباجي، ومطالعته كتاب الإحياء فيه أنه كان يحضر مجلسه بين العشائين هو وجمع من الفقهاء والعدول فتكلم على قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾[2]، قال البقرة النفس إلى غير ذلك، وكلامه كثير وقد كتبه ابن السكري[3] في البلاد الشرقية وهو يتكلم به، وجمعوا منه سفراً كبيراً.

وقال في قوله ـ عليه السلام ـ: «لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة»[4] إنها النفس.

حضرت مجلسه ـ رضي الله عنه ـ عام وصوله من البلاد الحجازية، وسمعته يتكلم ليلاً، وكنت أفهمه ولا أستطيع نقله، ولقد أعجب به أهل البلد واشتد شوقهم إلى كلامه حتى أخبرني الثقة أنه رأى الشيخ الفقيه الفتي العالم المتفنن أبا القاسم بن زيتون[5] بباب المسجد واقفاً بعد صلاة العشاء الآخرة

---

(1) أبو عبد الله محمد بن عمر النفزاوي من رجال القرن الثامن الهجري عاش في دولة السلطان أبي فارس عبد العزيز الحفصي، (796/ 837) واشتهر بتأليفه كتاب «الروض العاطر، ونزهة الخاطر».
ترجمته في: تراجم المؤلفين التونسيين 5: 39، الحلل السندسية، 3: 623.

(2) سورة البقرة، الآية: 67.

(3) هو أبو سعيد الحسن بن الحسين العتكي السكري من علماء العربية، راوية من أهل البصيرة، جمع أشعار شعراء الجاهلية، وأخبار القبائل، من تآليفه وتصانيفه «شرح ديوان جران العود» و«أخبار اللصوص» و«شرح ديوان الشعراء الهذليين» وشرح ديوان كعب بن زهير، ودامت حياته ما بين سنة (212هـ إلى 275هـ).
له ترجمة في تاريخ بغداد 7: 296، أنباه الرواة 1: 291.

(4) البخاري، مغازي: 82، فتن: 18، الترمذي، فتن: 75 النسائي، قضاة: 8.

(5) ولد هذا العالم الفقيه الأصولي سنة (621هـ ـ 1224)، في مدينة تونس، وفيها تلقى علومه، =

يُصغى لكلامه، ويحق أن يسمعه ابن زيتون وأهل عصره، إذا أنصفوا وأرادوا خيراً، وأزالوا الكبر الذي هو سبب الصرف [عن][1] الحق.

وكان فصيح الكلام، مليح الاستحكام[2] مدحه أهل الديار المصرية، وبلغوا في ذلك الأمنية، ولما كان ابن زيتون والياً المـ [3] إلى أبيه، وقال له: قل له: يجيء للمدرسة يقرئ بها؛ فقال له: ولديْ ما هو أهلاً لها. فأنكر ذلك ابن زيتون، ومن تقمن مسرته تبعه على الإنكار، وأبى الله إلا أن يكون ما أراد، وأن يخص أهل العناية، وينيلهم المراد لما اختار له الحقّ أن ينشر عليه لواء الولاية عمته من الله في الدارين العناية، فلما عزم على الخروج بأيام أبي إسحاق للمشرق[4] وصله أمر كريم من الخلافة يعتمد ابن الغماز[5] وابن زيتون وسائر الطلبة أن يخرجوا للقاء الشيخ الإمام الصالح الأتقى الأكمل الأفضل أبي محمد المرجاني فأنشدهم لسان الحال[6]:

= وكان من المبرزين في التحصيل والعطاء، له ـ كما قال الغبريني ـ «علم بأصول الفقه والعقائد الكلامية والفقه والخلاف والجدل والمنطق، وله مشاركة في الحكمة»، وكانت له صلة بالمستنصر الحفصي، وولي له القضاء، وأحدث نهضة في الحياة العقلية بتونس بعلمه واجتهاده»، توفي بتونس عام (691 ـ 1292).

له ترجمة في: عنوان الدراية: 362، شجرة النور الزكية: 193، كتاب العمر 1: 714 ـ 717.

(1) هذا الحرف ساقط من أصل المخطوطين.

(2) كلمة غير واضحة في الأصل، لعل أقرب قراءة لها الاستحكام.

(3) فراغ في الأصل بمقدار كلمتين، وكذلك في (ب).

(4) في الفترة الواقعة بين سنتي (678 ـ 682هـ).

(5) أبو العباس أحمد بن محمد بن حسن الغماز الأنصاري من أهل بلنسيه، ثم رحل إلى بجاية واستوطنها، ولقي فيها حلة من الشيوخ والعلماء كأبي المطرف أحمد بن عميرة، وأبي الحسن ابن أبي نصر، وأبي بكر بن محرز، ثم ارتحل إلى تونس حيث تولى أمر القضاء والعدالة، واشتهر بسعة علمه، ورجاحة عقله، وحسن تدبيره، وانتفع به الحكام في بعض سفاراتهم الرسمية، وقد استفاد أحمد الغبريني من مجالسه وفضله، وتوفي ابن الغماز بتونس عام 693هـ.

له ترجمة في: عنوان الدراية: 119، تاريخ قضاة الأندلس: 122، شجرة النور الزكية: 199، تاريخ الدولتين: 34 ـ 35، نيل الابتهاج: 80، توشيح الديباج: 54، برنامج الوادي آشي: 344 رحلة التجاني: 152، رحلة العبدري: 240 ـ 243 ـ 275.

(6) من البحر الخفيف وفي صدور الأبيات اختلال.

كـذا فـلـيـعـمـلـون مـن تـعـالـى هـكـذا هـكـذا وإلا فـلا لا

ويـنـطـح الـنـجـوم بـروقـيـه وعـز يـقـلـقـل الأجـبـالا

مـا فـي بـلـدنـا قـبـل ولا بـعـد مـن يـشـبـه الـشـيـخ حـالاً ومـقـالا

وكان ـ رحمه الله ـ قريباً سهلاً لو ترك سبيله، وإنما[1] ليتوصلوا[2] به إلى نيل مقاصد وفوائد، كنت أقف له أيام الجمع بطرف الفرايين[3] لأسلم عليه فيشد على يدي ويقول لي ما علمته منعه ابن البراء من الإقرار، فلما اختبره وجد النضار الإبريز[4]، فخصَّصه من بينهم علم التمييز، أتحفه بكتاب في التفسير، وذلك مما خصه الله به من التيسير؛ رأيته ـ رحمه الله ـ بعد وفاته بالزلاج[5]، وفي بيته شمعة موقودة، وسبعة رجال وقوف، وهو يتكلم، وقال على شخص ما ننتظر بهذا الشاب؛ فعمَّت ذلك الرجل بركته، وقويت في البر حركته، وكنت في وقت من الأوقات مكتئباً من شقيقي ـ أسعده الله ووفقه ـ بت مهموماً مما منعني صلاة العتمة، رأيت الشيخ بمسجد وهو بمحرابه جالس وناس بين يديه، وإذا الشيخ أبو علي الزبيدي[6] داخلاً عليه هو وأخوه؛ فقام لهما نصف قيام، وأجلسهما وهو يتكلم، وأنا على يساره، فلما فرغ أعطاه شخص طاجناً بحسو، وقال له نسقي فلاناً يعنيني؛ فقال: اسقه، ثم التفت إليَّ وقال لي في فكرة من فكر الحق، أنا هائم حتى الآن؛ فعلمت أنه أدبني وقال لي لا تفكر في غير الله، ولا يكن همك إلا الله، فإنه من كان الله همه أغناه عن كل هم، وحفظه من كل غم.

---

(1) يلحظ انقطاع وحذف في أصل المخطوط لا يستقيم الكلام والسياق فيه إلا بتقدير لغفلة أبعدوه أو حجبوه.

(2) في (ب) وإنما يتواصوا به.

(3) موضع بتونس.

(4) الأبريز: الذهب الخالص، القطعة منه أبريزة.

(5) مقبرة شهيرة في تونس، دفن في تربتها منذ القديم الكثير من العلماء والأدباء والصلحاء، راجع تاريخ الدولتين: 50، 91، تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي 1: 386.

(6) تقدمت الإشارة إليه وإلى أخيه.

دخل عليه يوماً الشيخ العارف أبو عبد الله بن سلطان[1] فقال له: يا شيخ أبا محمد ما عصى الله أحد قط؛ فقال له إياك أن يسمعك علماء الرسوم، فأخاف عليك؛ وقال له يوماً الشيخ أبو محمد لما دخل عليه أبو عبد الله بن سلطان، قال له: نحن نؤدب العوام، وأنتم تؤدبون الخواص، وهذا منه إقرار بديع، وشرف باذخ وعز منيع، حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وكان ابن دقيق العيد[2] الفقيه المصري يقول فيما أخبرني بعض أصحابنا العدول عمن سمع عنه، أنه سئل عن كلامه كيف هو، فقال أراد الله منه أن يقوله، وأراد منا أن نسمعه، وهذا من الفقيه كلام موجَّه والكلام الموجَّه ليس بنص في المسألة، وإنما يحتمل الوجهين المدح والذم، وهذا دأب الفقهاء مع الصوفية قديماً وحديثاً، إلا أحاداً من الفقهاء، ـ وفقهم الله، وأزال عنهم البطر والكبر، فإنهما يصرفان عن الحق، ويغبطان بالخلق؛ قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ الآية[3] ابتهج به أكثر أهل الديار المصرية، والبلاد الحجازية وجلس هنالك يتكلم، وعظم بها تعظيماً كثيراً.

وأما أهل بلده فخدمه كلهم، ورجال الدولة كلهم يتبركون بخدمته، ويعملون على امتثال أوامره ومبرته، ظهرت بركاته، وبهرت حركاته، فكان أهل الفسوق كالآل أو السراب، ولما توفي صلى الله عليه الخليفة الإمام المنصور بفضل الله أمير المؤمنين أبو عبد الله ابن أمير المؤمنين[4] بجامع الزيتونة المباركة

---

(1) يظهر من التحلية المذكورة أنه كان من رجال التصوف الكبار والمغمورين أيضاً.

(2) محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري المشهور كابنه وجده بابن دقيق العيد، من كبار الأعلام العلماء في الفقه والأصول، أصل أبيه من منفلوط بمصر ثم انتقل إلى قوص حيث ولد هذا الفقيه في ينبع منشأ بقوص ورحل إلى دمشق ثم مكث بالإسكندرية والقاهرة متولياً أمر القضاء سنة 695 واستمر فيه إلى أن توفي، ولابن دقيق العيد تصانيف وفيرة، مع ما عرف به من رقة الجانب، وظرف المجالسة، وغزارة العلم، وكانت وفاته سنة (702/1302)، له ترجمة في: الدرر الكافية 4: 91، مفتاح السعادة 2: 219، فوات الوفيات 2: 244، شجرة النور: 189.

(3) سورة الأعراف، الآية: 146.

(4) أبو عبد الله محمد المستنصر بن أبي زكريا الحفصي.

ـ زادها الله تشريفاً ـ بالقبة التي بناها جده الأمير أبو زكريا[1] ـ رحمة الله عليه ـ ولم يجر ذلك لغيره ممن تقدم.

كان الشيخ الإمام العارف، تاج العارفين، وسراج الوارثين أبو محمد عبد العزيز بن أبي بكر المهدوي القرشي[2] بأول المائة السابعة إمامها، وكان هذا مسكها وختامها، ختم به أمرها، وطلع بأفقه بدرها، وبينهما نسب واشترك، كلاهما قرَّ له الأملاك، اشتركا في الصديقية[3]، وتجارياً في ميدان السنة البكرية المحمدية، كان هذا خدمته الدنيا وأبناؤها، وذلك كذلك شُيِّد به بناؤها، لم يبقَ من فقهاء وقته من لا قبل كفّه، وتضاءل لسمته، كانوا يصنعون له أنواع الطعام، ويبادرونه بالإجلال والإعظام، وهو لا يجنح لصنعهم، ولا يميل طبعه إلى طبعهم، غذاؤه الحمص والبر، ولقاؤه الرحب والبشر، صدرت لي إليه كلمة قلت فيها[4]:

لقد دهمت آي لديك ابن أدهم	وسحبان من سحب بأفقك باقل
فإن أبصرت عينا أويس سناكم	لآنسه أنس هنالك شامل
ولو أن أنوار الجنيد تشعشعت	لكانت بهامنكم. . . .[5] مشاعل
أيا خير من تحدى إليه أيانق	لسحبكم في كل قطر هوامل
نشرتم لواء الدين أحمر معلما	فعمّت إذن منكم قنا وقنابل
وأوردتم[6] السلسال من شفه الظما	أوان صفت عند البرايا المناهل
ليهنكم عقد النكاح الذي غدت	عقيلته كهف الصلاح تساجل
عقيلة يمن شرف الله خيمها	بخيم له في الناس تعزى الفضائل

(1) أبو زكريا يحيى الحفصي المذكور سلفاً.
(2) تقدمت ترجمته؛ وكتبه الناسخ في هذا الموضع القريشي.
(3) سلف القول في هذه الصفة العالية في منازل الصالحين.
(4) في المخطوط «الديك»، والقصيدة من الطويل.
(5) فراغ بمقدار كلمة في المخطوطين ربما تدرت به«إليه».
(6) في (ب) واردتم.

فيا حبذا عرس يروقك غرسها | بروضة نسك أنتجتها عقائل
سرور كما افترت ذُكاء عن السنا | وحبّرت الغيد الحسان الأنامل
ويمن كما أنهلت على الروض مزنة | وأشرع خطار لدى الحرب عاسل[1]
تواترت الأخبار عن كنه خطبة | غدا خطبها كالعضب[2] والعضب فاصل
فلا قلب إلا فارح بوليمة | تلوم على تركي سناها العواذل
ألام وإني نازح الدار عنكم | وجيد المنى إذ بنتم اليوم عاطل
أفضتم على الغبراء سحباً هواطلاً | فأينعت الآكام حتى الجنادل[3]
تغنت بعلياكم حمام سواجع | كما أعربت عنها جياد صواهل
بك انجاب عني الهم وارتحل الأسى | وكانت لضيم الدهر. . .[4] زلازل
فجيد رجائي كان من قبل عاطلاً | إلى أن تحلى فهو للعز كاهل
بمرجانكم يزدان نظم جمانه | كما زانت العضب الصقيل الحمائل[5]
فما دمت لي دام السرور بعقوتي[6] | وما السؤل عني أيها الحبر زائل
بقيتم لدين الله تحمون رسمه | وبدر علاكم ضوؤه متكامل
ولا زلتم عضباً على الدهران سطا | تذل لكم من فيلقيه الجحافل

قرئ بين يديه ـ رضي الله عنه ـ قول ابن أبي زيد ـ رحمه الله ـ ونبَّهه بآثار صنعته؛ فقال ـ قدَّس الله روحه، وبرَّد ضريحه، نبهه بآثاره على أسمائه، وبفعله على صفاته، نبَّه تعالى عباده بالقول والفعل؛ فلما رأينا هذه المصنوعات تتكوَّن بعد العدم كإنشاء السحاب، وإرسال الرياح، ونزول المطر، وغير ذلك من

(1) في (ب) عامل.
(2) العضب: السيف الحاد.
(3) الجنادل: الحجارة الصلبة.
(4) فراغ بمقدار كلمة، ربما استقام السياق بتقديرها بكلمة منه.
(5) جمع حمالة: علاقة السيف ونحوه.
(6) العقوة والعقاة: الموضع المتسع أمام الدار أو المحلة.

المحدثات، علمنا أن لها موجداً أوجدها بعد العدم؛ فإذا دلَّ الدليل أن لها موجداً؛ فلا يخلو موجدها من أن يكون هو غيرها[1]، لا جائز أن تكون هي أوجدت نفسها؛ لأنها كانت عدماً، والعدم لا يوجد شيئاً، فإذا أقام الدليل على أن موجدها غيرها؛ فلا يخلو موجدها إما أن يكون يشبهها أو لا يشبهها، لا جائز أن يشبهها لأنه لو أشبهها لجاز عليه ما يجوز عليها، فإذا استحال أن يشبهها فهل أوجدها لذاته أو لوصف زائد على ذاته، لا جائز أن يوجدها لذاته؛ لأنه يلزم من ذلك قدمها بقدمه، وأن تكون على صفة واحدة، وقد تكوَّنت بعد عدمها على أنواع مختلفة فدل الدليل على أنه أوجدها بوصف زائد على ذاته، وهو القدرة، وهي معنى من المعاني، والمعنى لا يستقل بنفسه؛ فدل الدليل على أن ذاته قديمة، وأن هذه الصفة قائمة بها، ثم نظرنا إلى اختلاف المصنوعات، وتخصيصها بوقت دون وقت، وشكل دون شكل، فدل على إرادة موجدها أن يوجدها على الصفة التي هي عليها، فدل الدليل أنه صفة تسمى الإرادة، ثم نظرنا إلى المصنوعات وأحكامها فعلمنا أن الإتقان والإحكام لا يصدران إلا من عالم بالصنعة؛ فدلنا الدليل على اتصافه بالعلم ودلنا أيضاً على العلم أن الصانع إذا أراد تكون مصنوع توجَّه قصده إلى إيجاده قبل تكوينه، فدل الدليل على استكشافه له في العدم، وتوجَّه القصد إلى إيجاده على أنه عالم به في وجوده وفي عدمه، ودلَّنا وجوب اتصافه بهذه الصفات أنه حيٌّ بحياة لاستحالة أن يكون عالم أو قادر، غير حيّ، ودلنا اتصافه بالكمال في الأزل وتنزيهه عن زيادة الاستكمال، أنه متصف بالسمع والبصر والكلام لأنها صفات كمال، وأضدادها نقائص وآفات، وقد استحال في حق واجب[2] الوجود اتصافه بغير صفات الجلال، ونعوت الكمال، وتنزيهه عن زيادة الاستكمال، ورأينا هذه المصنوعات قد أوجدها مختلفات مصوتات؛ فدلّ ذلك أن يكون مخيراً في الحائل كما يخيّر في الحامل، وهو حكم الله تعالى الذي

---

(1) في (ب) أو غيرها.

(2) في (ب) واجد الوجود.

تضمنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾[1]، أي للاعتداد ﴿فإذا بلغن أجلهن لا تخرجوهن من بيوتهن﴾[2]، أي لا تصرفوهن من بيوتهن قبل العدة ﴿لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾[3]، من العزم على الإمساك ﴿فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ﴾[4]، أي كمال العدة ﴿فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ﴾[5]، واشهدوا في هذا الطلاق الثاني.

وتضمّن أيضاً ذلك حديث ابن عمر صرف امرأته وهي حائض؛ فأمره رسول الله ـ ﷺ ـ أن يردُها إلى موضعها، إذ أزال الحجر عنها، وأباح لها أن تلحق بأهلها، فأمره[6] ـ ﷺ ـ أن يراجعها في ذلك، أي يعلمها أن حجره عليها حتى تطهر من الحيضة التي طلّقها فيها، ثم تحيض أخرى ثم تطهر منها؛ فتجتمع لها ثلاثة قروء[7]، فإن شاء طلّق، وإن شاء أمسك، فتلك العدّة التي أمر الله أن يطلّق لها النساء، هذا هو الطلاق السني لا ما عمل عليه الفقهاء، وبلا شك إن إخراج الرجل للمرأة من قبل زوجيته كإخراجه للأمة الموطوءة من ملكه، وذلك الإخراج يتقدمه الاستبراء؛ فهذا الإخراج يتقدمه أيضاً الاستبراء، بل هذا أحرى وأولى؛ فإمساك بمعروف في الطلاق الثاني، أو تسريح بإحسان، أعطى في مقابلة تصرفه على اختياره في الزوجة.

ومما ولّده بفكره، وأبداه لنا من سحره، قوله في ترجمة من تراجم كتاب البخاري، فمما ترجم به قوله: ـ «باب: هل يُكف أولاً يُكف عن عبد الله بن سلول[8] أنه أتى النبي ـ ﷺ ـ فقال: «صلّ على أبي»

---

(1) سورة الطلاق، الآية: 1.
(2) سورة البقرة، الآية: 234.
(3) سورة الطلاق، الآية: 1.
(4) سورة البقرة، الآية: 234.
(5) سورة الطلاق، الآية: 2.
(6) في (ب) فأمره رسول الله ﷺ.
(7) جمع قُرء: الحيض أو الطهر منه.
(8) عبد الله بن أبي سلول الخزرجي، جدته لأبيه «سلول» عرف بها، رأس النفاق والمنافقين، على عهد رسول الله، له أخبار في مخادعة المؤمنين، والإخلال بعهوده معهم، فكان يسر =

الحديث[1] فقال: كيف تناسب هذه الترجمة الحديث؟ فقال: معناه هل يمنع من النفاق أو لا يُمنع؟ فإن رسول الله ـ ﷺ ـ قمّصه بقميصه، ورفع من قبره، ووضعه على ركبتيه، ونفث في فمه من ريقه المبارك، وقوله ﷺ في تمام الحديث «**ما نهاني وإنما خيّرني، أنا بين خيرتين**»[2] وهما[3] ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[4] قال عمر: فعجبت من جرأتي على رسول الله ـ ﷺ ـ قلت: الذي تقرر من كلام العلماء في ابن سلول، أنه من رؤساء المنافقين وفيه نزلت الآية: ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾[5]، فتأمله، وقوله ـ ﷺ ـ «**اللهم اغنني من الفقر واجعل قوتي كفافاً**»[6] فكان يقول معناه، اللهم إجعل الفقر يتنزّل لي منزلة الغنى، يبين ذلك قوله تعالى: ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾[7]، وقال في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾[8]، معناه ليس موصوفاً بوصفه مثل وصفه، وله في القرآن طريقة حسنة لم يسبق إليها، فاق فيها أبناء جنسه، من بديع معانيه التي استخرجها بفكرته قوله تعالى: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ * ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ﴾[9]، حمله المفسرون كلهم على أنها توكيد[10]، وجعلها هو من باب التأسيس، وكان ـ رحمه الله ـ يقول: إذا ضُيِّعت معاني الحروف لم يفهم المعنى، ومعنى الآية على ما قاله، هلاك له في الدنيا، فهلاك في القبر، ثم هلاك في البرزخ، فهلاك في

= بانتكاسهم ويشمت بهم، ويشيع عنهم السوء، وكان ضخماً عملاقاً، يركب الفرس؛ فتخط إبهاماه في الأرض ـ ترجمته في طبقات ابن سعد الجزء الثاني.

(1) صحيح البخاري، باب الجنائز، 2: 69.

(2) البخاري، جنائز: 32، النسائي، جنائز: 40، ابن ماجه، جنائز: 31.

(3) في المخطوط «وهي».

(4) سورة التوبة، الآية: 80.

(5) سورة المنافقون، الآية: 8.

(6) أبو داود. أدب: 98، الترمذي، دعوات: 61، ابن ماجة، دعاء: 15.

(7) سورة قريش، الآية: 4.

(8) سورة الشورى، الآية: 11.

(9) سورة القيامة، الآيتان: 34 و35.

(10) في (ب) تواكيد.

جهنم، وهذا معنى مناسب أعطيت الحروف حقها فيه؛ فظهر الإعجاز، وتكملة[1] المعاني.

وكان ـ رحمه الله ـ يقول: القرآن كله جملة واحدة، يربط بعضه بعضاً على مذهب الفصحاء والنقاد وكذلك قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ الآية[2]﴾ حمله المفسرون على أن الرفع هو الغلق والتحوط عليها، قال: وليس لذلك أصل في اللغة، وإنما معناه عندي، ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ﴾، إذ كان ها[3] إلى الحضرة القدسية لأنك تقول: رفعتُ أمري إلى الملك، إذا وصّلته إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[4]، ومن ذلك قوله صلوات الله عليه: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل، وملائكة بالنهار ثم يعرج الذين يأتون فيكم، فيسألهم ربهم كيف تركتم عبادي؛ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون**»[5]، وكان يقول في قوله ـ عليه السلام ـ «**أكل ذي ناب من السباع حرام**»[6]، أي مأكول كل ذي ناب من السباع حرام، وتبقى هي الإباحة، يُبيّن ذلك قوله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾[7]، وأما آية العقود فكان يقول: إنها من أحكام التوراة قال: وما بعد الآية وما قبلها يدل عليه، وهو قوله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ الآية[8] وبعد ذلك ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ

---

(1) في (ب) وتكملت المعاني.
(2) سورة النور، الآية: 36.
(3) في (ب) إذكارها.
(4) سورة فاطر، الآية: 10.
(5) البخاري: بدء الخلق: 6، مواقيت: 16، مسلم مساجد: 210، النسائي صلاة: 21، الموطأ سفر: 821.
(6) البخاري، ذبائح: 28 ـ 29، مسلم، صيد: 12 ـ 15، الترمذي، صيد: 11، أطعمة: 6، أبو داود، أطعمة: 25 ـ 32، النسائي، بيوع: 79.
(7) سورة المائدة، الآية: 3.
(8) سورة المائدة، الآية: 32.

﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾[1]، إلى قوله ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾[2]، فهو صلة الكلام المتقدم، وعطف عليه، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ﴾[3]، حملها على أن تكون إن العاملة، والهاء اسمها، وذان لساحران مبتدأ وخبر، والجملة كلها خبر؛ لأن وإنما لم تحتج إلى رابط؛ لأن الجمل[4] التفسيرية لا تحتاج إلى ذلك، وهذا يرده خط المصحف، ومعنى الكلام عنده: فتنازعوا أمرهم بينهم، وأسروا النجوى، قالوا إنها أي أن نجوانا ذان لساحران تثبيطاً للناس عن اتباعهما، وخط المصحف يردُّ ذلك لكن في المصحف أشياء كتبت على غير المصطلح مثل ﴿مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ﴾[5]، ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾[6]، ﴿أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ﴾[7]، ورأيت هذا المعنى لغيره مسبوقاً[8]، وأظنه ابن النحاس ـ والله أعلم.

وكان يحمل قول الفخر ابن الخطيب[9] في كتاب اللغات في تجريح الأصمعي[10]، أنه ريحانة اغتباق يعني أنه مدمن خمر، حكاه الفخر عن غيره، وكان هو يجعله من باب الاستعارة والتشبيه بغير أداة معناه أنه يتنزل للمغتبق منزلة الريحانة، وهذا معنى حسن، جارٍ على أساليب البلغاء، وسقط الاحتجاج به على من جرَّحه بذلك، وكان ـ رحمه الله ـ يولِّد بفكرته معاني في القرآن حسنة في أساليب البيان، توفي ـ رحمه الله ـ في شهر صفر عام سبعمائة، وقد

---

(1) سورة المائدة، الآية: 45.
(2) سورة المائدة، الآية: 45.
(3) سورة طه، الآية: 63.
(4) في (ب) لان الجملة.
(5) سورة الفرقان، الآية: 7.
(6) سورة التوبة، الآية: 47.
(7) سورة النمل، الآية: 21.
(8) ساقطة في (ب).
(9) ربما أراد به الفخر الرازي (محمد بن عمر بن الحسن) ويقال له ابن خطيب الري (544 ـ 606هـ) أوحد زمانه في المعقول والمنقول.
(10) الأصمعي عبد الملك بن قُريب، وقد تقدمت ترجمته.

كنت خاطبته بكلمة أعربت عن حاله، وشرحت فيها أفضاله وإن كنت لم أمتدح أحداً بشعر، ولا أقتطف له من جنى زهر، وتلك شنشنتي[1]؛ وإلى ذلك انتهت معرفتي، حذوت فيها حذو ابن نوفل مادح ابن أبي بردة[2]، ولم آل في ذلك جهداً مذ عقلت إلى هذه المدة في قوله[3]:

فلو كنت ممتدحاً للنوال ... فتى لامتحدت عليه بلالا
ولكنني لست ممن يريد ... بمدح الرجال الكرام السؤالا
سيكفي الكريم إخاء الكريم ... ويقنع بالود منه نوالا

فمنها[4]:

يا من تفجر منه ينبوع الندا ... عذب الموارد عاطر الأرجاء
وبدا لنا من علمه وذكائه ... نور به قربان نور ذكاء[5]
تهتز من طرب بما أبديته ... مثل اهتزاز الصعدة السمراء[6]
كم آية أبديت فيها آية ... عنت فعنت كل ذي استقراء
وعجائب عاجت على زهر الربا ... فتضوعت كالروضة الغناء
... [7] حملت بمعنى رائق ... أعجب لها من حامل عذراء
سحبت على سحبان ذيل العي إذ ... قد لفعت من سحرها برداء
حبرتها يا حبر إذ راقت سنا ... وتمايلت كالغادة الحسناء

---

(1) الشنشنة: العادة الغالبة وفي المثل «شنشنة أعرفها من أخزم».

(2) ربما أشار بذلك إلى بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الأشعري أمير البصرة وقاضيها، كان - كما ذكر - ثقة في الحديث ولم يكن كذلك في القضاء، وهو ممدوح الشاعر ذي الرمة، تهذيب التهذيب 1: 500.

(3) من المتقارب.

(4) من الكامل.

(5) الذُكاء: الشمس، وابن ذكاء: الصبح.

(6) الصعدة: القناة تنبت مستوية.

(7) كلمة ذهب بها البتر لعلها وعية. وكتبت في (ب) وعيلة.

لله مـا أولـيـتـنـيـه مـن نـدى		لله مـا هـيـجـت مـن هـيـجـاء
زهيت بك الدنيا فدانت بالذي		ترضاه في الإصباح والإمساء
فرفلت يا يحي الرضا في بردها		متقدماً في زمرة العلماء

ومنها[1]:

لما رأيتك خاتم الدهر الذي		هو خاتم العلماء والكرماء
أهديتك الأمداح أطلب منحة		إذ كان هذا مهيع[2] الشعراء
وشرحت حالي حين حال مكاني		مثل الخال وسط الصفحة البيضاء
أنت المؤمل في زمان جائر		ألقى عليَّ كلاكل الأرزاء[3]
وكما أمات الجهل علمك يا منى		فعساك تحيي ميت الأحياء
وعساك تنجز ما وعدت به فقد		ذابت بنيران الأسى حوبائي
والدهر جذّلني فجد بي الأسى		وهناً وما برحت به بُرَحائي
حقق لديك رجاء راجٍ آمل		لا زلت منتاباً لنيل رجاء
واعلم بأن الدهر ذو غدو فكم		أذكى أسى اللزبان في الأرجاء[4]
إن هبَّ منه الجفن يغمضه ولم		يفعل[5] عن الأغفال والأعفاء

وهي طويلة ـ لا أطول بتمامها ـ لما رفعتها المقامة، وصيّرتها طلعة لما يرد من أنعامه، انعم لي بصلة من القول، وإن كان لم يسمح بقليل ولا كثير من الطول، غير أنه قال لي بحلقة الإقراء: يا فلان أنت مقدم على الشعراء، وكتب لي رقعة فيها، وجهت إليك لأسألك عن جزئيات حالك؛ فإني لا أعرف منها شيئاً، فعرّفني أين تسكن، ومن أين معيشتك، ومن معك من أهلك، ولا تخف

(1) من الكامل.
(2) المهيع من الطرق البيّن، الجمع: مهايع في (ب) مبيع.
(3) الكلكال والكلكل: الصدر أو ما بين الترقوتين والارزاء جمع رزء: المصيبة.
(4) في (ب) اللزبات والقافية ساقطة.
(5) في (ب) يغفل.

عني إلا ما تخفيه عن والدك، فجاوبته بما نصّه: حالي ظاهر، ومعنى الكتاب يبين من عنوانه، فأما سكناي فعلو بالكراء، وأما معيشتي فمن حوانيت خلفها الوالد ـ رحمه الله ـ وأما الأهل فأخ وأخت ووالدة والسلام» ولم أرَ بعد ذلك ما ينشط السامع، ولا ما يقرط المسامع، ولعمر الله إني بعدها طلقت بنيات[1] القريض بتاتاً، وأوليتها مني فراقاً وشتاتاً، وسلكت مسلك برم، لا بل معن وهرم، وكنت في ميدان البيان أبصر بالبنان، ويعلم الله أن الشعر في هذا الزمان خطة خسف، وحطة وصف، وقد استطردنا إلى غير ما قُصد سبيله فلنرجع إلى تتميم ما يليق من خبره، ويعرف عن ورده وصدره، كان الفقيه المذكور مقدم عصره في كثير من العلوم، وليس له كثير أشياخ[2]، وكل أهل زمانه قرأ عليه، واستفادوا به، وكان يقول بمذهب المدح للنوال، ويستمطر جهام الأمل بالسؤال؛ فمما كتب به إلى الشيخ الرئيس الأوحد أبي عثمان سعيد بن أبي الحسين المدحجي[3]:

أما في لما جوا اللثاث من اللعس ... شفاء الظما لولا شفار بني عبس

ودون الثنايا الغر من دون رامة ... ذوابل تدمي من أسنتها الملس

وكم حال ليث دون أكناف حائل ... هزبر أبو أجر بهن وذو عرس

فلا زورة إلا كزور خيالها ... ولا وصل إلا كالتواصل للشمس

بلى عزني نومي على طيف عزة ... فعادلته ليلى فعاد كما أحس

فأضحى بضاحي مُرقع الوحش هائماً ... وفي مطلع الشعب. . . .[4]

(1) في (ب) أبيات القريض.

(2) في (ب) كبير أشياخ.

(3) أبو عثمان سعيد بن يوسف بن أبي الحسين وزير المالية القوي النفوذ، المستبد بالأمر، صاحب الحظوة في عهد المستنصر، والذي لعب دوراً بارزاً في اعتلاء ابنه الواثق سدة الحكم من بعده؛ ليكون هو نفسه المسيطر على مقاليد الأمور في الدولة الحفصية، وقد نشب بينه وبين خصمه ابن الحبير (يحيى بن عبد الملك الغافقي) صراع انتهى بهلاك سعيد بن يوسف بأمر الواثق الذي وثق في أقوال ابن الحبير. وصودرت أملاك المدجحي وأمواله والشعر من بحر الطويل.

راجع في ذلك: العبر 6: 677، الفارسية: 135، تاريخ أفريقيا 1: 103، السلطنة الحفصية: 230.

(4) فراغ بمقدار كلمتين ذهب بهما البتر في المخطوطين.

أناجي نجوم الليل حتى كأنني ... أحقق تحقيق الكواكب بالحس
أظبية سرب بل ربيبة ربرب[1] ... وكيف لها أو للمها شرف الجنس
تراءت إلى الألحاظ في لين مطمع ... وعند تقاصي الوصل في نخوة الفرس
أجل إذ وهي لبى وهمت بلوعتي ... وهمت فشبهت النواطق بالخرس
سلام عليكم ما تناءت دياركم ... وما لاذ مكروب بحقو فتى عنس
سليل أبي اليقظان والماجد الذي ... تجلّت مزاياه على الطرس والنفس

وكتب للطبيب المداعب أبي الحسن الموروري[2] يمدحه[3]:

الربع يا عمر من أسماء معمور ... أم حلّ راستها ريم ويعفور
أبدلت من بعد أنسي من أوانسها ... توحشَ الوحشِ فيها وهو مذعور
أتلك بلدتهم تعلو على علم ... فبيتها لعفاة العرف مقرور
أم ذاك مصباح ديّان بصومعة ... أم خفق برق خفي وهو مقصور
وفي ربا لعلع[4] يا عمر لي أرب ... لو أن يوماً لها أسماء منظور
يا ليت شعري والآمال مطمعة ... هل وصل من بان بعد النأي مقدور
وهل يضوع لنا من بطن كاظمة[5] ... نشر معطرة في النفس معصور
. . .[6] في الربع حمر الدمع من أسف ... وكم ضحكتُ به والبال مسرور
وكم طوينا به من لذة طويت ... عنا شوائبها والعيش مغرور
ورب ليل بكينا جنحه جنحاً ... إلى المعالي وضوء البدر مكفور

---

(1) الربرب: القطيع من الظباء ومن البقر الوحشي والأنسي.
(2) نسبة إلى بلدة مورور من قواعد الأندلس القديمة في جنوب شرقي أشبيلية، ويبدو أنه أو سلفه كان من المهاجرين من الأندلس إلى تونس، واشتغل بالعلم والطبابة، وأخبار الرجل قليلة ولكن القصيدة تحدد أبعاد شخصيته.
(3) من البسيط.
(4) شجر حجازي، أو موضع بشبه الجزيرة العربية.
(5) موضع والقافية في (ب) معطور.
(6) كلمة غير واضحة ربما استقام تقديرها بـ«نهنهت» أي زجرت.

تظل أيدي قطايانا تمط بنا ... سيراً نضيضاً[1] وجيب الليل مزرور

حتى قطعنا بها البيداء عن عوض[2] ... ونظم عقد الدجى بالصبح منثور

من خادن الفجر لا يبغي به بدلاً ... إذ كل خدنٍ لمملول ومهجور

وما تكامل فخر لا يوازره ... من التقى عمل لله مبرور

إن الجزيرة لم تفخر على ثقة ... حتى تبلَّج من غربيها نور

في أفق شمس بني صبّاح مركزه ... وبيته في نطاق السمر موررور

ومُذ تقدم من بيت إلى شرف ... أضاء منه بدار الملك ديجور[3]

مُرفَّع القدر في العلياء مُبتدأً ... ومن سواه فمنصوب ومجرور

مكمل الذات من خَلق ومن خُلق ... معظم القدر مشهور ومخبور

منفذ الجد في علم وفي عمل ... لله هادٍ ومَهدي وما جور

متمم الفخر من نفس ومن سلف ... على الندا والهدى والباس مفطور

معرض للندى ما جلّ من عرض ... والعرض منه لمحفوظ وموفور

مُبرّز الفكر في تحقيق منغلق ... من المعاني به الجمهور مبهور

به تجمع في ذا العصر مفترق ... من الأوائل مذكور ومشهور

له نتائج فكر في مزاولة ... ما مثل تحقيقها في الكتب مسطور

مُصوّب الحس في نبض وفي عرض ... منجح الطبّ ميمون ومشكور

مبشر بشره بالبرء من مرض ... بذاك بقراط[4] مذعور ومعذور

---

(1) نضّ الطائر: حرّك جناحيه ليطير، والنضيض: القليل اليسير.

(2) في (ب) عن عرض.

(3) الديجور: الظلمة، ووصفوا به فقالوا ليل ديجور وديمة ديجور، وتراب ديجور.

(4) بقراط بن أبراقليدس بن بقراط، ويكتب أيضاً أبقراط أبو الطب والحكيم الذي أعجب به الناس في عصره وما يليه من المرجح أنه ولد عام (460 ق.م)، وتوفي عام (359 ق.م)، وهو أول من دوّن صناعة الطب وأذاعها، وألّف ما يقرب من الثلاثين كتاباً، ووضع عهداً ووصية ما زالت نبراس وقانون الأطباء إلى اليوم.
أعلام الفكر الإنساني 1: 1001.

إيـه أبـا حـسـن والـمـدح أكـثـره — في قدر علياك مفضول ومحقور
وكـل ذنـب سـوى دعـوى مـمـاثـلـة — لـمـا فـخـرت بـه فـي الـنـاس مـغـفـور
أمـا وحـرمـة شـعـبـان وتـابـعـه — وإنـه قـسـم لا شـك مـبـرور
لأصبحت أفرخي خمصاً بطونهم — وظهر كاسبهم بالفقر مفقور[1]
وأمّـلـوك وحـقّ فـي نـفـوسـهـم — أن يغلب بالعسر من علياك ميسور
حكماً بسالف عادات بدأت بها — إذ محل ربعي في كفيك ممطور
لا زال جدك في العلياء مرتقياً — وسعيُ جدك مشكور ومذخور
ودام معناك للراجين مُعتمداً — وبان عنه من الأيام محذور

ومما سألته عنه مشافهة قوله[2]:

ماذا على الغصن المياس لو عطفا — على صبابة صب آلف الدنفا[3]
وارحمة لقليبي من معذبه — كم ذا يحمله أن يحمل الكلفا
ويا رعى الله دهراً ظل يجمعنا — في ظل عيش ضفا من طيبه وصفا
مودة بيننا في الحب كاملة — ونحن لا نعرف الإعراض والصلفا[4]
لا سامح الله من أغرى معذبه — حتى تبدّل من بعد الوفاء جفا
حتى إذا أمكن الواشي وشافهه — وحسبي الله مما قال أو وصفا
تنكر الظبي لي من بعد معرفة — وحادَ عني نفاراً بعدما ألفا
وظل يوسعني هجراً ويبعدني — وكلما زاد بعداً زادني[5] شغفا
وعاهد الله عهداً لا يكلمني — وجاوز الحد والإفراط والسرفا
يا للرجال ألا رأياً ألا عملا — ألا شفيعاً لمضنى شارف التلفا

---

(1) الأفرخ: الصبية الصغار، الخمص: الضعاف الضمر، المفقور: مكسور فقار الظهر.
(2) من البسيط.
(3) الدنف: المرض المثقل.
(4) الصلف: قلة الخير والنفع.
(5) في (ب) وكلما بعداً زادني ولا يستقيم معنى ومبنى.

رحماك رحماك بي يا من يعذبني ... كم ذا تحملني الأشواق والدنفا
إن كان هجرك عن وصل نطقت به ... فتائباً جئت مما قلت معترفاً
استغفر الله من ذنبي ومن سقمي ... وتوبة العبد تمحو كلَّ ما سلفا
ومثل عبدك من وافاك معتذراً ... ومثل جودك من عافى وما اتصفا
لا والذي خلق الأحداق من غنج ... وزانها للورى أن زادها وطفا[1]
وأنبت الورد في خد على زهر ... تصونه أسهم الألحاظ إن قطفا
لا فهت بالوصل في جد ولا عبث ... ولا قرأت له فساه ولا ألفا
واحذر الناس ما زوغ بتجربة ... واصدق الناس مشغوف إذا خلفا
عسى من الوصل معنى نظرة عرضت ... في ساعة غفل الواشي وما عرفا
رضاك كل المنى فاحكم عليَّ به ... واحكم بما شئت إن لطفاً وإن عنفا[2]
وعد لما كان من أنس تجود به[3] ... يا من إذا وعد الدنيا المحب وفا

فأقر عليها، ووجم لديها.

كان ـ رحمه الله ـ ذا جاه عريض، ولكن سمنه في أديمه، واستنشاقه من شميمه[4] فوّض له السلطان جميع البلاد، وجعله يتصرف فيها تصرف الملك الذي لا يستثنى عليه في مراد، فزهد فيما أعطى زهد الأخيار، وتبرأ من ذلك براءة الليل من النهار، واخشوشن في لباسه، وراق في أعين منتزحيه وجلاّسه، ولما توفي لم يترك إلا نزراً، وكانت الواحدة من حسناته تلفيها عشراً، اعترض على قول الشيخ الفقيه الأديب الشاعر المجيد البليغ الحافظ أبي بكر بن حُبَيْش[5]

---

(1) الغنج: الدلال وملاحة العينين، والوطف: كثرة شعر الحاجبين والأهداب.
(2) مثبت في (ب) وغير موجود في (أ).
(3) مثبت في (ب) وغير موجود في (أ).
(4) كناية عن أن خيره لا ينتفع به أحد سواه.
(5) الأديب العالم محمد بن الحسن بن يوسف بن الحسن بن يونس بن يحيى بن حبيش، أبو بكر اللخمي المرسي الأندلسي، نزيل تونس كان شاعراً ناثراً ناقداً، معروفاً بصناعة النحو. سمع من عدة شيوخ بارزين في الأندلس وغيرها منهم أبو الحسن بن قطرال الأنصاري، وسهل بن =

في تخميس له، وهو[1]:

«فماذا على كل من الحور أوجبت»

ونصه استعمل المخمس «ماذا» في البيت تكثيراً وخبراً، والمعروف من كلام العرب استعمالها استفهاماً لا خبراً، وأما استعمالها خبراً فمشهور في تخاطب العرب؛ فينظر في كلام العرب، هل يوجد مثل ذلك أم لا؟

فجاوبه ـ رحمه الله ـ أما استعمالها استفهاماً كما قال فكثير لا يحتاج إلى شاهد، وأما استعمالها في ألسن فصحاء العرب للكثرة فكثير لا يحتاج إلى شاهد، ووصل بحث، واستعمال مكث، فلم يعترض على ولي، ولا تشكك في جلي[2]:

وليس يصح في الأفهام شيء   إذا احتاج النهار إلى دليل

قال الله تعالى في سورة يونس: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[3]، ووقع في البخاري في رثاء المقتولين المشركين يوم بدر[4]:

ماذا بالقليب قليب[5] بدر   من القينات والشرب الكرام[6]

= مالك وابن الحاج التجيبي، والشاطبي، وابن عسكر المالقي وابن أبي المداد، وابن برطلة، وأبو المطرف بن عميرة وغيرهم، وأقرأ في موطنه الأندلس وفي تونس حينما حلّ بها وأفاد كثيراً على الرغم من أنه كان ميالاً للانقباض والخمول والعزلة، وله أشعار وقصائد كثيرة في الزهد والتصوف والأمداح النبوية.

راجع في ترجمته: بغية الوعاة: 119، نفح الطيب، 2: 1154، تراجم المؤلفين التونسيين 2: 91 ـ 92، ملء العيبة 2: 38 ـ 44، 49، 50... الخ. رحلة العبدري: 51، مختارات من الشعر المغربي والأندلسي: 48 ـ 95.

(1) من الطويل.

(2) من الوافر.

(3) سورة يونس، الآية: 101.

(4) يوم بدر أو معركة بدر الكبرى هي المعركة التي وقعت بين المسلمين والكفار في 17 من شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة قرب المدينة المنورة، وكان لها أثرها البارز في تاريخ الإسلام وانتشاره.

(5) القليب: البئر.

(6) القينات: جمع قينة الجارية، والشَّرْبُ: القوم يجتمعون للشراب.

ومـاذا بـالـقـلـيـب قـلـيـب بـدر   مـن الـشـيـزي تـكـلـل بـالـسـنـام[1]

وفي السير في رثاء المذكورين أيضاً[2]:

مـــاذا بـــبـــدر فـــالـــعـــقـــنـــقـــل   مـــن مـــرازبـــة جـــحـــاجـــح[3]

وهذا الشعر لأمية بن أبي الصلت الثقفي[4]، وأظن الأول له أيضاً[5] ووقع في الأغاني[6] للوليد بن يزيد[7]، يرثي نديماً له يعرف بابن. . .[8].

لله قبر ضيفت فيه عظام ابن الطويل   ماذا تضمن إذ ثوى فيه من الرأي الأصيل

والخبر طويل، وأجل من هذا وأعلى، وأحق بكل تقديم وأولى، ولكن الواو لا تفيد رتبة ولا تتضمن نسبة، قول رسول الله ـ ﷺ ـ **«ماذا أنزل الليلة من الفتن؟»**[9] وهو في الصحاح ووقع في الحماسة وقد أجمعوا على الاستشهاد بكل ما فيها[10]:

مـــاذا حـــلّـــل وتـــيـــرة ابـــن سـُـمـــاك   مـــن دمـــع بـــاكـــيـــة عـــلـــيـــه وبـــاك

(1) الشيزي: خشب أسود تعمل منه الأمشاط، وقد يطلق على الأمشاط نفسها والبيتان من الوافر.
(2) من الكامل.
(3) في معجم البلدان «كم بين بدر والعقنقل» وفي العقد «من ذا ببدر» والبيت في السبك كما هو في ديوان أمية ابن أبي الصلت: 346، والعقنقل الكثيب من الرمل، والمرازبة الفرسان الشجعان والجحاجح الأسياد الكرماء.
(4) أميّة بن عبد الله بن أبي الصلت الثقفي يكنى بأبي عثمان وأبي الحكم وأبي القاسم وأبي الصلت، والظاهر أنه عاش ـ كما ذكر الدكتور عبد الحفيظ السطلي محقق الديوان ـ في بيت يجمع العز والشرف، ويمتاز بالأدب والشاعرية ولم يعلم تاريخ ميلاده ونشأته أو متى مات وكيف مات ولكن الدكتور السطلي رجح وفاة أمية في السنة الثانية للهجرة، بعد أن تبرأ من البطالة، ومال إلى الحكمة والتوقر، وإن كان لم يسلم، وفي شعره مظاهر من معاني التوحيد وذكر القيامة.
(5) لم أعثر على ذلك في ديوان أمية بن أبي الصلت؛ بتحقيق الدكتور عبد الحفيظ السطلي.
(6) كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني من أشهر كتب الأدب وتاريخه.
(7) هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان المكنى بأبي العباس أحد ملوك بني أمية (88هـ ـ 126هـ)، عرف بالظرف والإنهماك في اللهو والسماع وصناعة الشعر الرقيق، ووصف أيضاً بالإلحاد؛ وقد ساءت القالة فيه كما قال ابن خلدون، راجع الأغاني، وتاريخ ابن خلدون.
(8) كلمة ذهب بها البتر في المخطوط. وفي (ب) بابن السواء والبيت من مجزوء الكامل.
(9) في الموطأ، لباس: 8 «أن رسول الله ﷺ قام الليل وقال: وماذا وقع من الفتن».
(10) شرح الحماسة (2: 938) وفيه «ماذا أجال وتيرة ابن سماك» والبيت من الكامل وصدره مختل.

وفي الحماسة أيضاً، وأظنها لأبي ذهبل[1]:

مـاذا رزينـا غـداة الـخـل مـن زمـع عـنـد الـتـفـرق مـن خـيـم ومـن كـرم

ووقع في النوادر؛ نوادر القالي[2] لكعب بن سعد الغنوي[3] يرثي أخاه أبا المغوار[4]:

هـوت أمه ما يبعث الصبح غاديا ومـاذا يـردُّ الـلـيـل حـيـن يـؤوب

ووقع في شعر الخنساء ترثي أخاها صخراً[5]:

ألا ثـكـلـت أم الـذيـن غـدوا بـه إلى القبر ماذا يحملون إلى القبر

ومـاذا يُـواري الـقـبـر تـحـت تـرابـه من الجود من بوس الحوادث والدهر

ولجرير[6] وهو في الحماسة[7]، وهما من الكامل:

---

(1) شرح الحماسة (4: 1618) وهو ـ كما ذكر ـ لأبي ذهبل في الأزرق المخزومي، كان عاملاً لعبد الله بن الزبير على اليمن والبيت من البسيط، يليه قول أبي ذهبل:

ظـل لـنـا واقـفـاً يـعـطـي فـأكـثـر مـا قـلـنـا وقـال لـنـا فـي وجـهـه نـعـم

(2) كتاب النوادر ويسمى أمالي القالي نسبة إلى صاحبه إسماعيل بن القاسم بن عبدون المكنى أبا علي من أدباء العربية المشهورين بسعة الحفظ والرواية، ولد ونشأ في منازجرد، ورحل إلى العراق حيث تعلم في بغداد حاكمها على التأليف، ومن أهم تصانيفه الكتاب المذكور و«البارع» و«المقصور والممدود والمهموز» وكان المغاربة والأندلسيون يلقبونه بالبغدادي، ودامت حياته من سنة (288هـ) إلى (356هـ).

(3) كعب بن سعد بن عمر الغنوي من بني غني، شاعر جاهلي معروف بحسن سبكه، وصفاء ديباجته، ومن أشهر شعره قصيدته التي رثى فيها أخاه المقتول في حرب أو معركة ذي قار، والتي جعل مطلعها:

تـقـول ابـنـة الـعـبـسـي قـد شـبـت بـعـدنـا وكـل امـرئ بـعـد الـشـبـاب يـشـيـب

ولكعب ديوان شعر.

(4) من الطويل.

(5) هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية من شواعر العرب المشهورات مخضرمة، عاشت جل حياتها في الجاهلية ثم أسلمت وكان الرسول معجباً بشعرها، وبخاصة ما ندبت فيه أخويها صخراً ومعاوية، ومن رائع رثائها الذي قالته في الإسلام ما حرضت به أبناءها الأربعة الذين شهدوا حرب القادسية عام ستة وعشرون الهجرة إلى أن كتبت لهم الشهادة.

(6) جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي من تميم، يعد من أشعر أهل عصره، ولد ومات في اليمامة، اشتهر بالهجاء والنقائض، فلم يثبت أمامه غير الفرزدق والأخطل وإلى ذلك فقد كان عفيفاً، وأخباره مع الشعراء وغيرهم من أهل عصره واسعة وكثيرة.

له ترجمة في: الأغاني 1: ، وفيات الأعيان 1: 102، الشعر والشعراء: 179.

(7) ليس للبيتين ذكر في حماسة أبي تمام ولا في حماسة البحتري. وهما في ديوان جرير ضمن قصيدة في الغزل.

إن الـذيـن غـدوا بـلـبـك غـادروا   وشـلاً بـعـيـنـك لا يـزال مـعـيـنـا
غـيـضـن مـن عـبـراتـهـن وقـلـن لـي   مـاذا لـقـيـت مـن الـهـوى ولـقـيـنـا

وفي الحماسة أيضاً[1]:

ماذا من البعد بين البخل والجود

ووقع في الحماسة أيضاً، وهو لامرأة[2]:

هَوَت أمُهم ماذا بهم يوم صُرّعوا   بجَيْشانَ من أسباب مجد تصرّما

أرادت ماذا تصرم لهم من أسباب مجد يوم صرعوا بجيشان من أسباب مجد تصرّما، ومما يستظهر به قول أبي الطيب المتنبي[3]:

ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها   إني بما أنا باكٍ منه محسود

وقوله أيضاً[4]:

ومـاذا بـمـصـر مـن الـمـضـحـكـات   ولـكـنـه ضـحـك كـالـبـكـا

ومن ملح المتأخرين؛ كان بمرسيّة[5] أبو جعفر المذكور في المطمح[6]

---

(1) الحماسة 4: 1583، وصدر البيت «ألا ترين وقد قطعتني عذلاً» وهو من البسيط.

(2) هي أم الصريح الكندية، الحماسة 2: 933، والبيت من الطويل.

(3) من البسيط، وهي من هجائيته المشهورة التي قالها في كافور يوم عرفة قبل مسيره من مصر بيوم واحد سنة خمسين وثلثمائة، ديوان المتنبي 2: 167. وأبو الطيب المتنبي هو أحمد بن الحسين شاعر العربية وعبقريها من أعلام القرن الرابع الهجري كوفي المنشأ وله رحلات إلى الشام ومصر وفارس. يُعدّ في الطبقة الأولى من المحدثين، وهو «مالئ الدنيا وشاغل الناس» كما قال أحد النقدة، وتوفي مقتولاً سنة 354هـ. له ديوان شعر ضخم حظي بالعديد من الشروح.

(4) وهي من قصيدة الهجاء التي قالها في كافور، وذكر فيها خروجه من مصر وما لقي في طريقه، ديوان المتنبي 1: 37. وهو من المتقارب.

(5) مرسيّة بالأندلس: قاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم، وهي تقع على نهر كبير؛ مشهورة بالخصيب واتساع الرقعة وبالأسواق العامرة، والصناعة البديعة، وأنجبت عبر تاريخها الإسلامي طائفة من العلماء الكبار، ولفظة مرسية ساقطة في (ب).

(6) إيماء إلى كتاب «مطمح الأنفس، ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس»، تأليف الأديب الكاتب الفتح ابن خاقان من أعلام المائة السادسة، وله أيضاً كتاب قلائد العقيان في التراجم.
ومن المعروف أن كتاب المطمح المشار إليه، ألّفه ابن خاقان في أحجام مختلفة صغير ووسط وكبير ولا توجد هذه الملحة في النسخة المطبوعة بتحقيق محمد علي شوابكة.

وكان يلقب بالبقيرة[1]، فقال فيه بعض أهل عصره[2]:

قالوا البقيرة يهجونا فقلت لهم ماذا دهيت به حتى من البقر

هذا وليس بثور، بل هو ابنته، وأين منزلة الأنثى من الذكر، وأنشد صاحب الزهر[3] ولا ذكر قائلة[4]:

ماذا لقيت من المستغربين ومن قياس قولهم هذا الذي ابتدعوا
إن قلت قافية بكراً يكون لها معنى يخالف ما قالوا وما وضعوا
قالوا لحنت وهذا الحرف منتصب وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وضربوا بين عبد الله واجتهدوا وبين زيد فطال الضرب والوجع

وقال صاحب الزهر، أنشد أبو حاتم، ولم يسم قائله[5]:

ألا في سبيل الله ماذا تضمنت بطون الثرى واستودع البلد القفر

هذا ما حضر بفضل الله من الاستشهاد على «ماذا» تستعمل بمعنى الخبر والتكثير، ووالله الذي لا إله غيره، ما طالعت عليه كتاباً، ولا فتحت فيه باباً، وإنما هو ثمالة[6] من حوض التذكار، وصبابة مما علق به شرك الأفكار، مما سدك[7] به السمع، أيام خلو الذرع، وعقدت عليه الحبا، في عصر الصبا، ورحم الله من تصفح فصفح، وتلمح فتسمح، وصحح ما وقع إليه من اعتلال،

(1) في (ب) بالقبيرة ولا يستقيم ذلك مع السياق.
(2) من البحر البسيط.
(3) هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي إبراهيم بن تميم الأنصاري المعروف بالحصري القيرواني من أعلام القرن الخامس الهجري (330 ـ 413) كان كما ذكر ابن رشيق «شاعراً نقاداً، عالماً بتنزيل الكلام، وتفصيل النظام» وكتاب «الزهر» المشار إليه هو «زهر الآداب وثمر الألباب» المعروف، وقد اختصره ـ كما ذكر الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب في كتابه «نور الطرف ونور الظرف» وله آثار أدبية أخرى: له ترجمة في: الأنموذج وفيات الأعيان.
(4) من البحر البسيط.
(5) من البحر الطويل.
(6) الثمالة: البقية في أسفل الأناء من شراب ونحوه.
(7) سدك بالشيء سدكاً وسدكاً: لزمه، فهو سدك، وهي سدكة.

وأصلح ما وضح لديه من اختلال فخير الناس، من أخذ بالبر والإيناس، فبصّر من جهله، واذكر عن وهله و﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]، وتحابهم في الله رفعة وحظوة، ولهم في السلف الكريم، ومحافظتهم على الود القديم، إسوة كريمة وقدوة.

قلت انظر تحصيل ذا العلق النفيس، والإمام الرئيس، واستحضاره كلام الأدباء، وسير النقاد البلغاء ومساجلته مع فرسان المعاني، ورصفة تلك المغاني، وقد كان حامل لواء الأدب، وفائق أبناء جنسه في مرقب الطلب.

وهذه الكلمة «ماذا» جرت بين الأستاذ أبي الحسين بن أبي الربيع[2] ومالك بن المرحل[3] بسبتة حتى ألف مالك كتاب الرمي بالحصا والضرب بالعصا[4] وفيه هنات لا ينبغي لعاقل أن يذكرها، ولا لذي طي من البيان

---

(1) سورة الحجرات، الآية: 10.

(2) أبو الحسين بن أبي الربيع القرشي الأموي الأشبيلي، ولد عام (599) وأخذ عن جماعة من الشيوخ، وتبحر في العلم والعربية وبخاصة في النحو، وألف تآليف كثيرة منها المختصر في النحو والإفصاح في شرح الإيضاح، وانتقل بعد نكبة الموحدين في الأندلس إلى العدوة المغربية، وسكن مدينة سبتة التي كانت تسمى بصرة المغرب، فتخرج به تلاميذ كثر.
له ترجمة في: شجرة النور: 202، الأكليل والتاج: الورقة: 55، اختصار الأخبار: 16، برنامج التجيبي: كشف الظنون: 1428 ـ 1819 الحركة العلمية في سبتة: 77 ـ 80 ـ 88 ـ وما بعدها.

(3) أبو الحكم مالك بن المرحل من أعلام الأندلس في القرن السابع، ولد في مالقة عام (604هـ) وأخذ علومه فيها وفي أشبيلية وغيرها، ونبغ مع نخبة من زملائه؛ ثم رحل إلى سبتة ومنها إلى فاس حيث ظهر أدبه وعرفت شهرته وعلمه إلى أن توفي في فاس سنة (699هـ).
له ترجمة في: الإكليل والتاج: الورقة: 104 ـ 105، الإحاطة في أخبار غرناطة 3: 203، جذوة الاقتباس، سلوة الأنفاس: 199 إدراك الأماني 3: 62 ـ 63، الكوكب الثاقب 297، شجرة النور الزكية: 202 وقد قمت بتحقيق آثار هذا الأديب ودراسته في عمل مستقل.

(4) توجد من هذه الرسالة نسخة مخطوطة ذهب بجزء منها الوهي والأرضة في مكتبة العلامة الأستاذ محمد المنوني، وقد أهداني صورة منها قمت بنشر المقامة النجدية ضمن أوراقها بدراسة وتحقيق في مجلة البحث العلمي. العدد: 41 سنة 1993.
راجع ما كتبناه عن رسالة الرمي بالحصا والضرب بالعصا في كتابي أديب العدوتين مالك بن المرحل؛ وما كتبه العلامة عبد الله كنون في النبوغ المغربي، والأستاذ إسماعيل الخطيب في الحركة العلمية في سبتة: 311 وما بعدها. ومناهج النقد الأدبي بالمغرب خلال القرن الثامن الهجري.

أن ينشرها، وفي ذلك قال الأستاذ أبو الحسين ـ رحمه الله ـ[1]:

كـــان مـــاذا لـــيـــتـــهـــا عـــدم فـــهـــبـــوهـــا[2] قـــربـــهـــا نـــدم
لـــيـــتـــنـــي يـــا مـــال لـــم أرهـــا إنـــهـــا كـــالـــنـــار تـــضـــطـــرم

(1) من المديد.
(2) في (ب) قربوها.

9 ـ أبو عبد الله محمد القيسي (ابن العطار)(*)

وممن لقيته، وقرأت عليه، أستاذ البلد، وإمام الرشد، الفقيه النحوي المتفنن المجيد، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن خلف القيسي، المشتهر بابن العطار، وقَّاد الفكر، شهير الذكر، كان نحوياً فرضياً أصولياً، فقيهاً مشاركاً في كثير من العلوم، وكان وحده أستاذ البلد، وإمام الرشد، أول من فتحت عليه باب كتاب، ولقنني حجة صواب، كان في تعليمه مقدماً، وفي بحثه وإلقائه بُرداً منمنماً، سمعت عليه نصف كتاب الجمل للزجاجي(1) في دولات مختلفة، وعرضت عليه شعر امرئ القيس بن حجر الكندي(2) وأعربته عليه، وسمعت

(*) أبو عبد الله محمد بن العطار القرطبي، عرف بالمفرجي ـ كما جاء في رحلة التجاني: 178، والأخبار عن هذه الشخصية قليلة، وقد أورد صاحب الرحلة له بيتين قالهما في مدينة قابس من (السريع):

لهفي على طيب ليال خلت ... بجانب البطحاء من قابس

كأن قلبي عند تذكارها ... جذوة نار في يدي قابس

(1) يشير إلى كتاب «الجمل الكبرى» في النحو لعبد الرحمن بن إسحاق النهاوندي الزجاجي، شيخ العربية في عصره، ولد في مدينة نهاوند ونشأ ببغداد، وسكن دمشق، وتوفي عام (337/ 949م) في طبرية، بعد أن ترك تراثاً واسعاً من الإيضاح في علل النحو، والزاهر في اللغة، وشرح الألف واللام للمازني والمخترع في القوافي والأمالي وغير ذلك.

(2) امرؤ القيس بن حجر الكندي معدود من أشهر شعراء ما قبل الإسلام، وأحد الأربعة المقدمين على غيرهم من شعراء الجاهلية، وكان يعيش قبل ظهور الإسلام بنحو ثمانين سنة، وله آثار وأخبار في دواوين الأدب وكتبه، وديوانه مطبوع مشروح.

عليه كتاب فصيح ثعلب[1]، وقرأت عليه السماكي، وكان يجيد إقراءه، وسمعت عليه أكثر كتاب المعالم للرازي، ودولاً كثيرة من الحاصل[2]، وكان الفقيه المتكلم أبو علي بن خليل الأصولي، يقرأ عليه كتاب سيبويه، وحضرت لقراءته مرات كثيرة، وسمعت عليه يسيراً من ابن الحاجب[3] وله عليه وضع لم يكمل، وله على كتاب المقرب جزء كبير لم يكمل أيضاً، وله تقاييد مخترمة لم يجد لنفسه وقتاً يتمها[4]؛ وكان ـ رحمه الله ـ من أهل الابتلاء بالأمراض، كان يعالج بياضاً بوجهه بالحناء في أكثر أوقاته، وكان يشكو من الحصى كثيراً، ويمتنع من الإقراء بسببه، وكان إذا أدمن أكل اللحم يُحم لحدته، وذكاء طبعه، لم ينل من دنياه قُلامة ظُفر، ولا شميمة قشر، كثيراً ما رأيته ضجراً من الإقلال، مكتئباً من إثراء الرجال، لم يقف بباب أحد من أهل بلده، ولا أعين برفده ولا صفده[5]، ارتحل لباجة حاجة وخصاصة وشمخاً بأنفه ونفاسة، وكان يرتاده أهلها الفضلاء لكرامته؛ فأبى أن يسم نفسه النفيسة بتلك العلاقة، كانت همته بالثريا تعلق، وبزته من نواقج علمه تضوع وتُنشق[6]، كان ممتعاً من المعارف

---

(1) كتاب الفصيح في اللغة نسبة إلى ثعلب: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني إمام الكوفيين في اللغة والنحو، عرف بالحفظ للغة ورواية الشعر والشواهد، وصدق اللهجة والدقة في النقل وقد ألف «الفصيح» المذكور و«قواعد الشعر» و«شرح ديوان زهير» و«مجالس ثعلب» و«معاني القرآن» و«الشواذ» وقد عاش وعمر ما بين سنتي (200هـ) إلى (291هـ).
راجع وفيات الأعيان 1: 30، تاريخ بغداد 5: 204، بغية الوعاة: 172.

(2) الحاصل في الأصول لتاج الدين محمد بن الحسين الأرموي، وهو «اختصار المحصول في الأصول».

(3) يشير إلى أحد كتابيه «الكافية» في النحو أو «الشافية» في الصرف، وابن الحاجب: عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس فقيه مالكي، من أئمة العربية وأعلامها، ولد في أسنا من صعيد مصر سنة (570هـ 1174م) ونشأ في القاهرة، ثم رحل إلى الشام فسكن دمشق، ثم عاد إلى مصر فتوفي بالإسكندرية عام (646هـ ـ 1249م)، ومن آثاره الأخرى: «مختصر في الفقه» و«المقصد الجليل» في العروض و«مختصر منتهى السول والأمل» و«الإيضاح».
له ترجمة في: وفيات الأعيان 1: 314، مفتاح السعادة 1: 117، غاية النهاية 1: 508.

(4) في (ب) يتممها.

(5) صفده صفداً: شده وأوثقه، وأصفده: صفده وأعطاه حتى قيده بالعطاء. وفي (ب) ولا صدفه.

(6) نفج الشيء نفجاً ونفوجاً: علا وارتفع.

كثيراً جداً، كنت أزوره كثيراً وأجالسه وأذاكره؛ فإذا ضايقته يقول لي: أنا ننجر وأبو زكريا يُمليسُ، يعني صاحبه اليفرني، وكانا فرسي رهان، وعلمي بيان، كان إذا رأى طالباً ينصفه، وإن وعده لا يخلفه، فعد به عدم الحظ عن مأربه وشؤونه كلها ومطالبه، كان فقره مدقعاً، حتى منعه أن يكون ممتعاً، وكان شبان البلد كلهم يحضرون مجلسه، وكان إذ ذاك الحال خالياً، والأمل عالياً، فتنظر عقله المستوفز في حلقته، وذكاء اللهب يلتهب من سني فطرته، لقي الشيخ الفقيه النحوي المتكلم أبا جعفر اللُبْلي[1] والشيخ الفقيه المشارك أبا إسحاق الجزري[2] والأستاذ النحوي الأديب المعلم أبا العباس ابن أبي رقيقة[3] وأشياخه أشياخ صاحبه وصفيه الأستاذ أبي زكريا اليفرني، لم يكن لها مشيخة كما يعهد في الفهارس الأندلسية والمشرقية[4]. واجتمعا معاً بالأستاذ النحوي اللغوي

---

(1) يكنى أبا جعفر، وأبا العباس، واسمه أحمد بن يوسف اللبلي نسبة إلى مدينة لبلة.... التي ولد بها ونشأ، وأخذ علومه ومعارفه عن أبي علي عمر الشلوبين، وأبي الحسن الدباج وأبي زكريا الفندلاوي، والأعلم البطليوسي، وابن لب الشاطبي، وقد كانت له رحلة إلى المشرق التقى فيها بالعلماء، ولكنه لم يستفد لسعة علمه ـ كما ذكر الغبريني علماً، ثم رجع إلى تونس ومكث بها مشتغلاً بالتعليم والتأليف إلى أن توفي عام (691/ 1292) بعد أن تكوّنت به طائفة كابن جابر الوادي آشي وابن رشيد العبدري والقاسم بن يوسف التجيبي، وكانت ولادته عام (610/ 1226).
ترجمته في: الدرة 1: 38 ـ 39، ملء العيبة 2: 38 ـ 44 ـ 49 ـ 50... الخ رحلة العبدري: 43.

(2) إبراهيم بن محمد الخزرجي الأنصاري الجزري الأندلسي، ولد بالأندلس، وتلقى علومه فيها عن طائفة من الأعلام منهم أبو عبد الله الرندي النحوي، وأبو العباس ابن جزي، ثم انتقل إلى المغرب حيث لقيه الرحالة ابن رشيد السبتي عند رجوعه من الحج، ووصفه بـ«شيخ الشيوخ، وبقية أهل الرسوخ، ذي التصانيف الكثيرة، والمعارف الغزيرة»، ويبدو أنه كانت له تآليف كثيرة، ولكن لم يكتب لها الظهور والنشر بسبب دقة حروفها، ورداءة خطها، بيد أن علماء تونس استفادوا من علومه ومجالسه وتدريسه فأخذوا عنه العربية والبيان والجدل والمنطق والأصلين، ومن تآليفه التي ذكرت في ترجمته: إيجاز البرهان في بيان إعجاز القرآن، تحرير القواعد الكلامية في تقرير العقائد الإسلامية، ضبط عوامل الأعراب.
له ترجمة في: الديباج: 91 ـ 92، بغية الوعاة 1: 406، تراجم المؤلفين التونسيين 2: 27 ـ 28.

(3) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن يوسف الخزرجي المري ابن أبي رقيقة المكنى بأبي العباس، كان لغوياً أديباً معروفاً بصناعة النحو (665/ 1267)، روى عن أبي الربيع ابن موسى وابن سالم، وأجاز له تاج الدين القسطلاني.
الذيل والتكملة 1/ 1، 387، 542. ملء العيبة 2: 57 ـ 410 ـ 412.

(4) اهتم علماء الإسلام في العصور السابقة بكتابة الفهارس والبرامج والمشيخات لتوثيق =

الإمام المشار إليه، بالبيان في الأقطار، المشتهر صيته في جميع الأمصار أبي الحسن علي بن مؤمن بن عصفور الحضرمي(1)، ولم يأخذا عليه طائلاً، صحباه مقدار ستة أشهر فيما حكيا لي معاً، كانا يحققان معه عيون المسائل، ويفهمان مشكلاتها، ويوضحانها للسائل، وكان صاحبه اليفرني يقول: إن تونس ما حضَّرها إلا رجلان أحدهما الأستاذ أبو الحسن ابن عصفور بالعربية والفقيه المفتي أبو القاسم بن زيتون اليمني(2) بالأصلين؛ فإنهم قبل ورودهما بالعلمين كانوا يشتغلون بالفقه والوثائق، وهي إذ ذاك لم يكن بها غير أهلها قبل أيام الأمير الأجل المجاهد المقدَّس أبي زكريا ـ رحمه الله ـ والأمير هو الذي حضَّرها بناءً وعلماً، وزيَّنها بوفادة أهل الأمصار، فصار مجموع الأقاليم يوجد فيها، حسن البلاد كلها مجتمع لها، «وكل الصيد في جوف الفرا»(3).

أخبرني شيخنا الفقيه أبو زكريا اليفرني ـ رحمه الله ـ أنه كان يستحضر كتاب الإفصاح بفوائد الإيضاح كله، وهو في أربعة أسفار ضخمة، وكان الفقيه الصالح أبو الحسن القديدي(4) ممن لقي ابن هشام(5)، وأخذ عنه، وقرأ عليه

= السند العلمي، وبيان مقدار ما حصلوه من علوم، وأسماء الشيوخ الذين انتفعوا بهم وأجيزوا منهم. راجع في ذلك:
فهرس الفهارس والإثبات لعبد الحي الكتاني، و«أهمية الإسناد في العلوم العربية والإسلامية ضمن كتاب تاريخ العلوم للأستاذ الدكتور فؤاد سزكين والفصل القيم الذي مهد به الدكتور محمد أبو الأجفان لبرنامج المجاري «كتب البرامج، وبرنامج المجاري».

(1) أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد الحضرمي، عرف بابن عصفور، وصفه ابن شاكر الكتبي في «فوات الوفيات» 2: 184 بأنه «حامل لواء العربية بالأندلس»، وأكد ابن الطواح في سبك المقال على تأثيره الواسع في تونس عند رحلته إليها ومقامه فيها، ولد سنة (597/ 1200) بأشبيلية، حيث تلقى علومه ومعارفه، وكان ـ كما قيل ـ من أصبر الناس على المطالعة والدرس، مما مكَّنه من تأليف العديد من التصانيف منها «الممتع» و«المفتاح» و«المقرب» و«شرح المقرب» وغيرها، وتوفي بتونس بعد موقف جرى له مع سلطانها المستنصر سنة (669هـ/ 1271م).
له ترجمة في: بغية الوعاة: 357، عنوان الدراية: 317، شجرة النور الزكية: 197.

(2) سبقت الترجمة له.

(3) مثل يضرب لمن يُفضَّل على أقرانه، راجع مجمع الأمثال 2: 136.

(4) في (ب) الفريدي.

(5) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام اللخمي، عالم من علماء أشبيلية، اشتهر بمدينة =

كتاب الإيضاح[1] وقد تحدثت معه مراراً فلم يكن يستحضر أقوال المتأخرين كغيره ممن رأى الأستاذ أبو الحسن ابن عصفور، كان الفقيه أبو عبد الله محمد بن العطار يتورع لا تورع أهل العرفان، لكن تورع أنفة عن الأخدان، وكان قليل الإقراء، كثير البطالة، ما ختم عليه قط كتاب إلا في نادر لبعض الأصحاب، وكان إذا ضويق يرجع عن كثير من اجتهاده، وينصف خصمه ويسلك سبيل رشاده، ولد عام ستة وأربعين وستمائة وتوفي ـ رحمه الله ـ عام ثمان وتسعين وستمائة، وحمله الفقراء أولاد الشيخ الصالح السالك الذائق الكبير النفيس الشهير أبي محمد عبد الله المزدوري[2] لقراءتهم عليه، كان منهم شيخ مكفوف البصر يقرأ أملي[3] عليه كتاب سيبويه، والتحصيل[4] للسراج، وكان صاحبنا القاضي الإمام المفتي المحصل الفقيه أبو عبد الله ابن عبد السلام[5]، يحضر دول الكفيف كلها، فوفوا له بحق الإقراء، وجازوه على ذلك أفضل الجزاء، وإنما يعرف الفضل لأهل الفضل أهل الفضل.

كنت أقرأ عليه ـ رحمه الله ـ وكان الناس يعطونه الأجر على الإقراء؛ فجئته يوماً بخمسة دراهم، وأعطيتها له فامتنع؛ فامتعضت لذلك فاجتمع به خالي ـ رحمه الله ـ وكان يمت بصحابته من درس الفقيه أبي عبد الله السوسي[6]

= سبتة مع مهاجرة الأندلسي، كابن المرحل وابن الربيع، وبرز في علم النحو تدريساً وتأليفاً وعرف باللغة والأدب أيضاً، توفي عام (577هـ).

له ترجمة في: التكملة 2: 675 ـ 676، الوافي بالوفيات 2: 131، بغية الوعاة 1: 48 ـ 49.

(1) كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي في النحو والتصريف، كان موضع عناية العلماء والدارسين منذ القرن الرابع الهجري، وكان من المصادر الأساسية إلى جانب «الكتاب» في تدريس النحو.

(2) راجع ص116.

(3) في (ب) إملاء.

(4) التحصيل.

(5) الراجح أنه أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري التونسي، فقد كان معاصراً لابن الطوّاح، وصف بـ«قاضي الجماعة بتونس» وبأنه «الشيخ الفقيه القوّال بالحق الحافظ المتبحّر في العلوم العقلية والنقلية. من آثاره: شرح على مختصر ابن الحاجب، ولي القضاء سنة (734هـ) وتوفي بالطاعون الجارف سنة (749هـ).

له ترجمة في: نزهة الأنظار 1: 568 ـ 569 ـ 571، شجرة النور الزكية: 210.

(6) الفقيه المعمر أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار الرعيني السوسي (567/ 662هـ). منسوب =

ـ رحمه الله ـ فعاتبه على ذلك؛ فاعتذر له بأني مبتدئ، وما هو على وثوق من فهمي، قال فما يحل لي أن آخذ على ذلك أجراً، لعلك تشتري له بها كتاباً، ينتفع به فتغبطه بالقراءة؛ فيستفيد قريباً، وكذلك جرى للعباس الزناتي[1] معه، بعث له إحراماً وفشتولاً[2]، بقيا عنده في السقيف حولاً كاملاً، لم يتصرف فيهما حتى عرف الآخر بذلك، فتحدث معه في سبب ذلك فحلف أن لا يقبلهما، وكان يأخذ من أناس آخرين ولا يتوقف، وللناس في مقاصدهم مذاهب وشؤون ومطالب، كان الأستاذ أبو جعفر اللبلي[3] يثني عليه، ويغض من صاحبه اليفرني؛ لأنه كان إذا لقيه يَهش له، والآخر يلتقيه راكباً فلا ينزل له من على الدابة، وكان الفقيه أبو جعفر اللَّبْلي فصيح القلم، أعجمي اللسان، وأحسن تواليفه «شرح فصيح ثعلب الكبير» وله على أبيات الجمل شرح سماه «وشي الحلل»، وأمر السلطان[4] الفقيه المحصّل الأديب أبا الحسن حازماً[5] أن يتعقب عليه فيه؛ فجاء أبو جعفر إلى الكتبيين[6] واجتمع به في حانوت الأمين القطان، ورغب إليه أن يُخلي سبيله، ويترك ما يجد من خطأ؛ فقال له: لو جئتني قبل لحاولت ذلك، ولكن خرج الأمر من يدي، وهذا التعقب قليل جداً، والمستحسن كثير[7] رأيته في إبّان الشبيبة، وهو في قبة غريب، ومن

= إلى مدينة سوسة بتونس ممن طال عمره وأحسن عمله، كان علماً في الفقه والحديث والأدب، تتلمذ عن الشيخ أبي يحيى زكريا بن الحداد، وتتلمذ عليه، وأخذ عنه طبقات من أهل تونس منهم أبو زكريا الحفصي، وابن تميم الحميري البجائي، وكان مشهوراً بالسعي في مصالح من يقصده وتحقيق رغائبهم، توجد ترجمته في: برنامج الوادي آشي 222، رحلة التجاني: 52 ـ 53، بغية الوعاة 1: 153، شجرة النور الزكية: 190، الوفيات: 126، الفارسية: ، تراجم المؤلفين التونسيين 3: 89.

(1) لم أقف له على ترجمة.

(2) الفشتول: ضرب من اللباس.

(3) تقدمت ترجمته.

(4) السلطان أبو زكريا يحيى الحفصي.

(5) خصّه ابن الطرّاح بترجمة في هذا الكتاب، رقم 21.

(6) يعني سوق الورافين حيث كانت تباع الكتب وتنسخ، وقد ظلت هذه التسمية مستمرة إلى عهد قريب في تونس.

(7) كتب في المخطوط كثيراً.

الإجابة قريب، ولأبي جعفر شريح على الجمل ليس فيه كبير فائدة، وكل من ألّف في هذه الصناعة بحضرة الأستاذ أبي الحسن ينفخ في غير ضرم، ويقيس الحالك بالعنم[1]. فما فتّق ألسنة الناس في علم العربية غيره.

(1) الجملتان كناية عن عدم الفائدة والجدوى من شيء ما، ويقصد بالضرم النار، وبالعنم: نبات أملس دائم الخضرة وأزهاره قرمزية تتخذ للخضاب.

10 ـ أبو العباس بن يوسف السلمي(*)

وممَّن لقيت النحوي الأديب، النسابة المتفنن أبو العباس[1] بن يوسف السلمي الكتاني، خالط الأستاذ[2] لحمه ودمه، وكان لا يقوم ولا يقعد إلا بذكره، ولا يقتطف جني ثمر إلا من زهره، وكان يعرف كلامه، ويرسل في ذم سوى الأستاذ سهامه، خدمه كثيراً، ولازمه طفلاً صغيراً، حظي بأكثر تواليفه، وما وجد له من تصانيفه أخذ علم العربية عنه، وأخذ علم الأدب عن الأستاذ أبي العباس[3] ابن رقيقة، وأخذ علم اللغة عن الأستاذ أبي جعفر اللّبْلي، ولازم الفقيه الأديب التاريخي أبا الحجاج البيّاسي[4]. وجد له وضع على شواهد كتاب

(*) تميزت هذه الترجمة بما ذكر فيها من إفادات حول المترجم به، راجع شجرة النور الزكية: 200.

(1) كتبت في المخطوطين أبا العباس.

(2) يشير إلى الأستاذ أبي الحسن بن عصفور الأشبيلي.

(3) سقطت الكنية في (ب).

(4) جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن محمد بن إبراهيم الأنصاري البياسي، ولد في بياسة من كورة جيان في 14 من ربيع الأول من سنة (573/ 1177)، وتنقل في مدن الأندلس فزار أشبيلية والجزيرة الخضراء وغيرهما، ثم انتقل إلى تونس ولزم بلاط أبي زكريا يحيى الحفصي (626 ـ 647هـ)، ونال حظوة لدى أبي زكريا، وفي عهده ألّف كتاب الإعلام بالحروب الواقعة في صدر الإسلام، والحماسة المغربية، وكان إلى ذلك أديباً بارعاً عارفاً بالنظم والنثر وأيام العرب، كثير الحفظ والرواية مما حببه للملوك والكبراء، كما كان من أشياخ المؤرخين، فقد ألّف ذيلاً على كتاب المتين لأبي مروان حيان بن حيان. وتوفي في تونس عام (653هـ ـ 2255م) بعد أن تجاوز الثمانين.

ترجم له في: بغية الوعاة 2: 359، شذرات الذهب 5: 262، اختصار القدح المعلى: ..

المقرب، وأكثره مُنتحل شيخه الأستاذ أبي الحسن بن عصفور، كان شيخنا الفقيه أبو زكريا اليفرني يحيي به لدرسه، ويبيّن ما أغفله وذهل فيه عن حسه؛ فمما رأيته له في باب الموصولات في قوله(1):

جمعتها من أينق هوارق ذوات ينهضن بغير سائق

فإنه جعل الجملة في موضع خفض للصفة التي هي ذوات ينهضن، قال شيخنا هذا منه ذهول، فإن هوارق نكرة، وذوات ينهضن معرفة، أو ما سمع الزجاجي يقول، ولا يجوز نعت النكرة بالمعرفة ولا المعرفة بالنكرة، وكذلك قول سحيم بن وثيل(2):

فإما كرام موسرون رأيتهم فحسبي من ذي عندهم ما كفانيا

قال إما مركبة من إن الشرطية وما تقديره أن يُقصد كرام، والفاء جواب الشرط، وهذه سقطة منه أيضاً؛ لأن صلة البيت تدل على أنها إما التفصيلية، وإما لئام معدمون أتيتهم قلت [كان](3) اللّبْلي حكويّاً كثير المداعبة، معجباً برأيه، يرى أن أزمة البيان بيده مُوثقة، كان يغض من الفقيه أبي زكريا كثيراً، وابن العطار كان لا يجنح إليه، ولا يعوّل في شيء عليه، ولي الأحباس واشتد بأسه، وأوصله هجراً أناسه، أنشدني - رحمه الله - لابن عبد المجيد الغزولي(4)، أحد تلامذة الأستاذ أبي

= 94، وفيات الأعيان 1: 233، نفح الطيب 3: 181، الأعلام 9: 329، تراجم المؤلفين التونسيين 1: 171 - 173.

(1) من الرجز.

(2) سحيم بن وثيل بن عمر الرياحي اليربوعي، أحد الشعراء المخضرمين بين الجاهلية والإسلام، عمّر إلى أن تجاوز المائة، وكان مشهوراً بشرفه ونبله في قومه، وله بعض الأخبار مع زياد بن أبيه ومع غالب بن صعصعة والد الفرزدق، وله أبيات مشهورة مطلعها:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

والبيت الوارد في المخطوط من البحر (الطويل) ترجمته في خزانة الأدب 1: 126 - 129، القاموس مادة وثل.

(3) كان الناقصة بين المعكفين غير موجودة في المخطوطين، بينما أثبت اسمها وخبرها.

(4) هو كما جاء في المخطوط من أهل تونس الذين تتلمذوا على العلامة أبي الحسن بن عصفور، وأخباره في كتب التراجم والمشيخات قليلة بن مفقودة، ولكن قصيدته التي أثبتها ابن الطوّاح تدل على توفره على العلم والتحصيل واهتمامه الكبير بعلم العربية وأعلامها.

الحسن بن عصفور الأشبيلي ـ رحمه الله ـ أبياتاً يمدحه بها وهي[1]:

بالأستاذ ابن عصفور علي   تحلّى دهرنا لا بالحلي
وقُرّت عينه لما أقرت   له الفضلاء بالفضل الجلي
فقام مفاخراً عنه لساني   أما الوسمي ينسخ بالولي[2]
مبادي النحو كانت من علي   فآلت بعده لأبي علي[3]
فصارت في دفاتره وصايا   تسلمها علي من الوصي
فقام بها وكان بها كفيلاً   وقوّمها على النهج السوي
فقرب بالمقرب كل معنى   تباعد منه علم الفارسي[4]
وصرف بالتصاريف المباني   فأنسانا كتاب المازني[5]
وكم شرح به انشرحت صدور   وتبصرة خلاف الصيمري[6]
وناظر للخليل وسيبويه   والأخفش والمبرد[7]

---

(1) من الوافر.

(2) الوسمي ـ كما تقدم ـ مطر الربيع، والولي المطر يسقط بعد المطر.

(3) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي الأصل، المكنى أبا علي أحد أئمة العربية ولد في فسا من أعمال فارس (288/ 900) ورحل إلى الشام والعراق، وكانت وفاته سنة (377/ 987) وله غير الكتاب المذكور، المقصور والممدود، والعوامل في النحو، والتذكرة وغير ذلك.
له ترجمة في: نزهة الألباء: 387، تاريخ بغداد 7: 275.

(4) يقصد أنه قرّب بكتابه المقرب المعاني النحوية البعيدة العميقة وفاق بحسن تقريبه الإمام أبا علي الفارسي في كتابه الإيضاح وكتب المقرب في (ب) المغرب.

(5) أشار إلى علم الصرف الذي يتناول أبنية الكلام وأوزانها والمازني وهو بكر بن محمد بن حبيب بن بقية: أبو عثمان المازني، ينسب إلى مازن شيبان، أحد أئمة العربية المبرزين في النحو، من أهل البصرة ورجالاتها، توفي بها عام (249/ 863) من أعماله التأليفية «الألف واللام» و«التصريف» وهو المشار إليه في البيت، و«العروض» و«الديباج» و«ما تلحن فيه العامة».
له ترجمة في: وفيات الأعيان 1: 92، معجم الأدباء/ 282.

(6) ربما أشار بذلك إلى محمد بن إسحاق بن إبراهيم الصيمري المكنى بأبي العنبس المتوفي عام (275/ 888م) نديم المتوكل المشهور بالأدب والظرف ومعرفة النجوم، وكان موضع هجاء شعراء عصره، راجع إرشاد الأديب 6: 401.

(7) كلمة غير واضحة، لعل أقرب قراءة لها «والأزهري» والخليل المذكور في البيت هو =

ويحى والكسائي ثم عيسى[1] ويونس والعلا والأصمعي[2]
وليس له من القرناء قرن يباريه فيذكر في روي
وأضحى وارث العلماء طراً ونسبة غيره نسب الدعي
أمامته بحق كيف تبغي خلاف خليفة السلف التقي
وحسبك أنه هاد أمين رشيد مقتد مُهدى الغوي
أبايعه وكم بايعت عنه مع المصري والإسكندري[3]

- الخليل بن أحمد الفراهيدي من أعيان المائة الثانية (170/786) من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وصاحب التآليف.
راجع وفيات الأعيان 1: 172، أنباه الرواة 1: 341، والأخفش لقب لجماعة من العلماء أشهرهم الأخفش الأكبر (عبد الحميد بن عبد المجيد مولى قيس بن ثعلبة (177 ـ 793)، والأخفش الأوسط (سعيد بن مسعدة المجاشعي (215 ـ 830) والأخفش الأصغر (علي بن سليمان بن الفضل (315 ـ 927).
راجع: بغية الوعاة، وأنباه الرواة، وفيات الأعيان والمبرد (محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي، ويكنى بأبي العباس، إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأديب والأخبار، مولده بالبصرة، ووفاته ببغداد، من تآليفه كتاب الكامل، والمذكر والمؤنث، والمقتضب وشرح لأمية العرب، وإعراب القرآن، وغير ذلك قال الزبيدي في شرح خطبة القاموس: المبرد بفتح الراء المشددة عند الأكثر، وبعضهم يكسر.
بغية الوعاة: 116، وفيات الأعيان 1: 495، تاريخ بغداد 3: 380.

(1) المقصود بيحيى الإمام أبو زكريا يحيى الفراء صاحب كتاب «معاني القرآن» والمتوفى عام (207).
والكسائي (علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي 189هـ ـ 805م)، إمام في اللغة والنحو والقراءة من أهل الكوفة، تعلم بها وقرأ النحو في الكبر، وتوفي بالري عن سبعين عاماً، وهو مؤدب الرشيد العباسي، وابنه الأمين له تصانيف منها معاني القرآن، والمصادر، والحروف، والنوادر، والقراءات، ومختصر في النحو.
غاية النهاية 1: 535، ابن خلكان 1: 330، تاريخ بغداد 11: 403، الأعلام 5: 93 ـ 94. وعيسى هو عيسى بن عمر المتوفى عام 149هـ ثقفي بالولاء شيخ الخليل وسيبويه وابن العلاء.

(2) يونس: هو يونس بن حبيب بالولاء، المعروف بالنحوي المتوفى سنة 182، أديب نحوي عالم بالشعر وطبقات رجاله. والعلا يقصد ابن العلا: زبّان بن عمار التميمي المازني البصري من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة. راجع في ذلك معجم الأدباء، وطبقات النحاة، وفهرست ابن النديم والأعلام.

(3) الإسكندري، داود بن عمر بن إبراهيم الشاذلي المالكي (ت732 ـ 1332)، كنيته أبو سليمان الإسكندري من علماء المالكية، ومن أهل التصوف، من كتبه المعروفة إيضاح المسالك =

والفقيه أبو العباس لا يكاد يسمع، وإن مُضع لا يُبلع، كأنما نُحت من صخر صلد، أو صيغ من ثلج وبرد؛ فمن ذلك قوله[1]:

حين جادت بوصلها عنقود كدت أقضي لو ساعدتني اللحود

وقوله في كلمة غير تلك يرثي بها الشيخ الفقيه القاضي الأكمل الأفضل أبا العباس أحمد بن محمد بن الغماز[2] ـ رحمه الله، وبرَّد ضريحه ـ وهي[3]:

«ما للعلوم تحط في الأرماس»

ولقد نحا نحو ذلك بعض الأصحاب في رثائه القاضي المذكور في قوله[4]:

أقضي على قاضي القضاة قضاء أم رجت الخضراء والغبراء

وقد كتبت لصاحب هذا الرثاء، الأديب الشاعر المنجم أبي العباس[5] الرصافي في ريعان الشباب، وشرخ التحفي بالآداب:

بني عمنا لا تذكروا الشعر بعدما دفنتم بصحراء الغميم القوافيا

أما قول القائل في مطلع كلمته، أقضي على قاضي القضاة قضاء؛ فإنه حلٌ من الغثاثة بسنامها، ولعمري إن من يقصد التجنيس لم يجد عن هذا محيداً، ولم يشد في ذرى البلاغة قصراً مشيداً، وإذا أردت شاهداً على ذلك؛ فاصخ لقول أبي الطيب[6]:

= على المشهور من مذهب مالك، وكشف البلاغة في المعاني، وشرح الجمل للزجاجي، ومختصر التلقين.

له ترجمة في: شجرة النور: 204، نيل الابتهاج، الدرر الكامنة 2: 100، الأعلام 3: 9.

(1) من الخفيف.

(2) تقدمت ترجمته.

(3) شطر من البحر الكامل.

(4) من الكامل.

(5) كتب في المخطوطين أبا العباس، وهو (أحمد بن عبد الله) كما في رحلة التجاني: 299، والبيت اللاحق من الطويل.

(6) من الطويل.

فقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا   قلاقل عيس كلهن قلاقل[1]

فإذا كان أبو الطيب نقد عليه ذلك؛ فأحرى أن ينقد على غيره، إذ أنّ كلام أبي الطيب وقع في أثناء القصيدة، وكلام هذا وقع أول الاستفتاح، فقبح وسمج، ويلحق بذلك ما أحفظه قديماً[2]:

وحييت إذ حييت حادي عيسهم   فكأنْ عيسى من حداة العيس

لمّا ثقل هذا في تكرير ألفاظه، ولم يجد من يعشق اللامع. . . . .[3] كتب إليه من بَانَ انطباعه، وامتد في سبيل اللاغة باعه[4]:

ثقّلت بالتجنيس خفة روحها   ما كان أغناها من التجنيس

ولحبّك التجنيس جئتَ ببدعة   فجعلت عيسى من حُداة العيس

ولولا الإطالة والخروج عما قصدت لأتممت التعقب إلى آخره، وقد خرجنا عما تكلمنا عليه، وأشرنا في هذا! . . . . إليه، قلت قرأنا يوماً في كتاب المقرب[5] في باب البدل وكان القارئ أحد أصحابنا[6]:

فلا وأبيك خير منك إني   ليؤذيني التحمم والصهيل

فقال شيخنا الفقيه أبو زكريا[7] ليؤذنني راداً على القارئ فسرت يومي ذلك إلى الجامع فوجدت الكتاني المذكور فقلت له: كيف الرواية في بيت مقرب الأستاذ في باب البدل. فقال ليؤذيني، قلت له: قال الأستاذ أبو زكريا هذه الرواية تصحيف؛ فقال لي أخطأ اليفرني، وأخذ بيدي وترك شغل أحباسه،

---

(1) قلقل: حرّك وأهاج. والبيت من، ضمن قصيدة قالها في صباه، راجع شرح ديوان المتنبي 3: 366 والبيت من الطويل.

(2) من الكامل.

(3) كلمة غير واضحة ربما كانت أقرب قراءة لها.

(4) من الكامل.

(5) المقرب لابن عصفور الأشبيلي.

(6) البيت كما جاء في معجم شواهد النحو الشعرية. لشمير بن الحارث، ذكر ذلك أبو زيد في نوادره: 124، الخزانة 2: 362 ـ 365، وبلا نسبة في المقرب والبيت من الوافر.

(7) يشير إلى شيخه أبي زكريا اليفرني.

وكان بإزاء توابيت اليمين بالجامع الأعظم، وسار بي إلى دار سكناه، وأخرج لي سفراً من طبقات الشعراء، حكى فيه السجستاني[1] أن من قرأ البيت ليؤذنني فقد صحّف، وإنما الرواية ليؤذيني قال ولم يزل الناس يصحفونها منذ ثلاثمائة سنة فرجعت إلى الأستاذ، وأخبرته بما جرى منه فوجم وقال لي: المعنى عليه، وتلك منه حجة على غير محجة، ونقطة قطران صيرت للزنابير مجّة، وللعلماء تصاحيف كثيرة، ذكر ذلك أبو عثمان الجاحظ[2] في البيان والتبيين؛ فمن ذلك قراءة بعضهم «ومن الشجر ومما يعرسون»[3]، قال: وكذلك ما جاءنا عن أحد من روائع الكلام ما جاءنا عن النبي، وإنما هو عن البتي عثمان، ويقال: إن الإمام أبا عبد الله الشافعي[4] ـ رضي الله عنه ـ كان في المكتب يقرأ فصحف في اللوح ﴿وَيَخِرُّ لْجِبَالُ هَدًّا أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾[5] وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[6]، ومن ذلك كثير مما يؤدي

---

(1) أبو حاتم السجستاني (248هـ ـ 862م) سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني من كبار العلماء باللغة والشعر من أهل البصرة، كان من أظهر تلاميذه المبرد، له ما ينيف على الثلاثين كتاباً، منها كتاب ما تلحن فيه العامة، وكتاب المعمرين، والأضداد، والمختصر في النحو وغير ذلك.
له ترجمة في: الوفيات 1: 218، الفهرست 1: 58، بغية الوعاة: 256.

(2) أديب العربية وعالم المعتزلة عمرو بن بحر بن محبوب المكني بأبي عمر والمشهور بالجاحظ لبروز عينيه وجحوظهما كانت حياته بين سنتي (163هـ ـ 255هـ) ومولده ووفاته بمدينة البصرة، تبحر في العلم والأدب، وتكوّنت به الفرقة الجاحظية المعتزلية، وذاع صيته وخبره في حياته في مختلف الأمصار بعد أن صنف تآليف كثيرة من أبرزها كتاب الحيوان، وكتاب البيان والتبيين المشار إليه، والبخلاء، والمحاسن والأضداد، ورسائله المتنوعة.
راجع ترجمته في: تاريخ بغداد 2: 212، نزهة الألباء: 254، أمالي المرتضى 1: 138، الوفيات 1: 388، إرشاد الأريب 6:

(3) سورة النحل الآية 68، وهي برسم المصحف ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾.

(4) محمد بن إدريس الشافعي الهاشمي القرشي (150 ـ 204هـ) الإمام أحد الأئمة الأربعة، ولد في غزة بفلسطين، ثم حمل منها صغيراً إلى مكة فطلب العلم، ثم زار بغداد ومصر وظل فيها إلى أن توفي، وكن معروفاً إلى جانب علومه الفقيه والشرعية باللغة والأدب، ومن أشهر تآليفه كتاب الأم والرسالة وأحكام القرآن، والمسند في الحديث، له ترجمة في: تهذيب التهذيب 9: 25، الوفيات 1: 447، تذكرة الحفاظ 1: 329.

(5) سورة مريم، الآية: 91، ﴿وَيَخِرُّ لْجِبَالُ هَدًّا أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾.

(6) سورة الأعراف، الآية: 156، وهي برسم المصحف ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.

إلى الإطالة، كان الفقيه أبو العباس متظاهراً بالأدب محباً فيه، مجاناً على طريقة الحسن[1]، كان ابتلى في الشيخوخة بأشد الفتن[2]، وقد حضرت بيع تركته؛ فوجدت بخسه أشياء[3]، الإضراب عنها من الصواب عند أولي الألباب، أخبرني شيخ وقته الخطيب الزاهد، الفاضل الورع الصوفي أبو مروان العزعز ـ رحمه الله ـ بجامع الزيتونة، قال لي: لما جاء القاضي عبد الرحمن بن نفيس[4] من المشرق، ما بقي مَن لم يخرج للقائه بعد أن كان أزعج للديار المصرية، فخرجت للقائه، وكان نزل بالخصوص من نظر قرطاجنة؛ فاجتمعت به، وسلّمت عليه فقال لي: من ظهر في البلد في هذا الزمان فقلت: ظهر رجل من أهل الدين يعرف بأبي العباس ابن عجلان[5] وهو حافظ للحديث عربي مجيد، أندلسي الأصل، تبسّم، وقال لي: من العجب أن يكون نحويٌ ديّناً.

وهذه من ابن نفيس رشحة من إنائه، ولمعة من روائه، من نظر الناس بعين الكمال كمل، ومن نظرهم بعين النقص عن هذه الدرجة نزل، وفضل الله يؤتيه من يشاء.

---

(1) يشير إلى الحسن بن هانئ أبي نؤاس الذي نشأ في البصرة ماجناً مستهتراً، بعد أن أخذ علمه عن والبة بن الحباب وبرع في فن الشعر الذي مدح به الخلفاء، وتغزل به ثم تاب، توفي سنة 198هـ.

(2) في (ب) بأشد الغي.

(3) في (ب) فوجدت بخطه أشياء الإضراب عنها.. الخ.

(4) القاضي أبو زيد عبد الرحمن بن نفيس الإمام الفقيه تولى قضاء الجماعة بتونس سنة 640، ثم صرف عنها سنة 646 وتولى منصبه أبو زيد التوزري في آخر عهد الأمير أبي زكريا.
له ترجمة فيه: تاريخ الدولتين: 31، شجرة النور الزكية: 191.

(5) أحمد بن عثمان بن عجلان، وصفه الشيخ أحمد بابا التنبكتي في نيل الابتهاج: 81 ـ 82 بقوله: «إمام أئمة المسلمين»، وبأنه من مشائخ التقوى والورع، وكان متقناً يحمل على الفقه والحديث والعربية والقراءة وطرق الصالحين كثيراً»، وقد كان أبو العباس ابن عجلان محباً للخمول على طريقة السلف الصالح والزهاد وقد طلب إليه أن يتولى القضاء فأبى، قال الشيخ أبو العباس الغبريني في الدراية: «ولما وقع بصري عليه أدركني من الوقار والخشية لله ما لم أقدره»، وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ بتونس في شعر التسعين وستمائة.
له ترجمة في: نيل الابتهاج: 81، عنوان الدراية: 99، توشيح الديباج، 73، شجرة النور الزكية: 200، الحلل السندية 1/1: 287، 288 ـ 660 ـ 795.رحلة العبدري: 245.

11 ـ أبو علي عمر الهذلي(*)

وممّن لقيت شيخ العصر، وقدوة المصر، الشيخ الفقيه المفتي المحصل المتفنن المشارك المحقق أبو علي عمر بن محمد بن علوان الهذلي ـ رحمه الله ـ قرأت عليه المعالم للرازي، وسمعت عليه كثيراً من كتاب الموطأ ومسند الإمام أبي عبد الله البخاري ـ رحمة الله عليه ـ ذكر أنه أخذ الأصول والمنطق عن الشيخ الفقيه القاضي أبي محمد ابن الطير القابسي(1) نزيل تونس، وأخذ علم الفقه عن الركراكي شارح التهذيب، وأخذ علم العربية عن الشيخ الفقيه

(*) من أعلام تونس في القرن الثامن الهجري، اشتغل بالفقه والتأليف فيه، وتخرّج به بعض الأعلام من أمثال أبي محمد التجاني، وابن الطوّاح وغيرهم، ذكر الزركشي في تاريخ الدولتين: 60، أنه توفي في سنة عشر وسبعمائة، وقرر أحمد بابا التنبكتي في النيل: 301 أن وفاته في رابع شعبان سنة ست عشرة وسبعمائة وما ذكره الزركشي أقرب إلى الصواب.

له ترجمة في: شجرة النور الزكية: 205، الحلل السندسية 1/3: 676، كتاب العمر 1: 720 ـ 721.

(1) أبو محمد بن الطير القابسي من الأعلام الذين كان لهم تأثيرهم البعيد، قال الغبريني في الدراية: «وكان له باع بالفقه وأصوله، وله نزاهة ورياسة، وعلو همة، وولي قضاء بجاية محمولاً عليه، وهو لا يريده»، ثم انتقل إلى تونس، ورحل إلى الحج حيث لقي في طريقه أعياناً وأعلاماً من العلماء، ثم رجع إلى وطنه تونس، وكان يقرأ عليه خواص الطلبة، واختصر كتاب «المستصفى» اختصاراً جيداً.

راجع ترجمته في: عنوان الدراية: 221، تراجم المؤلفين التونسيين 3: 289، توشيح الديباج: 144، كتاب العمر 1: 398.

الأستاذ أبي الحسن بن جماعة الهواري[1] ولقي الأستاذ المحصل الإمام المحقق أبا عبد الله بن هشام، وأخذ عنه كتاب الإيضاح وكان ذا ذكاء وحفظ لكثير من العلوم الظاهرة، أخبرني ـ رحمه الله ـ أنه اشتهر في وقت من الأوقات بإقراء علم العربية، وقد طلبه الحاجب أبو عبد الله بن أبي الحسن[2] لإقراء أولاده، وقرأوا عليه زمناً طويلاً، قال لي: ثم اشتهرت بقراءة الأصلين زمناً طويلاً، ثم اشتغلت بعلم الفقه والرأي والفتيا فلم يُروَ منه ظمأي، وإلى الآن لم يتم نبأي، أخذ عن الشيخ الفقيه النحوي الأديب، النسَّابة العلامة أبي عبد الله السوسي الرعيني علم العربية والأدب واللغة وتوابعهما.

وأخذ عن الأستاذ أبي إسحاق الجزري علم العربية أيضاً، سمع عليه كثيراً من إيضاح الفارسي، ومن الجمل أكثره[3]، وأخذ عنه من علم الأصلين حظاً وافراً، وكان الشيخ الفقيه الرئيس الأوحد القاضي المفتي المحصل السري المتقن أبو القاسم بن أبي بكر بن زيتون شريكه في دولة كلّها، وكانا صاحبين غير متفرقين كابن العطار واليفرني قبل زمنهما بيسير، وأخذ أيضاً عن الشيخ الفقيه القاضي أبي القاسم ابن معاوية علم العربية، وكان الفقيه أبو عبد الله السوسي محظوظاً[4] معمراً، قرأ عليه التونسيون وأولادهم وأحفادهم، وهم في القراءة عليه طبقات ثلاث: الأول من ذلك ابن عين الفولة النحوي التونسي، وأبو القاسم ابن معاوية والطبقة الثانية ابن زيتون وابن علوان،

---

(1) علي بن عمر بن محمد بن أبي القاسم الهواري التونسي (584/ 664)، أحد أعلام الصوفية بتونس، ومن أصحاب الشيخ أبي سعيد الباجي، اشتهر بالاستقامة، وعني بتحرير مناقب مشاهير الصوفية في عصره، ومن مؤلفاته: «مناقب الأولياء وبيان ترباتهم ومزاراتهم»، «مناقب عياد الزيات»، «مناقب أبي العباس أحمد السبتي».
تراجم المؤلفين التونسيين 5: 108.

(2) أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن بن خلدون جد العلامة ولي الله عبد الرحمن بن خلدون، كان حاجباً لأبي فارس عبد العزيز، راجع العبر: 6: 685، السلطنة الحفصية: 241، تاريخ أفريقيا:

(3) يشير إلى كتاب الجمل في النحو لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي المتوفي سنة 339، وقد وضعت على هذا الكتاب شروح عديدة.

(4) في (ب) محفوظاً.

والطبقة الثالثة اليفرني وابن العطار والكتاني والرماني، أخبرني شيخنا الفقيه أبو زكريا أنه قال: اجتزنا يوماً على سقيف إقرائه؛ فقال لي الطلبة أدخل تسمع كتاب الكامل[1]، ودول الإيضاح قال: فامتنعت من الدخول، وقلت العلم المحجر لا أحبُه، وقرأ على السوسي جميع أهل العصر وكان ذا حظ من الدنيا، وفضل ونفع لأصحابه، يقال إن زياتاً كان جاراً له، وطلبه أن يقرأ عليه، فكان يجيء بدابته، ويقف عليه بحانوته، ويقرئه ويقول له لا تعطل شغلك ـ رحمة الله عليه ورضوانه لديه ـ قرأ عليه جدي للأم أحمد بن إسماعيل ابن صياد الرجالة[2] كتاب الكامل، وكان يستحضره ويفك مخبآته، وكان أبو العباس بن عبد النور الحميدي الصقلي شريكاً له في الدولة، والشيخ الفقيه أبو عبد الله ابن الرأس الأربسي الربعي[3] قاضي المناكح[4]، وكانوا متلازمين، وكل من هؤلاء نال من الدنيا طرفاً إلا ابن عبد النور فإنه كان غير محظوظ، وكذا كل من أرضع ثدي الأدب، ناءٍ عن جميع الشؤون والأرب، وقد استطردنا إلى غير الذي أردناه؛ فلنرجع إلى ما كنا بصدده، ـ كان رحمه الله ـ مطلق القلم في أول أمره، ووافقه القاضي أبو العباس ابن الغماز ـ رحمه الله ـ فنزل إلى أمور في الفتيا لا تليق بأمثاله فأهين قدره، أخبرني أنه صلّى الظهر بزاوية الإمام أبي محمد المرجاني فجاءه الجزري إسماعيل وقال له: لا يصلي أحد هنا إلا بإذن الشيخ، فصلّى فرداً، وصلّوا جماعة بعد إخراجه، قال لي يوماً الفقيه أبو علي ابن علوان، وقد بيَّن له مسألة من علمه الخفي به فلجحنا عليه، وملّلنا كلامه بين يديه؛ لأنه كان

---

(1) كتاب الكامل للمبرد من كتب اللغة والأدب المعروفة القيمة.

(2) لم أقف له فيما بين يدي من مظان على ترجمة لأحمد بن إسماعيل ابن صياد الرجالة، وثمة إشارة وحيدة في تاريخ الدولتين: تدل على أنه أو سلفه كان من رجال الدولة الحفصية الذين نكبوا بها.

(3) في تاريخ الدولتين، الفقيه محمد بن الرايس الربعي من الفقهاء والكتّاب، فقد قدم في سنة ست وستين وستمائة لقضاء الأنكحة بتونس، وقدم في سنة ثمان وستين للإنشاء.

(4) كتبه الزركشي محمد بن الرايس الربعي، وذكر قدومه سنة ست وستين وستمائة لقضاء الأنكحة بتونس ثم تأخيره، وتوليه الإنشاء، تاريخ الدولتين: 38، 39.

أعجمي العبارة، عربي الإشارة، عليٌ وما عليٌ. فقلنا له ما معنى ذلك؛ فلم يجبنا بحرف، وإنما أشار بقوله[1]:

عليَّ نحت المعاني من معادنها   وما عليَّ لهم أن تفهم البقر

وحكى أنه قرأ على ابن المرابط كتاب الإرشاد[2] وكان سبتياً[3]، وأخذ عنه كثير من أهل زمانه علم الكلام على طريق الأقدمين، قلت: والفقيه أبو علي[4]، أبوه مغربي، وأمه سبتية، وكان والده معلماً للقرآن، ولد بتونس سنة ثمانية عشر وستمائة، وكانت بينه وبين الشيخ الصالح الخطيب الشهير أبي مروان العزعز صحبة مؤكدة؛ فمن غريب ما جرى لي معهما، أني لقيت شيخنا الفقيه أبا علي، وفي يده شرح الأسماء الحسنى للغزالي، فأخذ يطنب في الثناء عليه بما يليق به، ثم إنه قال في أثناء كلامه: لا يدرك أحد هذه المعاني الصوفية إلا بفطرة أخرى[5]. ثم قال: ليس لي أنا إلا فطرة واحدة، فما لبثت قليلاً إلا ولقيني الشيخ الصالح الخطيب أبو مروان بالجامع المكرم فأخبرته بما جرى لي معه؛ فتبسم وقال لي: يا بني ما خلق[6] الله لك العينين إلا لتنظر بهما كل شيء من حلال وحرام، فنهاك الشرع عن الحرام، وكذلك الفم والفرج وباقي الحواس الخمس؛ فإذا زجرت نفسك عن الحرام، ووقفت مع ما حدَّ الشرع لك فكأنك فطرت فطرة ثانية فقلت له بينكما بينكما، وأنشد لسان حالي[7]:

---

(1) من البسيط.
ويروى أيضاً:
على نحت القوافي من معادنها   وما عليَّ إذا لم تفهم البقر

(2) الإرشاد كتاب الفقه.

(3) نسبة إلى مدينة سبتة المغربية.

(4) في (ب) أبو عبد الله.

(5) الفطرة في اللغة: الخلقة التي يكون عليها كل موجود أول خلقه، والطبيعة السليمة التي لم تشب أو تلوث بعيب أو نقص، قال الله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: 30]، وفي الحديث الشريف ما يؤيد هذا المعنى اللغوي قال عليه الصلاة والسلام: «يولد المولود على الفطرة، وإنما أبواه يهودانه أو يمجسانه»، وفي (ب) لا يدرك أحد هذه المعاني الوصفية إلا بفطرة.

(6) في المخطوطين «خلق الله» ولا يستقيم السياق بدون إثبات النفي.

(7) من الطويل. ورواية البيتين مختلفة في المصادر والمراجع.

لشتان ما بين اليزيدين في الندى   يزيد ابن قيس والأغر ابن عاصم
فشأن الفتي القيسي اتلاف ماله   وشأن الفتى الأزدي جمع الدراهم

قلت شغله بعلم الظاهر والدنيا حجباه، وزخرفها وذهتها أعجباه، كثيراً ما كنت أتجاسر عليه بالكلام؛ فرأيته يوماً يتحدث مع بدوي، وهو يقول له: «لو جبت لي العسل في لون هذه، يعني شملة كانت على كتفي؛ لكتبت لك الفتيا؛ فقلت في نفسي إنها لقذارة؛ فقصدت التنكيت عليه بقول فصل وخطاب جزل؛ فقلت له: يا سيدي، وقفتم على فتيا عز الدين بن عبد السلام الصقلي في علماء الأحكام في زمانه، أنهم فَعَلة؛ ففهم عني، وقال لي بل كفرة، فشهد على نفسه، ولم يفطن لمعناه ولا حسه، كان الفقيه أبو مروان العزعز يحسن صلته، ويوالي هبته، وأسس له الميعاد بجامع الزيتونة، وبقي يحضرهُ حتى مات؛ فرام السوسي القاضي أن يقيمه منه فما جسر، وكان نبّه على ذلك، وأججت فيه نار؛ فقال: أستحي من الله أن أقيم صاحب الفقيه الصالح أبي مروان[1]، وهو يحضره فولى بعده من يتقي شره، ولا يُعهد بشرُه؛ فأقامه منه فجلس بمسجد الشرابيين بمقربة من المدرسة[2]، وإنه الآن ببركته متسع الفناء، متمم[3] السناء، قلت: له من التصانيف مسألة مغيب الحشفة، وصلها إلى ما ينيف على المائة مسألة، ورفعها لإبن البراء[4] فرفعها للإمام المستنصر[5] فأمر بإدخاله بيت

---

(1) أبو مروان العزعز كان كما وصفه المؤلف ـ صالحاً خطيباً شهيراً؛ ولم أجد من ترجم له.
(2) الحلل السندسية 1/ 3: 586.
(3) في (ب) مستتم.
(4) هو القاضي أبو القاسم بن علي بن عبد العزيز بن البراء المهدوي التنوخي قاضي الجماعة بتونس، والموصوف بالإمامة والحفظ والمشاركة في مختلف العلوم والفنون، تلقى علومه ببلده، ثم رحل إلى المشرق في حدود سنة (622هـ) فانتفع بالعلماء في مصر والحرمين الشريفين ثم عاد إلى تونس فتخرج به خلق كثير مما دعا التجاني إلى القول فيه في رحلته «وكفى المهدية فخراً عالماها وصالحاها أبو القاسم بن البراء، وأبو عبد الله الخباز، كان مولده بالمهدية في حدود سنة (580هـ) وتوفي بتونس سنة (677هـ).
له ترجمة في: ملء العيبة 2: 72، 94، 170، 190، شجرة النور الزكية: 191، كتاب العمر 1: 310 ـ 312.
(5) أبو عبد الله المستنصر بن أبي زكريا الحفصي (647هـ ـ 675هـ).

الفقهاء، وله تآليف في مسألة كفّر فيها رجل بشهادة شاهد واحد ورد فيه على القاضي عياض[1] في مسائل، وله مسائل لغوز في علم العربية، خرجت مخرج اللغوز والأحجية، وفتاويه لا تحصى عدداً، جرت بيني وبينه مذاكرة في مجلسه في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[2]، هل هي توفيقية على ما نطق به القرآن والسنة، أو يجوز إطلاق كل ما يوهم نقصاً ولا محالاً، والمختار عند المتأخرين الأول، ونقل شيخنا الفقيه أبو علي[3] عن أبي علي الفارسي[4] أنه قال: لا يطلق عليه إلا ما أطلقه على نفسه، بعد حكايته المذاهب الثلاثة عن المتكلمين، قال: لأنك لو أطلقت عليه ما لم يطلق لكنت تقول عليه ـ سبحانه ـ علاَّمة عوضاً عن عالم، ولما كانت تاء علاَّمة تلحق للتأنيث والتأنيث من صفات النقص، والحق تعالى منزّه عن النقائص، لذلك لم يطلق عليه ـ سبحانه ـ ذلك. قلت: أما ما نقل عن الفارسي من منع ذلك للعلة المتقدم ذكرها؛ فمعترض بأن هذه لهاء قد تجيء للمبالغة، ويمنع الخصم أن تكون للتأنيث، إذ نقل بعض المتأخرين من حذاق الصناعة أن هذه التاء هي التي دخلت في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا﴾[5]، إنها ليست للتأنيث وإنما هي للمبالغة، ومعنى الكلام «وما أرسلناك إلا كافاً للناس، ويحتمل عندي

---

(1) العلامة الفقيه الأديب عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي من أعلام المغرب في القرن السادس، ولد بمدينة سبتة سنة (476/ 1083) وفيها تلقى علومه، واستفاد من الحركة العقلية والفكرية المزدهرة بها، وتنقل بين ربوع المغرب الأقصى مستفيداً ومفيداً، إلى أن غدا بين علماء عصره الكبار، حجة في الحديث والفقه والأدب والأخبار والتراجم، وانتفع به خلق كثير إلى أن توفي في مدينة مراكش في سنة (544/ 1119)، وللقاضي عياض العديد من التآليف التي لا تزال إلى اليوم عمدة الباحثين والدراسين مثل كتاب ترتيب المدارك ومشارق الأنوار، والشفا في حقوق المصطفى.

ترجمته في: وفيات الأعيان 1 :392، قلائد العقيان: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، معجم أصحاب الصدفي، شجرة النور الزكية: 140.

(2) سورة الأعراف، الآية: 180.

(3) أبو علي عمر بن محمد بن علوان.

(4) تقدمت الإشارة إليه.

(5) سورة سبأ، الآية: 28، وهي برسم المصحف ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾.

معنيين: أحدهما أن يكون فحوى الكلام، وما أرسلناك إلا للناس كافاً أي تكف مَن لم يدن بدينك عما دان به وأعتقده لتلحقه بالدين الذي بعث به، إذ الكف المنع، إذ أن النبي ـ صلوات الله عليه ـ يمنع من يدين بغير دينه، ويدعو إلى الدين الحنيفي، وأما الوجه الثاني فيكون المجرور مقدماً، والنية به التأخير، أي ما أرسلناك إلا للناس كافة»، ومن كلا الوجهين لم يخرج عن أن يكون حالاً ونظيرُه من الكلام أن تقول: ما ضربت زيداً إلا ضاحكاً في القوم؛ فأنت في التقديم والتأخير مخير كالآية المتقدمة، والمذهب الحق عند أهل السنة ـ رضي الله عنهم ـ أنه لا يطلق عليه ـ سبحانه ـ إلا ما أطلقه القرآن، أو على لسان النبي ـ ﷺ ـ فإن قلت: فقد قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ﴾[1]، ومن إنما تقع على العاقل عند عامة أهل هذا الشأن. قلت: لا يصح أن يطلق على الله ذلك؛ لأن العقل عندهم غريزة يتهيأ بها إدراك المعلوم، وذلك من صفات البشر، والباري مُنزه عن ذلك، فإن ورد شيء من ذلك في الكتاب أو في السنة؛ فلترفع فيه من على أولى العلم؛ توفي ـ رحمه الله ـ عام عشرة وسبعمائة.

---

(1) سورة النمل، الآية: 65.

12 ـ أبو الحسن علي الرمّاني(*)

وممّن لقينا الشيخ الفقيه النحوي اللغوي الفرضي أبا الحسن علي بن محمد الرمّاني، لقي الأستاذ الجليل الماهر المحصل أبا الحسن بن عصفور وأخذ عنه علم العربية، وخدمه كثيراً، وكان مصححاً للشواهد في زمانه دون غيره، وإعرابه أجود من ذكره للأحكام والتعاليل، كانت بلسانه لكنة، وكان مبالغاً في طلب دنياه مبالغة كثيرة حتى نقّصت حظه ومنعت لحظه، ولي قضاء سوسة[1] وهو في أول اكتهاله، وكان القاضي عبد الرحمن بن نفيس يشاور في المسائل؛ فمشى إليه ليتبرك برأيه ويرى ما عنده، فقال له سيدي: قدموني لسوسة قال له: يا بني لا قوة إلا بالله، لا بدّهم يقدمون الخشاش والجعل والقردة[2]؛ فولى عنه مغضباً،

(*) أبو الحسن علي بن عبد الله (كذا في برنامج الوادي آشي: 63)، وفي النسبك وأيضاً في بغية الوعاة 2: 172، ابن محمد بن رمان الرماني التونسي، عالم بالعربية، مولده سنة اثنين وثلاثين وستمائة، تلقى العلم عن أبي الفضل ابن البراء وابن عصفور وأبي عبد الله الأنصاري الشريشي وعن ابن الآبار، من تلاميذه محمد جابر الوادي آشي، وتوفي في عام (709هـ/).
له ترجمة في: بغية الوعاة 2: 172، برنامج الوادي آشي: 63.

(1) سوسة قال الحميري في الروض المعطار: 331، «من بلاد أفريقيا، وإليها تنسب الثياب الرقيقة السوسية، ويقال لها البيضاء، ومنها ركب أسد بن الفرات البحر غازياً إلى صقلية في الزمان الأول»، وقال: «وبالقرب منها محرس المنستير الذي جاء فيه الأثر الوارد، وهو حصن عالي البناء، متقن العمل، وفيه جماعة من الصالحين حبسوا أنفسهم فيه للعبادة».

(2) ظاهر الفقيه أن القاضي ابن نفيس لم يكن راضياً عن المترجم به في سلوكه المتهافت الذي ذهبت بمهابته.

أخذ الحساب والعربية عن الأستاذ المشارك أبي عبد الرحمن[1] الزلدوي[2] وكان سكناه بدار القبر، وكان يقرأ عليه طلبه البلد كلهم، وكان له في التعليم حظ كبير. لما ظهر كتاب المقرب، وصار بغير جناح لهج به العالم، فكان هو أحد من فتن به وأولع؛ فلما انتهى إلى باب الاشتغال في الجمل على السببي والأجنبي، وهي مسألة تصعب على مَن لم يكن[3] محصلاً لهذا الشأن، كان في يده مفتاح فثقب به الكتاب كلّه، وكان يقول: هذا يحتاج إلى مثال، فبلغ ذلك للأستاذ أبي الحسن؛ فعمل المثل على كتاب المقرب ونقد هذا الكتاب جماعة من النحويين، منهم الأستاذ المحقق أبو عبد الله بن هشام، وابن الصائغ والجزري، وله عليه المنهج المعرب في الرد على المقرب، وفيه تخليط كثير، وتعسف[4]:

وفي تعب من يحسد الشمس نورها ويطمع أن يأتي لها بضريب

قلت كان الجزري ينقل كلام ابن هشام بالواو والفاء ولم يوضع عليه أنبل ولا أنبه من كلام أبي العباس أحمد بن الحاج لو كمّله، وللإمام المحصل الأديب البليغ المجيد الشاعر المدرك البياني التاريخي الحافظ حامل لواء الأدب أبي الحسن[5] حازم بن حازم القرطاجني الخزرجي عليه نقد سماه شد الزنار[6] في الرد على جحفلة الحمار، وسيأتي في موضعه، ولابن مؤمن القابسي عليه نقد رأيته وطالعته في بذاك[7]، ولابن النحاس بهاء الدين[8] المصري

---

(1) في (ب) أبي زيد عبد الرحمن.

(2) لم أقف له على ترجمة، وفي كتاب العمر 1: 796 رسم آخر لهذه النسبة مع ذكر علمين مشهورين بها.

(3) أداة الجزم والنفي (لم) ساقطة في المخطوط.

(4) من البحر الطويل.

(5) في المهطوطين أبا الحسن؛ وستأتي ترجمته.

(6) في (ب) كتب الزهاد، والزناد: حزام يشده النصراني على وسطه.

(7) كذا في المخطوط، وربما كان اسم موضع.

(8) ربما أراد به أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبا جعفر النحاس (338 ـ 950)، راجع وفيات الأعيان 1: 29، النجوم الزاهرة 3: 300.

عليه. . . .[1] من جلة كتب هذا الشأن وأحسنها، وأضبطها للأحكام، وأما مقرب ابن هشام فلا تقاس داره بداره، ولا مقداره بمقداره، وقد خرج بنا الكلام إلى غير الذي أردناه فلنرجع إلى ما يناسب وضع الكتاب؛ فنقول صححت على الأستاذ أبي الحسن الرمّاني شواهد الشرح الكبير على الجمل للأستاذ أبي الحسن فرأيته ضابطاً وكثره، وقد كان ـ رحمه الله ـ خامد الذكر، جامد الفكر، يرتضخ لكنة، وعينه تُلفي لما فاته من الحظ الجزيل سحنه، لم يكن له شعر، ولا بهر العقول له سحر، كان إماماً بمسجد بالربض[2]، له عليه أجر خمسة عشر ديناراً، توفي ـ رحمه الله ـ عام سبعة وسبعمائة.

---

(1) كلمة ممحوة في أصل المخطوطين ربما صح تقديرها بلفظه كتاب أو شرح.

(2) الربض في الأصل: مأوى الغنم وغيرها من الدواب، ويفهم من السياق أن المسجد كان بالقرب من الربض. وكان هناك في القديم ربض باب الجزيرة، وربض باب السويقة بتونس، راجع الحلل السندسية 1/ 3: 624 ـ 626 ـ 1/ 4: 1087/ ، 1093.

13 ـ أبو الحسن علي التجاني(*)

وممن لقيته، وقرأت عليه، ظريف عصره، وطريف مصره، شيخ المداعبة، وإمام المخاطبة الشيخ الفقيه الأديب المعلي الكاتب المجيد الشاعر المتفنن، أبو الحسن علي بن إبراهيم بن محمد التجاني، كذا نسبته، ما رأيته ينسب لقبيلة من قبائل العرب[1]، لقي مشائخ عدة، وروى عن الشيخ الأوحد المحدث الكاتب البليغ الشاعر المجيد الضابط أبي عبد الله الأبار القضاعي ـ رحمه الله ـ وأجازه جميع تصانيفه وتواليفه، وأخذ علم العربية عن أمه ـ فيما ذكر لي ـ رحمه الله ـ قال: إنه قرأ عليها كثيراً من جمل الزجاجي، وكانت تشعر

(*) أبو الحسن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم التجاني التونسي، علم من أعلام تونس الحفصية وأدبائها الكبار، ولد سنة (635هـ)، تلقى علومه بتونس عن جده لأمه القاضي أبي القاسم عبد الرحمن الجمحي، وعن أبي عبد الله محمد السوسي وأبي محمد بن برطلة وعن أبي الحسن حازم القرطاجني، وأبي عبد الله بن الآبار وأبي عبد الله الكندي وغيرهم. ثم تصدر للتدريس في وطنه، وكان مشهوراً بالنظم وسرعة البديهة، شهد له بذلك تلميذه محمد بن جابر بقوله: «كان سريع البديهة في نظم الشعر، ربما سبق الكاتب فيما يقترحه عليه من النظم في أي عروض ورَوِي؛ شاهدت ذلك منه».

له ترجمة في: برنامج الوادي آشي: 59، رحلة التجاني المقدمة: يز، 258 ـ 270. رحلة العبدري: 205 ـ 257.

(1) قال الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ قدم أسلافه من تجان من قبائل المغرب الأقصى راجع تقديم رحلة التجاني: جـ.

شعراً جيداً، فمما أنشدني ـ رحمه الله ـ لها في معنى اللغز في تميم[1]:

يقولون لي هذا حبيبك ما اسمه فما اسطعت إفشاء وما أسطعت أكتم
فقلت لهم كفوا الملام فإنما أوائله ميم وحرف مقدم

أخبرني صاحبنا الشيخ الفقيه المداعب الممتع أبو القاسم الربعي[2] وكان من أصحابه في صغره وكبره، أنه جعل وما هي، قلت: وأمة إذ ذاك جالسة، وكان أخوه أبو حفص معها؛ فقال لأمه: أين الليمات يا أماً[3]؟ فقالت له: في. . .[4] وأخذ عن أبيه كتاب المقامات دراية ورواية، وأخذ عن الشيخ الفقيه الأديب الراوية أبي علي الغساني[5] ورأى مشائخ كثيرين، لقي الشيخ أبا محمد ابن الطير القابسي، وله فيه أمداح كثيرة، وأخذ عن ابن الشقر[6] وأخذ عن السوسي الرعيني وجماعة وافرة وكان ممنعاً ببلاد كباسحا[7] وأطلق قلمه في أول أمره ثم أخر، ثم مات مطلق القلم، وله حكايات شهيرة وأخلاق[8] خطيرة، قرأت عليه كتاب. . .[9] وكتاب المقامات، وعروض ابن السقاط، وسمعت عليه في العربية دولاً من جمل الزجاجي، ولم يكن في العربية هناك، كتبه أحسن من شعره، وثمر مداعبته أشهى من جني زهره، وهم مولعون

(1) من الطويل؛ والبيتان مذكوران في رحلة العبدري مع شيء من التغيير في البيت الثاني. وقد أثبت الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب شيئاً من أخبار هذه الأديبة التونسية الحفصية في كتابه «شهيرات التونسيات».

(2) ورد في المراجع التاريخية وكتب الفهارس عدد من أسماء تنتمي لأسرة الربعي كانت لها شهرتها في العهد الحفصي، بيد أنني لم أقف على شيء يتصل بأخبار صاحب المؤلف المذكور.

(3) في (ب) يا أماه.

(4) فراغ في الأصل بمقدار كلمة لعلها ما يستقبح التصريح بها.

(5) من الأعلام المشاهير في عصره وبلده. راجع برنامج الوادي آشي: 209 ـ 220 ـ 253.

(6) أبو عمرو عثمان بن سفيان بن عثمان التميمي بن الشقر من أعلام المائة السابعة، وشيخ من شيوخ محمد ابن جابر الوادي آشي. راجع برنامج الوادي آشي. رحلة العبدري: 69 ـ 70 ـ 250 ـ 257.

(7) كذا رسمت في المخطوط، ويظهر أنها اسم موضع.

(8) في (ب) وأعلاق خطيرة.

(9) فراغ في أصل المخطوطين، وهو اسم لكتاب.

بالأدب، قائلون به أسنى الأرب، وابن عمه أبو عبد الله أشعر منه، على أن الفقيه أبا بكر ابن حبيش كان يخططه بشاعر الحضر؛ لقوله[1]:

«أماطت على البدر المنير قناعها»

وكان أبو حفص منهم مجيداً في المقطعات، رأيت له[2]:

سـرك إن أعـلـمـتـه ثـانـيـاً فـاعـلـم بـأن قـد آن أن تـفـشـيـه

لأن مـا أضـمـر فـي حـالـه الأفـ ـراد تـسـتـخـرجـه الـتـثـنـيـة

وله[3]:

شـرطـتـه زادتـه فـي حـسـنـه زيـادة الـشـرطـة فـي الألـف

وهذا المعنى سبقه إليه الإمام الخليفة المستنصر بالله أبو عبد الله ابن الأمير الأجل المقدس المجاهد أبي زكريا ابن حفص، وهو مسبوق مطروق، وأما أبو الفضل ولده ـ رحمه الله ـ فكان كتبه لا يشبه شعره ونقطة خطه لا تجاوز سطره، له كتاب الحلي التيجانية والحلل التجانية، وهذه تسمية انتحلها، وعظيمة افتعلها، قال فيه: وقد كان شيخنا أبو بكر ابن حبيش يقول عن ابن عمي؛ هو حامل الراية، وفلان ـ يعنيني ـ واصل الغاية؛ وهذا كلام لا يخفى على اللبيب قدره، ولا يلتبس على الألمعي طيه ولانشره، والمرء يعتني[4] بابنه وبشعره، لكن هذا فتنة العقلاء. كان شيخنا الفقيه أبو الحسن خالع العنان في البيان يجنح إلى طريق الفقراء، ويبرز في ميدان الأدباء يقول بالسماع، ويُصغي إلى الانطباع[5]، طيب النفس، دائم البشر والأنس، عارف بقدر الطالب دارٌ ضرعَ أدبه للحالب، أنشدني لنفسه ـ رحمه الله ـ[6]:

---

(1) من الطويل.

(2) هو أبو حفص عمر التجاني من العلماء الكتّاب في عصره، لقيه الرحالة العبدري البلنسي، وأثبت له البيتين، وهما من البحر السريع، وعلق عليهما مبدياً إعجابه.

(3) من السريع.

(4) كتبت في المخطوط يعتن، وفي (ب) يفتتن.

(5) في (ب) إلى الانقطاع.

(6) من الطويل.

تبيّن لي يا دهر أنك ظالم   فمن ذا الذي بيني وبينك حاكم
تشككتُ فيما صح منك فهأنا   كأني في حال التيقظ حالم
بماذا رشاك الجهل حتى خدمته   وأعوزته فالعلم للجهل خادم
وقد كان فيك الفخر بالمجد والندى   فزال فليس الفخر إلا الدراهم
ولولا أبو يحيى لما كنت ماجداً   كريماً أبياً ترتضيك المكارم

وينظر إلى هذا المعنى، ما وقع لي ارتجالاً في إبّان الشباب، وهو[1]:

من دار[2] بالجهل نال جاهاً   فالجاه والجهل توأمان
جيمان جاءا إذاً لمعنى   كلاهما يُبلغ الأماني
والعلم والعز من قديم   في الهَجر والهُجر أوقعاني
وهمتي دونها الثريا   كل قليل بها كفاني

وله ـ رحمه الله، وعفا عنه ـ[3]:

ولاة ترشيش[4] استطلتم   ظلماً على ضعفنا وطلتم
لم تنصفونا وترحمونا   وبئس والله ما فعلتم
صبراً قليلاً فعن قريب   تلقون عُقبى الذي عملتم

كان ـ رحمه الله ـ تميمياً وقيسياً، وعراقياً وشامياً، إن خضت في جد شارك فيه، أو هزل جنح إليه بملء فيه، تذكرك رؤيته الحرباء وشمائله الصهباء، وبالأقل يستدل في الحديث وبالإشارة يكتفي في القديم والحديث، توفي ـ رحمه الله ـ عام ثلاثة عشر وسبعمائة، ومات وهو ينيف على الثمانين.

---

(1) من مخلع البسيط.
(2) في (ب) من دان.
(3) من المجتث.
(4) ترشيش هو ـ كما قال الحميري ـ اسم لتونس، وتونس ـ كما ذكر أيضاً ـ من أشرف مدن أفريقيا وأطيبها ثمرة، وأنفسها فاكهة وسميت تونس لأن المسلمين كانوا لما فتحوا أفريقيا ينزلون ويحلون بأزاء صومعة ترشيش الرهب، ويأنسون بصوته؛ فيقولون هذه الصومعة تؤنس؛ فزمها هذا الاسم إلى اليوم.
أنظر الروض المعطار: 132، 143، معجم البلدان 2: 22.

14 ـ أبو عبد الله محمد التجاني(*)

وممّن لقيت الشيخ الفقيه الأديب، الشاعر المجيد الممتع أبو عبد الله[1] محمد بن أحمد التجاني، لقي الأبار[2] وأخذ عنه، وروى عنه كثيراً، وأجازه تصانيفه كلها ولقي جماعة وافرة من أهل الرواية والأدب، وأخذ عنهم بطريق الإجازة، ولم يكن له باع في غير الأدب وقد كتب للأمير الأجل الأوحد المقدس المرحوم أبي فارس ببجاية، وكان الكتاني أبو العباس صاحب العلامة بها، وله في الأمير أمداح كثيرة، دخلت عليه يوماً ـ رحمه الله ـ وفي يده قصيدة الإمام الأوحد الحافظ البليغ المجيد أبي الحسن حازم، وهو ينظر في بعض أبياتها، ويقول: هذا لم يفهم والبيت[3]:

(*) من أعلام تونس، وكاتب العلامة، وصاحب القلم الأعلى فيها، درس العلوم والفنون المختلفة إلى أن ارتوى وغدا أديباً شهيراً وإخبارياً، فاتخذه السلطان محمد المعروف بأبي عصيدة من كتاب إنشائه، ثم استصفاه الأمير أبو يحي اللحياني لديوانه، ورحل معه في رحلته المشهورة إلى ليبيا التي سجل أخبارها في الرحلة المسماة باسمه، وقد كان من جملة شيوخه الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم التجاني الذي ترجمه ابن الطواح في السبك، وعلي بن عبد الكريم العوفي الصفاقسي والشيخ أبو القاسم عبد الوهاب بن قائد الكلاعي وغيرهم.

له ترجمة: رحلة التجاني المقدمة: كج. تراجم المؤلفين التونسيين 1: 210، كتاب العمر.

(1) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي بكر القضاعي، له ترجمة عرضية في سبك المقال ستأتي.

(2) أبو عبد الله بن الآبار سيورد المؤلف بعض أخباره.

(3) قصائد ومقطعات: 225، والبيت من البسيط.

فالاسم متفق لفظاً ومختلف   معنى لذلك بالإعراب قد وسما

فقال: هذا لا يفهم له معنى؟ فرددته على فكره[1] قليلاً، وإذا معناه أجلى من الزوال في الصيف، وأحلى من المحادثة مع الطيف، وهو يشير إلى أن الإعراب يزيل اللَّبس على ما يقوله أهل هذا الشأن سرت إلى منزلي، وقيَّدت عليها ما يزيد على عشر كراريس، وسميته «بغية الآمل ومنية السائل»[2]، والقصيدة بديعة في جنسها جداً؛ قلت: هذا الرجل ما قرأت عليه شيئاً، ولكنه أجازني إجازة تامة مطلقة عامة، فلذلك ذكرته فيمن لقيت، كان وقوراً صموتاً صدوقاً، قليل الفضول، كنت أتكرر إليه في أوقات مختلفة، ولقد اتفق لي معه أني جئت يوماً، وكان معي سفر من شعر أبي الحسن حازم، وفيه قصيدته التي أولها[3]:

لم تدر إذا سألتك ما أسلاكها   أبكت أسى أم قطعت أسلاكها

فاستحسنت هذا المطلع جداً وسهولته مع جزالة لفظه، وعذوبة مورده، وموافقة التجنيس المستوفى فيه، وأفرطت في استحسانه؛ فقال على البرية[4]:

يا ساحر الألحاظ يا فتاكها   فتياً جواز الصد من أفتاكها

فما أصغيت له وما عرَّجت عليه، ولا ملت بظاهر ولا باطن إليه.

وفي تعب من يحسد الشمس نورها، ويمنع الحسناء سرورها، كان ولده يتكرر إليَّ في ريعان الشباب، ويستنجدني في إنشاء رسائل لبعض الأصحاب، إذ كان باعه يقصر عن ذلك؛ فكتبت له ملغزاً لأصرف عنانه عني، وأقد حبل

---

(1) (ب) على فكري.

(2) يظهر أن هذا المخطوط قد ضاع فيما ضاع من آثار المترجم به، ومن أعمال عصره.

(3) قصائد ومقطعات: 176، قال محقق الديوان الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة عن هذه القصيدة المفتتحة بذلك المطلع «من بديع شعر حازم الذي جعله مثالاً ينسج عليه وطرازاً يحتذى حذوه هذه الكافية التي عارضها تلميذه التجاني أو نظر إليها في قوله من الكامل:

يا ساحر الألحاظ يا فتاكها   فتوى جواز الصد من أفتاكها

(4) قال الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة: «ولم نقف على هذه القصيدة، ولعل المعنى بالتجاني هنا أبو الفضل، وله قصيدة في نفس الوزن والروي، قالها في رثاء ابن أبي الدنيا طالعها:

أطلق دموعك ولندع إمساكها   قد حلَّ خطب ناثر أسلاكها

وداده مني، «رعاك الله جاوب سائلاً، والتمس منه ألف خرقة لا مسائلاً، وأنعم إمّا بشكل العذار أو بضدها، وإذا سمحت بصدفة سحب تسح، وبارق يتألق»، وبعثت بها إليه فقرأها على أبيه وعمه فلم يفهما شيئاً منها في زعمه، وإنما قصدت بذلك ما أبينه للسائل، وأعتذر له عن تلك الوسائل. أما ألف الخرقة فكناية عن الدراهم، قال[1]:

لا يألف الدرهمُ المضروب خرقتنا إلا يـمـرُّ عـلـيـهـا وهـو يـنـطـلـق

وأما شكل العذار فلا، وضدها نعم، قال الشاعر[2]:

كـتـب الـشـعـر فـي عـذار حـبـيـبـي شـكـل لا كـي تـكـون عـنـي جـوابـا

فـإذا قـيـل قـد سـلا عـن هـواه قـلـت يـا هـاؤم إقـرأوا ذا الـكـتـابـا

وأما إذا سمحت فكلّف بصدفة سحب تسح، وبارق يتألق معناه أن كل قصيدة لا بدّ فيها من درة وصدفة فالبيت الجيد الرصف، الحسن الوصف، يقال له دُرّة، والذي ليس بحسن يقال له: صدفة، وأشير بذلك لقول أبيه في قصيده الذي هو سحب تسح، وبارق يتألق، وأزاهر تندي، وروض يعبق، وصدفتها عندي لو مدت الأيدي الغداة لجمعها لتجمعت منها دراهم[3] تنفق، فهذا البيت صدفَة القصيد على أنها كلها صدفَة، ومعنى ذلك، كلّفني بالدراهم ولا تسألني عن المسائل، فخرجت مخرج اللغز، وعقول الناس لا تنحصر لغاية، ولا تقف عند نهاية، غلب عليه الشعر حتى خامر لحمه ودمه، وعند النزع نظم اثني عشر بيتاً، أخبرني بذلك صديقه وخديمه الفقيه الأفضل الأسرى الأكمل أبو القاسم ابن قائد الكلاعي[4]، وكثيراً ما سمعته يثني على صحابته ويمت بحبل وداده

---

(1) البيت للشاعر النضر بن جؤية يمدح بالكرم والغنى وهو من البسيط وجاء برواية مختلفة في بعض المصادر.

(2) من الخفيف.

(3) كتبت في (ب) دراهيم، والتزم بكتابتها فيه بذلك الرسم.

(4) هو أبو القاسم بن أبي محمد بعد الوهاب بن قائد بن علي الكلاعي أحد أقرباء صاحب السيرة الكلاعية، من مهاجرة الأندلس إلى تونس، روى عنه التجاني وغيره، قال التجاني: «أخبرني الشيخ الأكرم أبو القاسم بقراءتي عليه» راجع رحلة التجاني.

وقرابته، والشعر كما قيل أسنى مروءة الدنى، وأدنى مروءة السرى، وكان ـ رحمه الله ـ يتكسب بشعره، ويقتطف جنى زهره، ولما ولي القاضي الأعدل الأكمل الأسرى أبو عبد الله ابن يعقوب[1] قضاء الجماعة بحضرة تونس، التي هي محط رحال الغرباء، وكهف ذوي الأزمات من العلماء والأدباء، كان صاحبه الفقيه أبو القاسم الكلاعي يحظيه، ومن عنايته لا يخليه، تحدث معه في إطلاق قلمه، فكان ابن الرشيد نسبه إلى مناة[2]، ونبذه حسداً منه في فلاة، فسكن القاضي ابن يعقوب سكون مرتاب، وارتج في وجه أمله مصراع الباب، ثم اختلفت المدة، وذهبت عنه الأزمة والشدة، ومات غير مطلق القلم، مسترسل الألم[3]، كان والده بالرمدارين[4] تاجراً، ووقته بغفلته عن الناس عامراً، ومن شعره الذي يستحسن قوله[5]:

نبئت أن الذي أهيم به ... وقربه من أتم لذاتي
وافى إلى منزلي فصادفني ... خرجت عنه لبعض حاجاتي
فقلت يا قوم إن ذا عجب ... لكل نجح رقيبُ آفات
لو أنني في انتظار موعده ... بقيت عامين ثم لم آت

توفي ـ رحمه الله ـ عام اثني عشر وسبعمائة.

---

(1) من القضاة الثقات الذين أغفلت كتب التراجم أخبارهم وآثارهم.
(2) في (ب) إلى هناة.
(3) في (ب) الآلام.
(4) في (ب) بالرهدارين.
(5) من بحر المنسرح، وجاءت قافية آخر الأبيات كما هو مثبت والأصح أن تكتب لم يأت ليستقيم المعنى.

15 ـ أبو الحسن علي الهواري

وممَّن لقيت، وقرأت عليه، الشيخ الفقيه الأصولي المشارك المدرك، نافذ القريحة، باذل النصيحة، معدن الذكاء، وذروة السناء، أبو الحسن علي بن محمد البوذري الهواري، وبو ذر قرية من نظر المهديّة، أخذ علم الأصلين عن الشيخ الفقيه القاضي الأكمل، المفتي المحصل المتقن الأوحد المحقق أبي القاسم بن زيتون اليمني، وأخذ علم العربية عن الأستاذ الماهر أبي الحسن بن عصفور، ولقي جماعة وافرة من العلماء، وارتحل إلى المشرق، ولقي الأصبهاني والقرافي، وشمس الدين الجزري، وكان يقري كل علم، حتى العدد بذهنه، يفرض المراتب، ويقسم وهو مكفوف البصر، وله مشاركة في كثير من العلوم، قرأت عليه بلفظي كتاب معالم الفخر الرازي، وسمعت عليه من الإرشاد دولاً، وسمعت عليه كتاب الموطأ وتذاكرت معه كثيراً بمرسي ابن عبدون[1] وبالمنارة من قرطاجنة، وأخذ عن الشيخ الفقيه المفتي الورع أبي عبد الله بن شعيب الكدميولي[2]، وولد أخيه أبي القاسم، وأخذ عن الشيخ الفقيه

---

(1) في المخطوط مرسي ابن عبدون.

(2) أبو عبد الله محمد بن شعيب الهسكوري، كان فقيهاً عالماً وإماماً مجتهداً، جمع بين العلم والعمل والتفنن في العلوم، وعرف بالتحصيل البارع لمذهب الإمام مالك بن أنس، رحل إلى الشرق، وأقام في مدينة الإسكندرية ثلاثاً وعشرين سنة، عاد بعدها إلى تونس، حيث اشتهر، وتحلق عليه الطلاب، ودرسوا عليه وانتفعوا به ثم عرض عليه القضاء فامتنع فاكره على =

الأوحد الحكيم أبي الرضى مساعد ابن عبد الواحد المرسي كليات القانون، ومدخل حنين في الطب ورأى القاضي الزاهد أبا العباس القسي، وأخذ عنه علم الفقه، وكان أبو العباس زاهداً مقلاً من الدنيا، عزوف النفس عن كل لذة، محافظاً على مروءته، زهد زهد الأخيار، بعد أن كان يسمع التواشيح في إبان شبيبته، وولي قضاء الجماعة بالحضرة، ولما أن ولي القضاء كان الزوال الصيفي به مساء، أخبرني بذلك شيخنا الفقيه أبو علي بن علوان[1]، وكان هذا الرجل أزهد الناس، رأيت بخط جدي للأم أحمد بن إسماعيل ابن صيّاد الرجالة، قال كان صاحبنا أبو العباس زاهداً فمن غريب ما رأيت له، أن والده كان مولعاً به، وكان مهداراً[2] ضعيف الوجد، وكانت له مطمورة شعير فيها خمسون مدياً وسومُه إذ ذاك بعشرة دراهم للمدى، فطلب أن يشتري له كتاب الشفاء لأبي علي ابن سينا[3] فلحبه فيه، وولوعه به باع مطمور الشعير، واشترى له بثمنها الشفاء؛ فلما طالعه وبقي عنده قدر العامين حتى عرف مخبآته وفرغ منه، ونال إربه من مطالعته، قال له لا بد أن نحرق هذا الكتاب، أو أحلّه في الماء، فصعب ذلك على أبيه، وحاول أن يبيعه فما فعل وحرقه بالنار، وقد قرأ عليه شيخ وقته الشيخ أبو محمد المرجاني، وهو شيخه في علم الظاهر وقرأ عليه الأستاذ أبو عبد الله محمد بن خلف العطار القيسي[4] وأخذ عن الشيخ الفقيه

= توليه، ولكن بعض أصحابه أشار عليه أن يتصرف بحكمة ليكون تصرفه سبب عزله منه فتحقق له ذلك.

عنوان الدراية: 190، نيل الابتهاج: 382 ـ 383.

(1) راجع الترجمة رقم (11).

(2) في (ب) رهراراً.

(3) كتاب الشفا في الحكمة لأبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا المعروف بالرئيس، والمولود في إحدى قرى بخاري سنة (370/ 980م)، وقد نشأ في مسقط رأسه، وتقدم في تحصيل العلم وناظر العلماء وبلغ من الشهرة في التاريخ الفكري الإسلامي حداً بعيداً، وقد تعرض لمحن وفتن في حياته، وعاد في أخرياتها إلى همذان فمرض في الطريق، ومات فيها عام (828/ 1037) وقد ترك تآليف كثيرة في مختلف العلوم والفنون منها كتابه «القانون» و«السياسة» وحي بن يقظان وهي غير عمل ابن الطفيل الذي أشرنا إليه.

راجع ترجمته في: وفيات الأعيان 1: 152، تاريخ حكماء الإسلام 27، الأعلام 2: 261.

(4) راجع الترجمة رقم (9).

الأستاذ المحصل أبي علي بن الرشيد، وبلغني عن ابن الرشيد ممن أثق به، أنه كان يدرس الحاصل باللويحة حتى يحفظه؛ فأشكلت عليه مسألة في تقسيم الألفاظ فبعث إلى ابن زيتون من يسأله عن معناها؛ فقال له ابن زيتون ما توكل الهريسة إلا في حانوت الهرّاس[1]، ولقد أصاب، وصفاء العلم محضه ما أشاب، كان ابن زيتون رئيس زمانه وجُهه المستنصر بالله أمير المؤمنين أبو عبد الله[2] إلى تلمسان[3] هو والشيخ الفقيه الأفضل القاضي الأعدل أبو العباس أحمد بن الغماز[4]، فوجّه له السلطان ألف دينار؛ فلم يقبلها، وكانت الرياسة عنده انتهت، والخطط كلها إليه انتمت، حسن السمت والزي، رائق النشر والطي، أصله من أوجطر[5]، وكان والده تاجراً بالقلالين وكان ذا مال وفر ومحيًا طلق نظر، سمعت كلامه من خارج سقيفه ولم أفه له بكلام، ولا فاه لي قط ولو برد سلام، ولي القضاء مرتين ومات مشكوراً في الكرتين، سجل على ابن عبد الرفيع[6]، تسجيل حبر لإصابة الغرض سريع، وكتبت عليه بذلك عقود، ووضعت أسماءها في ذلك شهود، منهم الفقيه أبو الطاهر بن هارون، والفقيه أبو عبد الله القسي الأزدي، والفقيه أبو العباس ابن الهروش[7]، والفقيه

---

(1) الهريس في اللسان الحب المدقوق بالمهراس من قبل أن يطبخ والهريسة: نوع من الحلوى يصنع من الدقيق والسمن والسكر، وهي عند أهل المغرب نوعان من الطعام: ضرب من الطبيخ فيه حب وبقول، وآخر يمزج فيه الفلفل المهروس بالأفاويه، والهراس صانع الهريسة بمختلف أنواعها.

(2) أبو عبد الله المستنصر ابن أبي زكريا الحفصي، تولى حكم الدولة بعد وفاة أبيه سنة (647/ 1249) راجع أخباره في الأدلة البينة النورانية، تاريخ الدولتين، الدولة السلطنة الحفصية.

(3) تلمسان: مدينة شهيرة من مدن الجزائر لها دورها الحضاري في القديم والحديث، راجع: الروض المعطار ـ معجم البلدان ـ البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان.

(4) سبقت الإشارة إليه.

(5) أوجطر وفي (ب) أوحطر.

(6) قاضي الجماعة بتونس ابن عبد الرفيع، جاء في كتاب، ألف سنة من الوفيات «وفي سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، توفي الشيخ الفقيه قاضي الجماعة بتونس أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الرفيع الربعي التونسي، صاحب معين الحكّام، وسنه يقرب من مائة سنة».
راجع تاريخ الدولتين: 56، 102، 103، شجرة النور: 207، تاريخ أفريقيا 1: 454، ألف سنة من الوفيات: 78، توشيح الديباج: 63، كتاب العمر 1: 730.

(7) من أعلام العصر الحفصي الذين لم يحظوا بالتعريف، وكتب في (ب) أبو العباس بن المروش.

أبو عبد الله الرماح[1]؛ فنشره من قبره بعد العدم، ولي القضاة ورئيسهم في الحديث والقدم، الشيخ الفقيه القاضي الأفضل الأحمد الأتقى، الرئيس أبو عبد الله بن الغماز ـ حفظ الله به المسلمين، وجعله كهفاً للفضائل إلى يوم الدين، ففك عنه قيد التسجيل، وكان ذلك يتحدث به جيلاً بعد جيل؛ فأقال عثاره، وستر عواره فكان جزاؤه عنده ألا يزوره، ولا يقر له بالفضل سنيه ولا شهوره، وراش سهام حسده لديه وبذلك جاء الخبر من أعان ظالماً سُلّط عليه.

قلت، وقد استطردنا في وصف ابن زيتون، وكان سبب ذلك تلميذه البوذري، والشي بالشيء يذكر، ويُنتحى معناه ولا يهجر، لم يكن للبوذري شعر إلا نزر، وقد مدح الأمير الأجل أبا يحي زكريا بن أحمد أبي حفص لما قدم من المشرق والياً، وكان قرأ عليه، ومات قبل نيل الغرض دون شكاية ولا مرض، وذلك عام أحد عشر وسبعمائة.

(1) قال البرزلي وهو الشيخ عبد الله، وذكره أحمد بابا التنكتي بكنيته هكذا ـ أبو عبد الله ـ كما في السبك، من فقهاء القيروان وجلة علمائها، توفي في وباء عام تسعة وأربعين وسبعمائة، وأدرك طبقة ابن زيتون. راجع، الحلل السندسية: 311: 645. رحلة العبدري: 52.

16 ـ أبو عبد الله محمد المستاري

وممَّن لقيته، ولم أقرأ عليه، ولا جثوت بين يديه بالمدرسة المعروفة بالقاضي التوزري، خارج باب المنارة، الشيخ الفقيه الأفضل المشارك الخطيب أبو عبد الله محمد بن يعقوب المستاري، تلمساني الدار تونسي القرار، أخذ عن ابن زيتون الأصلين، وأخذ عن الشيخ الفقيه الصالح المفتي الحافظ أبي محمد عبد الله الزواوي الفقه، وأخذ العربية والأدب عن الشيخ الفقيه الأديب المحصل أبي بكر من خطاب المرسي الأصل، التلمساني الوفادة، وأخذ علم القراءات عن جماعة وافرة ـ نفعهم الله ونفع بهم، ورد على بلدنا هذه حافي الرأس[1] ضافي النبراس في أول الاكتهال؛ فأمَّ بالجامع العتيق، وشغف بقراءته قلب العدو والصديق، كان معلماً لأبي حمو بن غمراسن[2] صاحب تلمسان فوصل صحبة الهديّة، وعرف ابن الشيخ فاعتنى به، ولم يزل ابن عرفة[3] يستخلفه

(1) الاستخدام في التعبير على غير أصله، فيقال حفي مشى بلا نعل ولا خف فهو حافٍ، وربما أراد عاري الرأس أو حاسره.

(2) موسى بن عثمان يكنى أبا سعيد بن يغمراسن بن زيان والمعروف بأبي حمو، رابع سلاطين بني عبد الواد من الزيانيين في المغرب الأوسط، خلف أخاه بعد وفاته سنة (707هـ)، وشغل بإصلاح تلمسان وأخذ نفسه وقومه بالصرامة والجد، وبذلك أخضع القبائل وصد المرينيين، ونشر في ربوع مملكته الأمن والاستقرار، إلى أن قتل في سنة (718هـ ـ 1318م).
راجع ترجمته في بغية الرواد 1: 126 ـ 132، روضة النسرين الأعلام 7: 325.

(3) ربما أشار بذلك إلى أبي علي الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي، الذي أورد ابن رشيد السبتي طائفة من أخباره في الجزء الثالث من ملء العيبة.

لعناية ابن الشيخ به حتى توفي ـ رحمه الله ـ فاستبد بالإمامة زمناً طويلاً وخطب بالجامعين، إلى أن وصل التنسي عن أبي يعقوب سولاً؛ فأذاع عنه هنات، وأشاع في جهته كلمات، كانت زوراً وبهتاناً، ووبالاً على قبائلها وخسراناً؛ فأخمد قدره، وأخمل ذكره، إلى أن نهض به الدبّاغ نهوض الأخيار، وأطلق قلمه طلق السبّق لدى المضمار، وهو عدل رضي زكي صادق، جامع لمعان شتى من علوم، فأظهر الله صدقه، وأسجده في رياض الأمل وذقه، فمات المريني التنسي[1]، وكل من تسبّب فيه ورجع الأمر إلى فصه، وارتفع الإجمال لدى حلقة الإشكال بنصه؛ قلت حضرت مجلسه بالمدرسة أيام كانت تحل له الحُبا، ويجتني زهره أيام عصر الصبا، وسمعت عليه من المعالم كثيراً في دول مختلفة، وسمعت عليه من الموطأ كثيراً، ومن التهذيب دولاً متفرقات، وكان يذاكرني في العربية مذاكرة مشارك، وفي الأدب أيضاً كذلك، وكان له جاه عريض، وسكن بمدرسة الأمير الأجل المؤيد المقدس المرحوم أبي زكريا ابن أبي حفص سنين عدة، غير أن جاهه عليه مقصور، ولألاء جده لديه مشهور؛ ثم نرجع إلى ما كنا بسبيله من خبره؛ فأقول: سكن دار ابن زيتون، وصارت له ملكاً، وأقرأ بسقفيها، ولم يأتِ فيما أتاه إمراً ولا أفكاً[2] ولما توفي ابن زيتون ـ صلّى عليه بالواقعة والتغابن، وخاض الناس في ذلك كثيراً، وفي الإشارة ما يغني عن الكلم، قلت: حاصله أنه بطيء التصور، غير أنه إذا فهم مسألة فهمها فهماً جيداً وأفهمها.

له صوت شج، يبكي من يسمعه، وليس عليه من حرج، صلاته تنشط، وتلاوته سامعها تغبط، وهو حسن العهد، تلاوته تعرب عما له من الوجد سكن تونس، ولم تخامره طباعها، ولا سدك بإنسانه[3] شعاعها.

---

(1) في (ب) المريني والتنسي.

(2) يقال: أمر إمر: عجيب منكر، والأفك: الكذب.

(3) في (ب) بإنسانها.

17 ـ أبو الطاهر بن يحي القرشي(*)

وممّن لقيته، وحضرت مجلسه، الشيخ الفقيه الأعدل، القاضي الأكمل، أبو الطاهر ابن يحي بن سرور القرشي ـ رحمه الله ـ أخذ الفقه والأصلين عن ابن زيتون، وأخذ علم التصوف عن جماعة وافرة، ولقي الشيخ العارف الرحال المحقق أبا الحسن النميري الششتري[1] وكان له في طرق السلوك معلم واضح، وشهاب عرضه فيه لائح، له شرح على المعالمين الفقهية والدينية، وله وضع على الجلاّب[2]، وله في التصوف الخشن كتاب نحا فيه نحو الرقائق[3]، ونكب عن الدقائق، ومشى بالخرقة كثيراً، ولقي من الفقراء المسافرين عدداً لا يحصى. أخبرني ـ رحمه الله ـ أنه تعلّم الخياطة على ابن جميل هو وعمي أحمد بن عبد العزيز الطواح فيما ذكر لي ـ كان رحمه الله ـ يسهل عليه جمع الكلام، سمعت عليه عام تسعين دولاً من الحاصل، ودولاً من التهذيب

(*) من الأعلام المتصوفة الفقهاء، وقد أشير إليه في كتاب ألف سنة من الوفيات، وحددت سنة وفاته: 75 «وفي سنة سبعمائة، توفي قاضي الأنكحة بتونس الفقيه الزاهد أبو الطاهر ابن سرور، شارح المعالم الفقهية».

(1) أنظر الترجمة رقم (6).

(2) كتاب (التفريع) لأبي القاسم عبيد الله بن الحسين الجلاّب الفقيه البغدادي المتوفي سنة (378هـ)، من أعلام المالكية.

(3) أي نحو المواعظ والإرشاد وتجنب الخوض في حقائق العلوم ودقائقها.

بمدرسة الشمّاعين[1]، وحضرت مجالسه بزاوية المغربي[2]، وكان يُقرأ عليه بها الحاصل والفروع، وكان إذا ضويق في بحث، ويلزمه الخصم المسألة، ولا يجد عن الإلزام بُدأ، يقول: هب يلزم فما يلزم من ذلك، ويتزاهد بلديه، أنشدني ـ رحمه الله ـ لنفسه[3]:

مدرس النحو مل إليه فهو لدى الحسن سيبويه
وخده المشرقُ ابن زهر والقد منه ابن ماسويه

وأنشدني بيتين في مدح سيد البشر، جلّت عن الوصف والنظر، وهما[4]:

شرّف مديحك بالنبي وحلّه تكسو المديح المدح بالممدوح
فالعين زان سوادها إنسانُها والجسم شرفه حلول الروح

وهذا معنى غريب، وقد ولع بهما أهل العصر وخمسوهما تخاميس كثيرة، وجمع ذلك صاحبنا الفقيه أبو العباس الرصافي[5]، المشتهر بالمعيلف، وهذا الرجل له شعر يتكلّف فيه التجنيس، وطريقة ينحو فيها الجزالة، وشعره جيّد غير أنه لم يخل من سقطات، وذكر لي مخمسّوها تخاميس كثيرة لم يُصب الغرض فيها غير أبي عبد الله جمعة المعروف بابن الميل[6]، ولم ينصفوه في وضع الترتيب. وذكر لي ابن غرداي[7] ـ رحمه الله ـ أن هذا المعنى مخترع؛ فقلت له على البديه؛ أحفظه من شعر القدماء من العرب، والذي أخذ منه المعنى، ما أنشده الجاحظ[8]:

---

(1) من المدارس الشهيرة بتونس في العهد الحفصي؛ من أعمال أبي زكريا يحي الحفصي.
(2) من الزوايا في العهد الحفصي.
(3) من البسيط المجزوء ويسمى المخلع البسيط.
(4) من الكامل.
(5) لم نقف له على ترجمة، وربما كان المذكور في لقط الفرائد في وفيات السنة الرابعة، سنة 734، قال: «وأحمد ابن عبد الله الأنصاري، المعروف بالرصافي»، ألف سنة من الوفيات: 189.
(6) يظهر أنه كان من مشاهير أدباء عصره الذين أغفلهم التاريخ كابن الطواح.
(7) أحد أصحاب المؤلف الأدباء الذين لم تكتب لهم الشهرة. وكتب في (ب) ابن عرادي.
(8) من الخفيف.

وتزيدين أطيب الطيب طيباً   أن تمسيه أين مثلك أينا

وإذا الدرُّ زان حسن وجوه   كان للدر حسن وجهك زينا

فقبّل بين عيني، وقال والله ما سمعته قط، وقد يقع الحافر على الحافر، وحكى أبو الحسن ابن سعيد[1] فيما يشبهه هذا، ولا يخرج عنه أن رجلاً مدح سلطاناً بقصيدة سلخ ألفاظهاومعانيها، فقال له: أما تستحي أن تنشدني لنفسك ما أحفظه لغيرك؟ فقال له: يا سلطان قد يقع الحافر على الحافر؛ فقال له: ولكن الميدان كله لا؛ فضحك كل مَن في المجلس، وصار ذلك الرجل يعرف بالميداني.

---

(1) العلامة الفقيه المحدث الرحالة محمد بن عمر بن محمد أبو عبد الله محب الدين بن رشيد الفهري السبتي، ولد بمدينة سبتة في حدود سنة (657/ 1259)، وفي محيطها الزاهر تلقى علومه، وولي الخطابة بجامع غرناطة، وكانت له رحلة علمية نفيسة إلى تونس ومصر والشام والحرمين سنة (683/ 1284)، لقي فيها شيوخ العلم في تلك الأقطار وأخذ عنهم وأجيز منهم، وأودع تفاصيلها في رحلته المسماة «ملء العيبة بما اجتمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة نحو مكة وطيبة»، وهي التي توفر أستاذنا الدكتور محمد الحبيب بلخوجة على تحقيقها، واتجه جل عنايته إلى الحديث الشريف، ومن تآليفه في ذلك السنن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين البخاري ومسلم في السند المعنن، وإفادة النصيح بالتعريف بإسناد الجامع الصحيح حققه أيضاً الدكتور بلخوجة، وإيضاح المذاهب فيمن يطلق عليه اسم الصاحب، وترجمان التراجم على أبواب البخاري وغير ذلك، وقد توفي بعد سنة 687هـ في حدود سنة (685/ 1286). توجد له ترجمة في المراجع الآتية: الدرر الكامنة 4: 111 ـ 113 ـ جذوة الاقتباس: 180، ذيل طبقات الحفاظ: 355، أزهار الرياض 2: 347، سلوة الأنفاس 2: 191، بغية الوعاة: 85، شجرة النور الزكية: 216، الإكليل والتاج، الورقة: 53.

18 ـ أبو عبد الله محمد (ابن رشيد السبتي)(*)

ومن الأصحاب الذين لقيتهم، ووفدوا على بلدنا الفقيه الخطيب المحدث، أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد السبتي ذاكرته في العربية زمان الصبا، ولم يكن هناك، وكان شيخه أبو الحسين بن أبي الربيع[1]، ونحوه يميل لنحو شيخه، وهو بعيد عن فك مُعمى كلام الإمامين أبي عبد الله بن هشام وأبي الحسن ابن عصفور، وله كتب ومشاركة في الحديث على طريق أهل الجرح

(*) العلامة الفقيه المحدث الرحالة محمد بن عمر بن محمد أبو عبد الله محب الدين بن رشيد الفهري السبتي، ولد بمدينة سبتة في حدود سنة (657/ 1259)، وفي محيطها الزاهر تلقى علومه، وولي الخطابة بجامع غرناطة، وكانت له رحلة علمية نفيسة إلى تونس ومصر والشام والحرمين سنة (683/ 1284)، لقي فيها شيوخ العلم في تلك الأقطار وأخذ عنهم وأجيز منهم، وأودع تفاصيلها في رحلته المسماة «ملء العيبة بما اجتمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة نحو مكة وطيبة»، وهي التي توفر أستاذنا الدكتور محمد الحبيب بلخوجة على تحقيقها، واتجه جل عنايته إلى الحديث الشريف، ومن تآليفه في ذلك السنن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين البخاري ومسلم في السند المعنن، وإفادة النصيح بالتعريف بإسناد الجامع الصحيح حققه أيضاً الدكتور بلخوجة، وإيضاح المذاهب فيمن يطلق عليه اسم الصاحب، وترجمان التراجم على أبواب البخاري وغير ذلك، وقد توفي بعد سنة 687هـ في حدود سنة (685/ 1286).
توجد له ترجمة في المراجع الآتية: الدرر الكامنة 4: 111 ـ 113 ـ جذوة الاقتباس: 180، ذيل طبقات الحفاظ: 355، أزهار الرياض 2: 347، سلوة الأنفاس 2: 191، بغية الوعاة: 85، شجرة النور الزكية: 216، الإكليل والتاج، الورقة: 53.

(1) تقدمت الإشارة إليه؛ ورسم في المخطوط أبا الحسن وفي (ب) أبو الحسين.

والتعديل، وله فهرسة كبيرة، وهو ممَّن يقول بالرواية، ويجنح إلى الدراية، أنشدني ـ رحمه الله ـ في الجامع المعظم عام سبع وثمانين وستمائة بيتين يخاطب بها أبا الفضل التجاني ـ رحمه الله ـ وكان مريضاً بحمّى بابل[1] وهما[2]:

أبا الفضل عُذراً عن مغيبي بالأمس | فإن لم أعد جسماً فقد عدت بالنفس
وما غبت إلا أن عيني لم تطق | معاينة عدوى الخسوف على الشمس

(1) في (ب) فأبل.
(2) من الطويل.

19 ـ أبو القاسم بن أحمد بن عميرة(*)

وممّن لقيته، ولم أفه له بكلام، ولا رميت معه في غرض بسهام، الكاتب البليغ المجيد الأسد، الرئيس الأفضل، الأنزه أبو القاسم ابن أحمد بن عميرة المخزومي، أبوه ولي الخطتين الكتابة والقضاء[1] وهو أحد أشياخ الفقيه أبي عبد الله الأبار القضاعي[2] ....

(*) من الفقهاء الأدباء والعلماء الأدباء في المائة الثامنة، وهو ابن الأديب الشهير الكاتب القاضي أبي المطرف أحمد بن عميرة المخزومي البلنسي، والمعلومات حوله قليلة، وإضاءات السبك مفيدة جداً، وقال الزركشي: «وفي الخامس لربيع الآخر من سنة تسع وسبعمائة، توفي الفقيه الأديب أبو القاسم ابن عميرة، وكان من فضلاء الكتاب الشعراء، ممن حذا حذو أبيه وزيادة»، تاريخ الدولتين: 58، وهذا ما قرره بعد ذلك صاحب شجرة النور الزكية: 195. درة الحجال 3 : 295..

(1) أبو المطرف أحمد بن عميرة وكنيته أبو العباس، وهو ابن عبد الله بن محمد بن حسن بن عميرة المخزومي، ولد سنة (582/ 1186)، وتنقل في بعض مدن الأندلس، واشتهر بالكتابة وفي النظم، هاجر وطنه الأندلس إبان المحنة فاستوطن المغرب وبجاية، ورحل بعدها إلى تونس حيث حظي بالتكريم من السلطنة الحفصية وتوفي في سنة (658/ 1260). رحلة العبدري: 18 : 263.
له ترجمة في: الإحاطة 1 : 179، عنوان الدراية: 298، المقتضب من تحفة القادم شجرة النور الزكية: 195، «أبو المطرف بن عميرة» للدكتور محمد بن شريفة.

(2) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي، وقد اعتقد الكثير من الباحثين ـ كما ذكر الأستاذ إبراهيم الأبياري في تحقيقه المقتضب من كتاب تحفة القادم، أن الآبار لقب الأب وبه تكنى الابن، والراجح، وهذا ما يؤكده ابن الطواح من أهل عصر هذا الفقيه ـ أن الآبار صفة أو كنية خاصة بالفقيه نفسه لا بأبيه إذ لم يذكره إلا بالآبار الذي كان يقرفه به بعض أهل عصره =

ذكر ذلك في الأعتاب وتحفة القادم[1] قال: ـ وقد تزايد له ولده النجيب، وهنيته به، وقلت[2]:

مرحباً مرحباً بأسنى وليد   زيد من آل خالد بن الوليد

كان الفقيه أبو القاسم كاتباً نبيلاً، له مشاركة في العلوم، وفضائله كالنجوم عدة، على أنه كان شاذ الأخلاق، يكره معرفة الناس لئلا يقصر في حقوقهم، كان له أصحاب أفاضل عدول أخيار، كلهم يثني عليه، ويقتبس الجاه والفضائل من لديه[3]:

يزدحم الناس على بابه   والمورد العذب كثير الزحام

كان في بدايته ذا فقر مدقع، ثم انتبهت حالته، وعمرت بجميم الأمل ساحته، نهض به ابن الشيخ دون كل من يليه؛ فإنه قرأ معه على أبيه، ولم يزل من ذلك الوقت يحافظ على وداده القديم، وينظر بعين السبق في كل الرتب والتقديم، له شعر ضعيف فمن ذلك قوله في سوداء[4]:

وعلقتها من بنات الحبش   إلى أن تبسّم زهر الرياض

وكنت أعيّرها بالسواد   فصارت تعيّرني بالبياض

= لما عرف من ضرره ـ كما زعموا ـ حتى لقبوه أيضاً بالفار، ولد أبو عبد الله في بلنسية سنة خمس وتسعين وخمسمائة للهجرة (1199م) وفيها تعلم ونبغ وأخذ على والده وكبار رجال عصره، وعظم شأنه فتولى الإقراء والكتابة، ثم جاء إلى تونس مستصرخاً أبا زكريا سنة 636هـ، وعاد إليها ومكث فيها إلى أن توفي بعد أن نكب بالمستنصر الحفصي سنة (658هـ)، ترجمته في: التكملة ت 1441، شجرة النور الزكية: 195.

(1) ألفه أثناء مقامه بتونس حينما تغير عليه أبو زكريا الحفصي، وألزمه بالبقاء في بيته غب وشاية، فأنصف فيه نفسه، واستعتب فيه السلطان، وضم إليه أخباراً وحكايات مناسبة للغرض، والكتاب مطبوع بتحقيق وأصل هذا الكتاب مفقود، لم يبق لنا منه إلا المختصر الذي صنعه واختاره أبو إسحاق إبراهيم البلفيقي، وقد حاكى فيه ابن الآبار كتاب الأنموذج لأبي علي الحسن القيرواني، وترجم فيه لطائفة من أعلام الأندلس، واختيار البلفيقي سماه «المقتضب من كتاب تحفة القادم نشر بتحقيق إبراهيم الأبياري.

(2) من الخفيف.

(3) من السريع.

(4) من المتقارب.

وكتابته لا تنتظم في سلك، ولا تستحقها إضافة ملك، وإنما جده نهض به أكثر من أبيه وجده، ورئاسته بيّنت أن السيف بحده، ولد سنة تسع وعشرين وستمائة بجزيرة شقر[1] وتوفي ـ رحمه الله ـ سنة ثمان وسبعمائة[2] وبنو عَميرة لم يعقبوا.

---

(1) جزيرة بالأندلس قريبة من شاطبة، بينها وبين بلنسية ثمانية عشر ميلاً، وهي حسنة البقعة، كثيرة الأشجار والثمار والأنهار، وقد مدحها كثير من الشعراء من أمثال ابن خفاجة وأبي المطرف ابن عميرة»، الروض المعطار: 349 ـ 350.

(2) نلاحظ أن التاريخ الذي ذكره ابن الطوّاح لوفاة المترجم به يخالف ما جاء في تاريخ الدولتين، وشجرة النور الزكية وهو أولى بالاعتماد. وفي (ب) جاءت خاتمة الترجمة خطأ على هذا النحو «وأبو عميرة لم يعقلوا».

20 ـ أبو محمد عبد الله القرطبي(*)

ومن طبقته في العلم ممَّن لقيته، ورويت عنه الشيخ الفقيه المحدث الحافظ الكاتب المجيد، الخبري أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون القرطبي ولادة، التونسي وفادة، أخذ عن جماعة وافرة من الأندلسيين، وله فهرسة فيها من الرجال ما لا يحصى عدداً، وله في موطأ الإمام مالك رواية عالية، وله شعر كثير، هو من الشعر الوسط، أخذت عنه مقصورة الإمام الأوحد، المتفنن أبي الحسن حازم بكمالها، وأجازنيها، وجميع ما وقع له من نظم ونثر، وتفهمنا من مشكلاتها كثيراً، ونظرنا بين معانيها ومعاني غيرها مما سبكه واستحقه فإن أبا الحسن، على علو رتبته في صناعتي النظم والنثر قل أن يولِّد المعاني، وليس في مقصورته هذه معنى مخترع إلا قوله(1):

(*) هو ـ كما في برنامج الوادي آشي ـ «أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون بن محمد بن عبد العزيز بن إسماعيل الطائي القرطبي، رحمه الله»، ولد كما قال محمد بن جابر بقرطبة «عام ثلاثة وستمائة» وأخذ علومه فيها، ومن أظهر من تلقى عنهم جده للأم أبو عبد الله محمد بن قادم المعافري، ووالده، وأبو محمد عبد الله بن سليمان بن حوط الله الأنصاري وأبو القاسم بن بقي. وذكر ابن جابر أنه من شيوخه الذي قرأ عنهم وأجازوه، وأكد ما ذكره المؤلف ابن الطوّاح من اختلاط عقله عليه في أخريات حياته، قال: «وتوفي ـ عفا الله تعالى عنه ـ ليلة يوم الخميس الحادي عشر لذي قعدة عام اثنين وسبعمائة ودفن بالزلاج.

له ترجمة في: برنامج الوادي آشي: 51، شجرة النور الزكية: 199. رحلة العبدري: 42.

(1) قصائد ومقطعات: 34 وورد ختام البيت الأول قد صفا، والمقصورة من بحر الرجز.

وقد تراءى الجرفان[1] مثلما ... دنا خليل من خليل قد نأى

راما اعتناقاً ثم لم يمكنهما ... فبكيا نهراً لإخفاق المنى

وقوله في صفة النهر[2]:

وتلتقي الشهب به تمثلاً ... كما التقى وفد الحجيج بمنى

ولا يلزم من عدم ذكري أن لا يكون في الوجود غيري يذكر ذلك.

ومما قرأناه على شيخنا أبي زكريا قوله[3]:

أهدت إليه أمُّ مهدي أسى ... أظلّه عن رشده وما هدى

فاعتقد الفقيه أن معنى البيت أم شخص مهدي على حذف الموصوف، ولم ينهض ما ذكره، ولم نتلقه منه بالقبول؛ فلما اجتمعت بالفقيه أبي محمد بن هارون سألته عن «أم مهدي» ما هي؟. فقال لي على البداية ذكر السجستاني في كتاب المأزمين إنها الحمامة، وأول هذه الأبيات[4]:

يا قاتل الله الحمام فلكم ... أبكى عيون العاشقين إذ بكى

هاجت بدوران لقيس لوعةً ... وأذكرته دار حب قد نأى

فذكر فيها كل من نظم في الحمامة، وهذا التاريخ الذي في كل بيت منها كل واحد ممن أشار إليه نبّه على ذلك، والمقصورة فيها من الأدب والبيان والصناعة والتاريخ ما يعجز عنه أهل زمانه، وكان شيخنا أبو محمد بن هارون

---

(1) الجُرفان: حافتا النهر وجانباه، قال العلامة أبو القاسم الشريف السبتي (697/ 760) في شرح هذين البيتين في شرحه البديع المسمى «رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة» 3: 515 «والمعنى أنه وصف الجرفين القائمين على ذلك النهر، وأن أحدهما دنا من الآخر وجرى النهر بينهما، ثم تخيلهما خليلين أرادا أن يعتنقا فاعوزهما ذلك فبكيا فجرى ذلك النهر من دموعهما».

(2) قصائد ومقطعات: 34. وقد قال الشريف السبتي في شرحه لهذا البيت 3: 518 «ثم شبه النجوم حين تراءت في النهر اجتماعها وتكاثرها وخضوعها لله تعالى بالحاج حين تلتقي وفوده بمنى، وذكر أن القلوب تسبح الله وتنزهه إذا رأت ذلك المنظر؛ وذلك كما يدل عليه من قدرة الله تعالى، وعجيب صنعه وبارع اختراعه».

(3) يشير إلى شيخه أبي زكريا اليفرني والبيت في قصائد ومقتطعات: 19.

(4) قصائد ومقطعات: 19.

يقول: لم يكن حازم منا، وإنما كان من الصدر الأول، مولده عام أحد وستمائة، ووفاته عام أحد وسبعمائة ولم أستحضر من شعره شيئاً، وهو ـ كما قدمناه ـ من الشعر الوسط، والحشف[1] المجعول في السفط[2]، وما مات حتى اختبل عقله ـ رحمه الله عليه، وغفرانه لديه[3].

---

(1) الحشف من التمر: أردؤه، وهو الذي يجف ويصلب، ويتقبض قبل نضجه.

(2) السفط وعاء ممن قضبان الشجر ونحوها.

(3) العبارة غير مذكورة في (ب).

21 ـ أبو الحسن حازم القرطاجني[*]

ثم لقيت الإمام الأوحد، الحافظ البليغ الشاعر المجيد، البياني التاريخي، معدن الآداب، ومكمن الأنساب، أبا الحسن حازم بن محمد بن حازم القرطاجني الأنصاري، كان ـ رحمه الله ـ إماماً في علم البيان، حافظاً مخاطبات العرب، عارفاً بجواهر الكلام، مصيباً للمعاني محكم النظام[1] جمع

(*) نابغة الأندلس والغرب الإسلامي في القرن السابع الهجري الأديب اللغوي الناقد الشاعر حازم بن محمد بن حسن بن حازم القرطاجني المكنى بأبي الحسن، ولد بقرطاجنة شرقي الأندلس سنة (608هـ/ 1211م)، وأخذ عن كبار علمائها وعلماء غرناطة وأشبيلية، حيث درس على شيخه أبي علي الشلوبين، ثم هاجر إلى مراكش ولم يمكث فيها طويلاً، ثم قصد تونس الحفصية؛ فحظي بعطف حكامها، ومحبة أعلامها على نحو ما تولى توضيحه صاحب سبك المقال وغيره، وانتفع به خلق كثير، وكان من نتاجه الأدبي الذي اشتهر به وعرف كتاب منهاج البلغاء وسراج الأدباء الذي حققه أستاذنا الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة، وقدم له العلامة المبرور الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور، وديوان شعر شمل شعره ومقطعاته نشر في الطبعة الأولى بتحقيق المؤرخ الأستاذ عثمان الكعاك وفي الأخرى بتحقيق الدكتور محمد الحبيب ابن الخوجة.

له ترجمة في: بغية الوعاة: 314، نفح الطيب 1: 627، أزهار الرياض 3: 172.

(1) اتجهت عناية بعض الباحثين في السنوات الأخيرة إلى إجلاء قيمة حازم القرطاجني في البلاغة والنقد وكتبت في ذلك العديد من الدراسات المستقلة والعرضية حوله، نذكر من أهمها في هذا المقام مما يدعم شهادة ابن الطواح في بيان أهمية شيخه وعلمه ما يلي:
قضايا النقد الأدبي عند حازم القرطاجني من خلال كتابه منهاج البلغاء لمحمد أديوان، رسالة مرقونة النقد الأدبي بالأندلس في القرنين السادس والسابع الهجريين من خلال كتب المختارات الشعرية وتراجم الشعراء لآيات الشريف العربي رسالة مرقونة مناهج النقد الأدبي في الأندلس =

القوافي للإمام الأوحد أبي عبد الله المستنصر بالله، وسماها إيراد المناهل الصوافي في تعدد ضروب العلل والقوافي[1] وله كتاب سراج البلغاء في علم البيان[2] وله نقد على وشي الحلل للّبْلي، وله كتاب في علم البيان صغير دون الأولى[3] وله شد الزنار[4] على جحفلة الحمار نقد على المقرب، وكان بليغاً حافظاً، وله المقصورة الألفية والروضة الموشيّة المولية لم يسبق[5] إليها[6]، وله القصيدة النحوية[7] وشعره كثير لم يكن إلا من الطراز الأول[8]، ولقد أخبرني صاحبنا المقرئ الأديب أبو العباس المرسي[9] ـ رحمه الله ـ أنه رآه في النوم هو والمتنبئ وفي يده أترجة وهما يقتسمانها؛ قال: فقلت له: أولتها أنكما اقتسمتما الشعر بشطرين؛ فأخذت أنت الشطر الواحد، وأخذ هو الشطر الآخر؛ فقال له لست أرضى أقول[10]:

= بين النظرية والتطبيق لعلي لغزيوي. بالإضافة إلى ما كتبه الدكتور محمد رضوان الداية في كتابه «تاريخ النقد الأدبي في الأندلس»، والدكتور إحسان عباس في كتابه تاريخ النقد الأدبي عند العرب.

(1) وهو الكتاب الذي اطلع عليه تلميذه ابن رشيد السبتي في تونس ووضع عليه كتابه الذي لا يزال مخطوطاً، وسماه «وصل القوادم بالخوافي»، وأصل فيه نظرية شيخه حازم في الشعر، وقد دعا في الكتاب للخليفة الإمام المستنصر، توجد في الكتاب نسخة في الخزانة العامة رقم (D3507) (فلم 2392).

(2) تقدمت الإشارة إليه.

(3) يظهر أن هذا الأثر ضاع فيما ضاع من آثار حازم.

(4) في المخطوط كتب الزيار، وشد الزنار كتاب رد به على كتاب المقرب ـ لابن عصفور.

(5) المقصورة فن الشعر ما كانت قافيته مختومة بألف مقصورة ومن أهم المقصورات في الأدب العربي، مقصورة ابن دريد ومقصورة حازم القرطاجني ومقصورة المكودي الفاسي.

(6) حكم نقدي يظهر به براعة حازم في تنوع أغراض المقصورة وغرابة المنزع وحسن السبك والسلاسة فيها.

(7) المنظومة الميميّة، راجع قصائد ومقطعات.

(8) راجع ديوان حازم القرطاجني بتحقيق عثمان الكعاك، وقصائد ومقطعات بتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، وما كتبه النقاد عن هذا الشعر.

(9) لم نعرف من أخبار هذا الأديب إلا ما ذكره عنه صاحبه الشيخ عبد الواحد بن الطواح.

(10) من بحر المجتث. وهي فاتحة قصيدة يهجو بها ضبُّه بن يزيد العتبي، راجع شرح ديوان المتنبي 1: 236.

ما أنصف القوم ضبّهْ وأمّه الطرطبّهْ

فما رضي أن يكون قسيمه، ولا في ميدان البيان غريمه، وطبقته في الشعر عالية، لم يحل بلدنا من الأندلسيين أشعر منه؛ أخبرني صاحبنا المحصل المجيد المتقن أبو الحسن القديري، تلميذ الأستاذ المحصل المحقق أبي عبد الله ابن هشام ـ رحمه الله ـ أنه كان يوماً بين يدي الأستاذ المذكور؛ فدخل عليهم المجلس الشيخ أبو الحسن حازم، وهو شاب عليه بداوة، وعلى روائه حلاوة؛ فتذاكرنا الشعر والشعراء؛ فجعل يغض من أبي الطيب، فاستحمقناه، ثم إن الكلام طال فاستنشدناه فأنشدنا مطولات فعذرناه في غضه منه، وصرفه العنان عنه، وفي هذا المعنى كتب له أبو المحيا يستفهمه[1]:

بنيّ ابن لي قد تحيّر لي فكري لإبداع ما اسمعتنيه من السحر
عجبت للفظ صيغ معنى وكوكب يُصيّره معنى ذكي من الفكر
أبا الكيميا صيّرت لفظك لؤلؤاً أبا السحر أنزلت النجوم إلى الحبر
لقد صدّق الأقوام رائق شعركم إذا نسبوا بعض البيان إلى السحر

وقد عارض قصيدة أبي الطيب، وهي من مذهباته[2].

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه بأن تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

بقوله[3]:

أيعلم ما يلقى من الشوق لائمه إذا ما شجته من حبيب معالمه
وكيف وما سال بحال كواجدٍ وهل يتسوي خلوالفؤاد وهائمه
يبيت إذا ما البرق أرّق جفنه بليلِ سليمٍ ساورته أراقمه
وما البرق أمسى لي هوى غير أن بي هوى ربرب تَحكي البروق مباسمه

---

(1) من الطويل.

(2) من مطلع قصيدته في مدح سيف الدولة مما أنشده سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، راجع شرح ديوان المتنبي 4: 55.

(3) قصائد ومقطعات: 199. ديوان حازم القرطاجني: 109، والقصيدة من الطويل.

وبيت قصيد أبي الطيب[1]:

سقاك وحيانا بك الله إنما ... على العيس نَوْرُو الخدور كمائمه

وبيت قصيد أبي الحسن[2]:

يخدن بروض قد تحمّلن مِثلَه ... ولكنَّ أنفاس العذارى نواسمه

وكلاهما في فنه مليح، غير أن أبا الطيّب فيه رقّة وجزالة، لا يلتحق بها أحد من أبناء جنسه ورتبة أبي الحسن متقدمة على كل من في عصره، ومن بعده من أهل مصره، وأين رتبة الآبار من رتبته أو منزلته العليا من منزلته، بينهما ما بين السها والقمر، والعين والأثمد[3]، لا تقاس داره بداره ولا مقداره بمقداره، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء على أن أبا الحسن فاق أبناء جنسه بحديقة الأزهار وحقيقة الافتخار في مدح النبي المختار، وهي[4]:

لعينيك قل إن زرت أفضل مرسَل ... «قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل»

وفي طيبةٍ فأنزل ولا تغش منزلاً ... «بسقط اللوى بين الدخول فحومل»

نبي هُدى قد قال للكفر نوره ... «ألا أيها الليل الطويل ألا أنجل»

فصلى عليه الله ما لاح بارقٌ ... «كلمع اليدين في حُبّي مُكلَّل»

وكن في مديح المصطفى كمدبِّج ... «يقلب كفيه بخيط موصل»

وينشد دنياه إذا ما تذللت ... أفاطم مهلاً بعض هذا التذلل

قلت: هذا الرجل له كتب بديع صنيع، لكنه دون شعره، ورأيت صاحب المثل السائر فيما يحتاج إليه الكاتب والشاعر[5] ....

---

(1) شرح ديوان المتنبي 4: 26.

(2) قصائد ومقطعات: 199، ديوان حازم القرطاجني: 109، وفيه «يجزن بروض»، وعجزه «ولكن أنفاس العذارى مواسمه» وهو من الطويل.

(3) الأثمد ـ كما في المعجم الوسيط «الأثيمون» وهو ما يتكحل به. وفي (ب) كتب الأثماد.

(4) قصائد ومقطعات: 179 ـ 184، ديوان حازم القرطاجني: 89 من الطويل.

(5) هو نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري المكني بأبي الفتح وبضياء الدين والمعروف بابن الأثير، من أسرة اشتهر أبناؤها بالعلم، ولد في جزيرة ابن عمر =

قال: إن الحريري[1] لم يكن مجيداً في الانشاءات السلطانية، وإنما كان مجيداً في الحكايات المسجوعة[2] ولم يكن يجيد الإنشاء؛ فقد كلّف بأشياء عجز عنها، وحكى العماد الأصبهاني[3] عنه ضد ما ذكر صاحب المثل السائر، وذكر من كتبه البديع ما يسحر العقول في خريدته، وهي من الكتب الغريبة العجيبة، قال أبو عمرو الجاحظ: «ما اجتمعت جودة الكتابة والشعر لأحد من الخلق»، رأيت له استدعاء للديار المصرية ليجيزوه، وهو «سلام الله الأرج فوحه، الممتزج بالأرواح ريحانه وروحه، يتنسم نسيم ريّاه فيزيد نشره ما ينافحه عصاره وذكاء ويتنسم نسيم محيّاه فيعيد بشره ما يصافحه إنارة وضياء، يختص أندية

= وتعلم بالموصل، وولي أمر الوزارة في دمشق للملك الأفضل ابن صلاح الدين، كما تولى كتابة الإنشاء في الموصل لصاحبها محمود بن عز الدين بن مسعود، وقد عرف ضياء الدين بقوة الحافظة، والقدرة على الاستدعاء، كما عرف بالتبريز في كتابة الرسائل وفن النقد والتأليف فيهما، ومن أشهر تآليفه المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر وهو المشار إليه، والمعاني المخترعة في صناعة الإنشاء، والوشي المرقوم في حل المنظوم، وغير ذلك، وقد دامت حياته بني سنة (558 ـ 637هـ)، راجع ترجمته في: وفيات الأعيان 2: 158، مفتاح السعادة 1: 178، شذرات الذهب 5: 127، الأعلام 8: 354.

(1) أبو محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري البصيري، أحد أعلام فنون النثر والمقامات المبرزين، وقد حاكى بمقاماته الشهيرة التي انتشرت في المشرق وفي الغرب الإسلامي، أستاذه بديع الزمان الهمذاني، وأربى عليه في الشهرة بها، توفي بالبصرة في عام (510هـ) وله ذكر واسع في كتب الأدب وتاريخه.

(2) يقصد فن المقامات الذي ظهر في سياق النثر الفني منذ القرن الخامس أو قبله بقليل، وبلغ ذروة شهرته على يد بديع الزمان الهمذاني وتلميذه أبي محمد الحريري، ثم انتشر في المشرق والمغرب بمواصفاته الخاصة القائمة على البطل والرواية والتسجيع المصور الكدية والاحتيال على الناس بطريف القول الذي يخلب العقول. وقد كان للمقامات العربية أثر ظاهر على المقامات العبرية.

راجع في ذلك: فن المقامات للدكتور يوسف عوض، وفن المقامات في الأدب العربي للدكتور عبد الملك مرتاض، أصول المقامات للدكتور إبراهيم السعافين، المقامة النجدية محمد مسعود جبران.

(3) العماد الأصبهاني: محمد بن محمد صفي الدين ابن نفيس (519 ـ 597هـ) عالم بالأدب والنقد، تنقل بين بغداد والشام، ثم استوطن دمشق، ولزوم مدرسته المعروفة بالعمادية، وتوفي بها بعد أن ترك تراثاً نفيساً في مقدمة كتابه خريدة القصر في عدد من المجلدات، وكتاب الفتح القسي في الفتح القدسي، وغير ذلك.

راجع وفيات الأعيان 2: 74، مفتاح السعادة 1: 214.

الدراية بنوافح ريّاه الطيبة، وتقيص أودية الرواية بسوافح سقياه الصيّبة، حيث أشرقت شهب العلم بدوره وتدفقت سحبه وبحوره، فروضت بتدفق أنوارها وتألق أضوائها المهارق، وتعوضت بحسنها الأحداق من حسن الحدائق، واستشرفت لاجتلاء أنوارها واجتناء نوارها أبصار البصائر، وتنافست في لفظها ولحظها الأسماع والنواظر؛ فكان ممن ارتاح لالتماع تلك المخايل الصادقة، وانتجاع تلك الخمائل الرابقة معظم أقدارهم، وملتزم أكبارهم حازم بن محمد بن الحسن بن حازم الأنصاري ـ أنجح الله أمله، وأظفره من تسني المرغوب، وتيسر المطلوب بما أمَّله، وأمَّ له ـ وإن من أعظم تأميله الذي يدعو الله تعالى في تيسيره وتسهيله أن يتفضل من يقف على هذا المكتوب من العلماء الأعلام الذين سبقت لهم الإشارة، وتقدم بهم الإعلام بأن يجيزوا له رواية جميع ما صنفوه وقيدوه ورووه، وأسندوه من أصناف العلوم على الشرط المتعارف المعلوم، وأن يذكروا ما تيسر لهم ذكره من أسماء علمائهم الجلّة، وعظمائهم الذين طلعوا سُرجاً في أفق الملة، وأسماء علاة الرواة الذين تفردوا باعتلاء الأسانيد، وتجردوا للاعتناء بالضبط والتقاليد، ويلمعوا بذكر ما أمكن من تواليفهم الرفيعة، وتصانيفهم البديعة، وينعموا بالإجازة العامة في جميع ذلك، ويكتبوا بذلك خطوط أيديهم مشكورين مأجورين ـ إن شاء الله ـ ولعل السعادة بتيسير التلقي لأسمائهم تكون مبشرة بالتلقي إلى سمائهم، والله تعالى يديم حياتهم، ويحفظ من الغير والغيار آياتهم المبصرة وآياتهم بمنه، والسلام الكريم، البر العميم، يصافح معالمهم العلية، وينافح شيمهم الزكية، ورحمة الله وبركاته».

وهذا كتب صنيعٌ، وخطب بديع، غير أنه ليس فيه سهولة الكتاب، ولا جزالة الخطاب، كتب من تكلف فيما تصرف، ومما رأيته من مستحسن شعره قوله[1]:

---

(1) من الكامل.

نبه جفونك للصبوح وأيقظ وانظر نهاية كل حسن والحظ

واعجب لأدهم بالمشارق مجفل قدام أشهب بالمغارب[1] ألمظ

وقوله[2]:

بنت فكر لا نظير لها صاغها من لا نظير له

وأمدّ الله خاطرها بحلاه حين أعلمه

فحباها الله إذ كملت ما حباه حين كمّله

وعلى الأقوال فضلها مسن على الأقوال فضله

لم يسمع عنه ـ رحمه الله ـ أن هجا أحداً قط، ولم يحفظ عنه إلا بيتان كتبهما للمشرف أبي محمد بن طاط القابسي وهما[3]:

يا مشرفاً في خلف موعدنا كم أنت بالراتب الشهري تمطلنا

أم هل نظرت بعيني أحول غلطاً فخلت راتب شهر راتبين لنا

فزاد عليها بأن قال[4]:

وقد وقاك إله العرش ذا حولاً فأشكر إلهك من أسدى لك المننا

وكان يبالغ في مدح قرطاجنة كثيراً حتى أفرط وفرّط، وكان من كتاب البيت، لم يعرف له قدر حتى توفي، وكان الفقيه الأديب المجيد الحافظ الضابط أبو عبد الله الأبار القضاعي عكسه في طباعه، لم يلقَ إلا ضجراً فيما يقال عنه، ويتحقق من لدنه، مبالغ في ذم الزمانن إذ لم يكن صاحب العلاقة والقلم الأعلى، ولم يخص بتلك الكرامة، ولم يكن طبعه يجنح للحكمة ولا يقبلها، وقد غلب عليه حبُّ الرياسة والدنيا، فجرى له ما جرى، واعتراه بحسده ما اعترى، وقد استشهد ـ رحمه الله ـ [5]، ووجدت له هنات بخطه،

---

(1) في (ب) بالمغرب.

(2) من بحر المديد.

(3) من البسيط.

(4) من البسيط.

(5) أمر بقتله السلطان المستنصر بن أبي زكريا الحفصي قعصاً بالرماح في المحرم من سنة =

وكان يحسد في نفاسة أدبه، إذ كان لم يلتظ لنيل أربه[1] وقد كان شيخه الأديب القاضي الأحفل المتفنن أبو المطرف أحمد بن عميرة ممن كان يعين عليه أيام محنته، وقد أظهر بخطه قبائح كانت سماً ذعافاً ـ رحمه الله ـ فيما أخبرني شيخنا الفقيه أبو الحسين ابن الحاج ـ رحمه الله، قال: أنه رآه في النوم بعد أن حرق بالنار، وصدره لم تعد عليه النار البتة، قال: فقلت له: أرى النار لم تعد على صدرك. فقال لي: صدر فيه من الأحاديث خمسة آلاف[2] كيف تعدو عليه النار؟!، ثم قال لي: وعند الله تجتمع الخصوم ومذهبته فيما علمت[3]:

أدرك بخيلك خيل الله أندلساً   إن السبيل إلى منجاتها درسا
وهب لها من عزيز النصر ما التمست   فلم يزل منك عز النصر ملتمسا
وحاش مما تعانيه حشاشتها[4]   فطالما ذاقت البلوى صباح مسا
يا للجزيرة أمسى أهلهاجزراً   للنائبات وأضحى جدها تعسا
في كل شارقة إلمام بارقة[5]   يعود مأتمها عند العدا عرسا
وكل غاربة أجحافُ نائبة   تثني الأمان حذاراً والسرور أسى
تقاسم الروم لا نالت مقاسمهم   إلا عقائلها المحجوبة الأنسا
وفي بلنسية منها وقرطبة   ما ينزف النفس أو ما ينسف النفسا[6]

= ثمان وخمسين وستمائة، ثم أحرق شلوه مع كتبه وأوراق سماعه وشعره، بسعاية من الكاتب أبي الحسين أحمد بن إبراهيم الغساني كاتب العلامة لدى المستنصر. راجع تاريخ الدولتين: 35 ـ 36.

(1) أي لم يحسن التأتي لمقصده، فقد كان حاد اللسان هجاء، مباهياً بنسبة وبملكاته، مسارعاً ـ كما ذكروا ـ إلى الإيذاء والمضرة، راجع ما كتبه الدكتور رشاد الإمام «ابن الآبار وعصره في تونس»، مجلة دراسات أندلسية، العدد: 2/ 1989. والله أعلم.

(2) من المعروف أن ابن الآبار كان يسمي بالحافظ لكثرة حفظه من أحاديث رسول الله ـ ﷺ.

(3) قال الزركشي: 28 «وهي ستة وستون بيتاً»، ومن المعروف أنه أنشدها أبا زكريا الحفصي حينما جاء مرسلاً من حاكمه الأندلسي زيان بن مردنيش وهي من البسيط.

(4) الحشاشة: بقية الروح في المريض.

(5) البارقة مؤنث بارق، وهو ما لمع وتلألأ.

(6) في الديوان «ما ينسف النفس أو ما ينزف النفسا».

مدائن حلّها الإشراك مبتسماً جذلان وارتحل الإيمان مبتئسا
كانت حدائقَ للأحداق مونقةً فصوّح النضر من أدواحها وعسا
وحال ما حولها من منظر عجب يستنزل[1] الركب أو يستركب الجلسا
وافتك جاريةً بالنجح راجيةً منك الأمير الرضى والسيد الندسا[2]
وربما سبحت والرّيح عاتيةً كما طلبت بأقصى شدة الفرسا
تؤمُ يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص[3] مقبلة من تربة القدسا
مَلْك تقلّدت الأملاكُ طاعته ديناً ودنيا فغشّاها الرضى لبسا

وهذه القصيدة رائقة فائقة، بكل أفق ذرت لها شارقة، وقد نقدها ابن عمّار[4] نقد حسد، وما قام فيه ولا قعد، ورد عليه البيّاسي رداً نبيلاً، ورد عليه الفقيه أبو إسحاق التجاني ـ رحمه الله ـ[5] وعارضها رجال آخرون ولم يشيموا لها بارقاً، ومن مقطعاته[6]:

بشراي لاقيت الهوى والنورا بلقائي المستنصر المنصورا
فإذا أمير المؤمنين لقيته لقيت منه نضرة وسرورا

وله ديوان شعر ضخم، وقد طالعته، وهو قليل بأيدي الناس[7] وكتبه آنق من شعره، وتسمية كتبه المصنفات في الآداب لم يسبق إليها عذوبة وجزالة[8]

---

(1) في الديوان يستجلس.
(2) الفطن الكيس.
(3) الأمير أبو زكريا الحفصي الأول المقصود من ابن الآبار بالمدح.
(4) من أدباء العهد الحفصي بتونس وشعرائه الذين أغفلت المصادر ذكرهم، وإيراد نصوصهم الأدبية والنقدية، ولعله عبد العزيز بن عمار الذي قال فيه أمية بن أبي الصلت «وكان في هذه الصناعة أبصر الجماعة» راجع خبره في رحلة التجاني: 74.
(5) رد عليه بتأليف مستقل سماه «مؤازرة الوافد ومبارزة الناقد».
(6) من الكامل.
(7) نشر الدكتور عبد السلام الهراس هذا الديوان محققاً تحقيقاً علمياً ممتازاً، بيد أن القدر الذي نشره من شعر الآبار لا يدل على الضخامة التي اطلع عليها ابن الطوّاح في القرنين السابع والثامن الهجريين، مما يؤكد ضياع كثير من الأشعار التي تلفت بالإحراق والفتنة.
(8) لمحة نقدية جمالية دلنا بها ابن الطواح على مبلغ تأنق ابن الآبار القضاعي في اختيار =

وهي تنيف على الثلاثين تأليفاً، وغالب ظني أنها خمسون، ولم يصل من الأندلسيين غير الرجلين، ولم يكن أبو المطرف[1] في رتبتيهما، بل شلوه عنهما مقصر على أن علمه جم، ومشاركته معلومة، وكتبه الأخواني بديع، ومن كان من المعارف مُمتعاً يحيط بكنه ما رجحناه ومن مبهم البيان شرحناه، والأبار[2] جيد الخط، حسن الضبط، لكن غلب عليه شؤم الأدب، حتى منعه من نيل الأرب؛ فلنرجع إلى ما كنا بسبيله؛ فأقول الأبار لم ألقه، وما ذكرها بالعرض، وإنما شرطت في أثناء كلامي من لقيت من شيوخي، وأخذت عنه وأبو الحسن حازم لقيته[3]، وتكلّمت معه، وسألته عن عويص الشعر، وفكّ لي معمّاه، وأوضح لي معناه توفي ـ رحمه الله ـ عام تسعة وثمانين وستمائة[4] بشهر رمضان المعظم.

= تسميات كتبه، ولتأييد هذه اللمحة نذكر من أسماء هذه المؤلفات: الحلة السيراء، ودرر السمط في أخبار السبط، ولتكملة لكتاب الصلة، ومعادن اللجين في مراثي الحسين، والمورد السلسل في حديث الرحمة المسلسل، وإيماض البرق، وإفادة الوفادة. وأعتاب الكتاب وتحفة القادم وغيرها من التآليف البديعة الرسم والتصنيف.

(1) يقصد أبا المطرف بن عميرة، أنظر إلى أبعاد سيرته وتقييم أعماله الأدبية المنظومة والمنثورة الدراسة العميقة التي كتبها الأستاذ الدكتور محمد بن شريفة «أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي ـ حياته وآثاره».

(2) يقصد أبا عبد الله بن الآبار المذكور.

(3) يشير إلى حازم القرطاجني.

(4) ذكر الزركشي في تاريخ الدولتين: 52 أنه توفي في سنة أربع وثمانين وستمائة.

22 ـ أبو عبد الله ابن أبي تميم(*)

وممن لقيته الشاعر الأديب المجان، المفن المتقن، أبو عبد الله ابن الشيخ الصالح، العارف المقدس المرحوم أبي تميم [كان] والده صالحاً متعبداً من أهل المعرفة، قد كان ـ رحمه الله ـ مخلوع العذار، يقال: إن أباه حدّه على الخمر، وكان يشتغل بالعمل، وولي من بلاد أفريقية جلّها، وجميع ديوان شعره سافر به ولده، وأخذته العرب فتلف؛ فعاد إلى أصله، ومن بديع شعره الذي فاق فيه أبناء عصره، قوله[1]:

أعتباً وقد أنسيتني منك بالعتبى وبعداً وقد أنسيت من قلبك القربا
أعيذك أن تمسي أجاجاً مواردي لديك وكم أوردتني السلسل العذبا

(*) أخبار هذا الأديب التونسي وآثاره قليلة، وقد وقفت في كتاب الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية: 69. على نبذة موجزة يستعان بها في كشف المجهول من حياته وسيرته، قال أبو عبد الله الشماع «وللأديب المجيد أبي عبد الله محمد بن الشيخ الصالح أبي تميم الحميري في ذلك (أي في التهنئة بفتك السلطان الحفصي بخصومه سنة 666هـ):

فيا حسن ما قرت به أعين الورى رؤوس رياح في رؤوس رماح
فهذي دماء المارقين مباحة وهذا دم الإسلام غير مباح
بمستنصر يرمي العدى بكتائب نعم نواحي أرضهم بنواح

كما وجدت له أبيات أخرى في ذم صفاقس في نزهة الأنظار 2: 190.

(1) من الطويل.

وإني وإن عبّست دوني لطامع | إذا سحب عبّسن فالتمس السكبا
لعل الرضى في ضمن سخطك كامن | فيا رب جدب عاد آخره خصبا

[ومن شعره][1]:

حسبت عذارك لما بدا | يزيدك حسناً وهذا محال
وأن العذار لليل بدا | لخدك يغرب شمس الجمال
فإن كنت تحسبه عقربا | فما للعقارب إلا النعال

[وله في النسيب][2]:

عزيز علينا أن يطاع عذول | ويسمع قال في هواه وقيل
إذا الحب لم يتبع جميلاً جماله | سلا عن هواه عروة وجميل
وفت لك نفسي بالمودة حقبة | وما علمت أن الوفاء قليل
ولكن رأت طلق المحيا جميلة | فأطمعها أن الفعال جميل

وما كلمته التي هي[3]:

تكلفه اللاحي[4] ولج العواذل | وما هو عن شرع الصبابة عادل
إذا الحب أعطى العاذلين قياده | فما يدّعيه من هوى الغيد باطل

فسلك فيها مسلك الأعارب، والتحق بالأقدمين كجرير، وذي الرُّمة[5]، والفرزدق[6] غير أن للمحدثين رقة ألفاظ، وجزالة معان تسحر العقول.

---

(1) ما بين المعكفين زيادة من المحقق، والأبيات من البحر المتقارب.
(2) ما بين المعكفين زيادة من المحقق، والأبيات من الطويل.
(3) من الطويل.
(4) في (ب) الأحاحي.
(5) غيلان بن عقبة صاحب ميّة وخرقاء من مشاهير الشعراء نشأ في البادية، وكان متشيعاً للفرزدق على جرير لعصبية نسبية معروفة، وغلبت على شعره مسحة البادية، وصدق العاطفة، وجزالة الألفاظ، وغرابتها في أغراض الوصف والمديح والنسيب وكانت وفاته بالبادية عام 117هـ.
(6) أبو فراس همام بن غالب التميمي الدرامي من أظهر فحول الشعر في العهد الأموي، نشأ بالبصرة والبادية، واتصل بولاة العراق يمدحهم ويهجوهم ثم رحل إلى دمشق يمدح الخلفاء وينال رفدهم وله مع جرير نقائض مشهورة، ويذكر النقدة أن شعره ممتاز بخشونة الألفاظ، ووعورة المعاني، والميل إلى الفخر في هجائه، والفحش في غزله، توفي سنة 114هـ.

23 ـ أبو العباس أحمد بن القصيرة(*)

وممن لقيت الأديب المفتي الناظم أبو العباس أحمد بن محمد بن القصيرة الأشبيلي، كان يكتب الرقاع، وله خط بارع، وشعر ثرثار، كنا نتذاكر المعاني ليلاً بغربي الجامع العتيق، وكنت في ريعان الشباب أستحضر كثيراً من كلام الأدباء، وأنظر معانيها؛ فما أنشدني ـ رحمه الله ـ لنفسه في ذم تونس(1):

علـى تـونـس لـعـنـة غـضـة إذا ذبـلـت سـقـيـت صـيـبـاً

فـلـم تـرعـيـنـي بـهـا فـاضـلاً ولا ذاق فـمـي بـهـا طـيـبـاً

(*) كذا كتب في المخطوط ابن القصيرة، وفي ملء العيبة 2: 157 ابن القصير، وهو ليس من ذرية ذي الوزارتين أبي بكر بن القصيرة الأشبيلي (508/ 1113) قال ابن رشيد «وقد كان أبو العباس يتظاهر بها قديماً؛ فيكتب ابن القصيرة ثم تركه». وذكر أنه تجول شرقاً وغرباً، وصحب الأدباء والشعراء، وخاطب وخوطب» وأورد له قصائد ومقطعات تدل على أدبه وبراعته في الشعر.

(1) من المتقارب، وأثبت له ابن رشيد في هذا المعنى بيتين آخرين يدلان على ضيقه بالإقامة ي تونس:

يـقـولـون: تـونـس مـصـر عـظـيـم وبـيـن الـبـلاد هـي الـظـاهـرة

نـعـم، هـي مـصـر لأربـابـهـا ولـلـغـربـاء هـي الـقـاهـرة

ولا شك في أن هذا الهجاء القاسي من ابن القصيرة لتونس التي استضافت مهاجرة الأندلس يمثل صوراً من الأزمة النفسية التي أشار إليها المؤرخون. من جرّاء الصراع بين البلدين والمهاجرين الأندلسيين.

وله يذكر الفقيه القاضي المفتي أبا القاسم ابن البراء[1]، ويحضه على النوال بقوله[2]:

يا سيدي في الورى ويا سندي ومن نداه يزين كل ندى
أنت فقيه وعالم وأنا شاعرك المرتجي نوال يد
أنشد ما قاله حبيبهم إذ كان فقهاً يدعو إلى الرشد
إن حراماً قبول مدحتنا وترك ما نرتجي من الصفد
مثل الدنانير والدراهم في الـ ـصرف حرام ألا يداً بيد[3]

(1) تقدمت ترجمته.
(2) الأبيات من المنسرح، ولم يوردها ابن رشيد.
(3) في بيان وجوب التساوي في العطاء والأخذ غير المنقوص بحرمة الزيادة.

24 ـ أبو عبد الله محمد التوزري

وممن لقيت من الأصحاب الظرفاء الأدباء، الأديب أبو عبد الله محمد بن عمر بن غرداء التوزري ـ رحمه الله ـ أديب عصره بعد الحصري[1]. . . [2] كثيراً في طريق البحث، كانت له مرقعة وعكاز، وكان متخلقاً، مليح المداعبة، ظريف الشكل لا نود[3] مفارقته، ولآه ابن زيتون النيابة عنه، وهو قاضي الجماعة، ثم ولي قضاء المناكح، كان يجلس معنا بمنارة قرطاجنة، ويحاول أمر ما يوكل بيده، وليس عنده خيلاء ولا استنكاف، غير أنه قريب بعيد، فمن غريب ما جرى لي معه[4] لما ولي المدارس، جاءني بعض أصحابه وقال لي: تحدث معه في أن تكون معيداً[5] فامتنعت من ذلك؛ فألح عليّ في ذلك، فلم أصغ له، فجاء الطلبة كلهم للإيوان الذي فيه الطاق التي تلاصق جامع

---

(1) والمراد الحصري القيرواني، وربما قرئ اللفظ المصري فيكون المراد أبي عبد الله محمد بن التوزري الشهير بالمصري راجع في أخباره، رحلة العبدري: 44، 52. برنامج الوادي آشي: 225.

(2) كتب المصري، ويظهر أن في السياق انقطاعاً وحذفاً.

(3) فراغ في (ب).

(4) في المخطوط «فمن غريب ما جرى له معه» ولا يستقيم السياق بذلك.

(5) لاحظ أن المؤلف استعمل مصطلحين حضاريين وهما لفظتا مدرسة، ومعيد، مما يدل على شيوعهما منذ عصره.

التوفيق[1]، وداروا عليّ بأجمعهم وطلبوا أن يقرأوا، وشرعوا في ذلك نهارهم ذلك فبلغه ذلك، فقال: من يريد يقرأ عليه يقرأ عليه في بيته، وذلك منه تضييق واسع، ولما سكنت المدرسة أياماً قلائل سنة إحدى وتسعين وستمائة أشهراً نزرة، امتنعت من العرض، وكانت العوائد أن الطالب الذي فيه قابلية النظر والمطالعة لا يعرض على المعرض؛ فكنت أجري على هذا الأسلوب؛ فلما صار لي ذلك ديدناً جاءني رجل يعرف بابن زيادة الله، كان يخدمه، وقال لي: سيدي الفقيه يقول لك: نخاف من المرجاني[2]، لا بد أن تعرض شيئاً تحلّة قسم، أعرض في بيتك على من تريد؛ فاقتضى النظر أن أجيء بشيخ من أهل المهدية، كان ساكناً بها، فعرضت عليه صفحة من حديث رسول الله ـ ﷺ ـ من كتاب كان شيخنا الفقيه أبو زكريا[3] يستحسن وضعه ويقول: كان في قصدي أن أضع مثله، وهو على حروف المعجم، ملتزم صحة الأحاديث، ألف حديث، وهو للفقيه المشارك المحصل أبي زيد عبد الرحمن بن الدباغ القيرواني[4] فتعيّن عليّ حفظ مثل هذا الكتاب، فعرضت عليه منه صفحة فرأيت المدرّس بعد ذلك

---

(1) جامع التوفيق من الجوامع المشهورة في العهد الحفصي، وكانت تقام فيه الأختام القرآنية، راجع المؤنس: 282، تاريخ أفريقيا 2:323، الحلل السندسية 1/ 3: 613 ـ 623 ـ 1/ 4: 1027.

(2) تقدمت الإشارة إليه.

(3) أبو زكريا يحي اليفرني.

(4) عبد الرحمن بن محمد بن علي الأنصاري الأسيدي، من ولد أسيد بن حضير، عرف بالدباغ، جمع في ثقافته بني الفقه والتاريخ والتصوف والحديث، ولد في مدينة القيروان سنة (605/ 1208) وأخذ علومه عن القاضي عبد الجليل الأزدي، والقاضي أبي زكريا يحي البرقي المهدوي، وأبي محمد عبد السلام المصراتي، وأفاد منه كثيراً حسب روايته إذ قال: «هو شيخي ومعلمي، وأحد من أنعم الله عليّ بصحبته، اختلفت إليه كثيراً فلم تر عيني قط مثله نسكاً وفضلاً وصيانة لنفسه وانقباضاً عن الناس، كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . . إلخ». وقد تأثره في منحى التصوف، ومن أبرز آثاره القلمية: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، وتاريخ ملوك الإسلام، وجلاء الأفكار في مناقب الأنصار، وبرنامج في شيوخه ومروياته عنهم، وغير ذلك، توفي عام (699هـ).

له ترجمة في: نيل الابتهاج: 240، برنامج الوادي آشي: 60، شجرة النور: 193، الأعلام 4: 105، تراجم المؤلفين التونسيين 2: 288. رحلة العبدري: 38 ـ 66.

متجهم الوجه فقلت له: ما بالك؟ فقال لي: حكى ابن الخباز الكاتب[1] في بيت الفقهاء؛ أن كلام ابن الدباغ يعرض في الدرس، فقلت له: معاذ الله، كلام رسول الله ـ ﷺ ـ وهو صحيح السند والمتن فقال لي أبو الطاهر: كلام ابن الدباغ قيل لي.

وذكر كلاماً في جهته نمسك عنه لرذالته؛ فنبذتها وراء ظهري، وأزلت تمثالها من صدري، وعوض الله منها بالخير الجم، والبركة واليمن الأعم، توفي ـ رحمه الله ـ عام سبعمائة.

(1) لم أقف له على ترجمة، وهو غير الفقيه أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الخباز اللواتي المهدوي المولود بالمهدية سنة 600 والمتوفي بتونس سنة (683) فقد توفي هذا ولم يبلغ ابن الطواح العاشرة من عمره، راجع: شجرة النور 192، الأدلة البينة النورانية: 67، نزهة الأنظار 1: 551.

25 ـ أبو الحسن يحي المعافري (ابن الحاج)(*)

وممن لقيت شيخ الوفاء، وذروة الصفاء الشيخ الفقيه الطبيب المزاول، الفاضل المحصل المتقن، الراوية العلامة، ذو الدعابة المطربة، والصحابة المعجبة أبو الحسن[1] يحي بن إبراهيم المعافري، المشتهر بابن الحاج، شاطبي[2] النجار، لوشي[3] الوفادة والقرار، ولد بجزيرة شقر سنة خمس وعشرين وستمائة، ورد على بجاية، ولقي بها مشيخة وافرة، روايته عالية ودراسته وافية، يروي عن ابن السراج[4]، وهو في معارفه أنور من السراج،

(*) أبو الحسين يحي بن إبراهيم بن محمد ابن الحاج المعافري الشاطبي من أعلام القرن الثامن الهجري، ولد بشاطبة سنة سبعة وعشرين وستمائة، وأخذ عن جلة شيوخ بلدته والأندلس كأبي الحسين بن السراج، وأبي عبد الله محمد بن محمد بن العاصي العنسي، وأضرابهما، ثم رحل إلى العدوة المغربية، وألقى عصا التسيار بتونس حيث توفي عام ثمانية عشر وسبعمائة، ودفن بمقبرة الزلاج، ومن تلاميذه المشهورين محمد بن جابر الوادي آشي الذي ذكر شيخه في برنامجه.

له ترجمة في: برنامج الوادي آشي: 68.

(1) كتبت في المخطوط «ذا الدعابة أبا الحسن».

(2) نسبة إلى مدينة شاطبة بالأندلس.

(3) نسبة إلى لوشة من أحواز غرناطة بالأندلس.

(4) يشير إلى العلامة أبي الحسين علي أحمد بن السراج (560هـ ـ 657) من أهل أشبيلية، أخذ علومه عن ابن بشكوال، وعن أبي عمر ابن عبد الحق، وعن أبي القاسم السهيلي، رحل إلى المغرب الأوسط وحلّ ببجاية، كان من العلماء الصلحاء ذوي الرواية العالية، وانتفع به خلق كثير في الأندلس والمغرب، وتوفي ببجاية عام (657هـ)، راجع عنوان الدراية: 203.

سمعت عليه مفترقات من كتاب الروض الأنف للسهيلي[1] وحدثني بجميع من لقي من المشائخ، وله فهرسة كبيرة، ذكر لي فيها من لقي من المشائخ جرياً على مهيع الأندلسيين[2] أهل الرواية، وأخذ علم الطب عن أبيه الفقيه أبي إسحاق وهو كبير في شأنه، لازمته كثيراً، وانتفعت منه بجزئيات كثيرة، واستفدت منه غرائب وعجائب في شأن المحققين، بيّنت مجملاً، وأزاحت مشكلاً، صحب الفقيه القاضي أبا الحسن ابن أبي الخضر البجائي[3]، وصحب عبد الحق بن إبراهيم بن سبعين[4] وحكي عنه كثيراً، وورد على تونس، سنة خمس وأربعين وستمائة، وارتحل إلى بجاية مع الأمير الأجل المقدّس المرحوم أبي فارس[5]، هو وتلك الحلبة الفاضلة، وكان قطب دائرتهم، المحسن

---

(1) الروض الأنف كتاب ألفه السهيلي في شرح السيرة النبوية لابن هشام والسهيلي هو عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي، أحد الأعلام المشهورين بحذق اللغة والسير، ولد في مدينة مالقة بالأندلس (508/ 1114)، وكف بصره، وعمره لا يتجاوز السبعة عشرة سنة نبغ فاستدعاه صاحب مدينة مراكش وأكرمه إلى أن توفي في عام (581/ 1185)، وله غير كتاب الروض الأنف «التعريف والأعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام»، و«الإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين» و«نتائج الفكر».

له ترجمة في: وفيات الأعيان 3/ 143 ـ 144 رقم 371، نكت الهميان: 187، زاد المسافر، 96، بغية الملتمس: 354، شجرة النور: 156.

(2) راجع ما كتبه الدكتور عبد العزيز الأهواني تحت عنوان برامج العلماء في الأندلس مجلة معهد المخطوطات العربية المجلد الأول، 1955، وله أيضاً برنامج ابن أبي الربيع المجلة نفسها.

وشبيه بهذا المهيع أيضاً ما نجده عند علماء المغاربة كما جلاّه، الصديق الدكتور عبد الله الترغي المرابط في أطروحته القيمة «فهارس علماء المغرب».

(3) في (ب) أبا الحسن ابن أبي نصر البجائي.

(4) عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن سبعين الأشبيلي من زهاد الفلاسفة ـ كما قيل ـ وصف بأنه من القائلين بوحدة الوجود، درس في الأندلس وانتقل إلى سبتة، وحج واشتهر أمره، وألف تآليف حببته إلى فريق من الناس وكفره بها آخرون، وكان يقول في الله: إنه حقيقة الموجودات، بمكة فترك الدم يجري حتى مات نزفاً، وقد دامت حياته ما بين سنتين (613 ـ 669هـ) له ترجمة في:

فوات الوفيات 1: 247، شذرات الذهب 5: 329، شجرة النور: 196، توشيح الديباج: 152.

(5) أبو فارس عبد العزيز (أو عزوز) بن أبي إسحاق إبراهيم ابن أبي زكريا الحفصي، راجع أخباره في: الفارسية: 139، العبر: 6: 693، تاريخ الدولتين: تاريخ أفريقيا: في مواضع متفرقة، السلطنة الحفصية: 228 ـ 240 ـ 243، 252 ـ 254، 342 ـ 343.

لأولادهم وآخرتهم، تخلّق بأخلاق الكرام، واقتفى آثار السادة الأعلام، نفعه متعدد، ودفعه للألم ما له من حد، كثف الضعفاء، وإلف الغرباء، ذو الرحمة والإشفاق، والخوف من الله على الإطلاق، ذو الدين المتين، والعقال الرصين، والصبر على القرين، كم صنع من الأدوية للأرامل، وشفى من العلل أهل الإقلال والبلابل، تغنيك رؤيته عن رؤية جالينوس(1) ومنظره وعذوبة مقاصده كم نفت عن العليل البوس، لم يضجر قط من ثقيل لا يحسن السؤال، ولا يشكيه غنى غني يظهر إلا محال ـ جزاه الله عن المسلمين جزاء الأخيار، وجعله من صفوة المجتبين الأبرار ـ، قلت: كان هذا الشيخ ممتعاً من المعارف، مليح المجالسة والمؤانسة، معني عارفاً بمقاصد الحكماء والأطباء، نتيجة العلم ظهرت عليه وكنهه برز لديه، أنشدني ـ رحمه الله ـ لبعض الأندلسيين(2):

الناس في أمرهم حيارى   شيمتهم شيم كل بارق
ومن غدا منهم لبيباً   غايته المبدأ المفارق

وأنشدني ـ رحمه الله(3):

فأنتم شجر الأترج طاب معاً   ريحاً وطعماً وطاب العود والورق

توفي ـ رحمه الله ـ يوم الخميس الثاني عشر لجمادى الأخرى، عام ثمانية عشر وسبعمائة.

---

(1) جالينوس (130 ـ 200ق.م) طبيب وكاتب يوناني مشهور، تلقى علومه في بلاده اليونان، وفي آسيا الصغرى والإسكندرية، ثم رحل إلى روما حيث ذاعت شهرته، ويقال إن خمسمائة تأليف منسوب إليه.

(2) من البسيط المجزوء.

(3) من البحر البسيط.

26 ـ أبو عبد الله ابن شيلو(*)

ثم لقيت النحوي الفقيه الشهير ببلده أبا عبد الله ابن شيلو، وكان نحوياً لغوياً، كثيراً ما جلست عنده بحانوت شهادته، فكان يسألني عن مسائل مشكلة فأحلُّها له؛ فيعجب من ذلك، وكان يشاركني في أكثر الأقوال، ويحضني على الانتفاع، ويقول لي: حكمت عليك بالغيب أن تفعل كذا وكذا؛ فلم أجبه لقصد ولا أميل له لرفد، رغب إليَّ أن أمشي خطيباً لتاً مغصاً(1) بينها وبين توزر(2) يومان، فما أصغيت لذلك، ولم أفعل إلا خيراً، كان سبب ارتحالي إلى توزر عام اثنين وتسعين وستمائة مُصيبة نزلت بي من جهة الأخوال والقرابة، فسلب(3) لي ملكي بالجبر، فحلفت أن لا أقيم في بلدتي تلك المدة ثم انضاف إلى ذلك أمور لا يمكن شرحها؛ فارتحلت إلى توزر، فرأيت(4). . . بلدة باطنها فسيح، وظاهرها مليح؛ فجاءني طلبتها، وأضافوني، وأرادوا أن يقرأوا عليَّ، فدفعت

(*) من التراجم التي تفرد المؤلف بذكر بعض أخبارها وهي التي أشرنا في المقدمة إلى أن الخلط قد وقع فيها، وجعلناها أخيرة لاتصالها بخاتمة الكتاب.

(1) موضع بتونس لم يعد له ذكر الآن، وقد ضبط المؤلف مكانه في الجنوب التونسي.

(2) توزر: بلدة مشهورة في الجنوب التونسي، بينها وبين نفطة عشر فراسخ، وهي ذات نخل كثير، ومناخ صحراوي، وينسب إليها طائفة من العلماء، راجع معجم البلدان 2: 57.

(3) في (ب) فلسب.

(4) فراغ بمقدار كلمة يصح تقديرها بـ«البلدة».

الوقت بما تيسر من الاعتذار، وكان خاطري كهاماً للشواغل الحافّة بي، وهم قليلو التحصيل لفن من الفنون، عدا الأدب فقط؛ فرأيت من ذكرت، وبركة العلم ـ والحمد لله واضحة، وسعادته على صاحبه لائحة ـ فأقمت بها ثلاثة أشهر، وكان عزمي يصمم تارة إلى السفر إلى بجاية، وكان إذ ذاك الحال شديداً للفتن التي بين السلاطين؛ فعزمت أن أمشي بالمرقعة، فوقع عندي مامنع من ذلك؛ فرجعت إلى تونس، ولازمت درس شيخنا، وأمرني أن أجلس للإقراء فجلست بجامع القصر سنة خمس وتسعين وستمائة، وكانت ولادتي في عام ثلاثة وسبعين وستمائة، وكان جمع وافر يترددون إليَّ للقراءة فأقمت على تلك الحال ثلاثة أعوام، ثم ارتحلت إلى بونة في طلب شؤون كانت هناك، فشاورت مَن له النظر في ذلك الزمان، فقال لي: تتخلص في شؤونك بوهم الزواية فنهَّضتُ صاحبنا الفقيه أبا عبد الله المرجاني[1]، فأمر مَن كتب عن والده كتب عناية، وأقمت ببونة مدة فرأيت بها الفقيه المشارك أبا إسحاق البجائي[2] ـ رحمه الله ـ وكان من فضلاء زمانه وأرجلهم، حسن العهد؛ فكان لي دين بعقد مشهود على رجل يعرف بابن حيُّون من أشياخ الخضرة القسنطينية[3] وكان شهوده يحتاجون إلى الرفوع على خطوطهم؛ فشهد لي، ودلّني على من عطف عليه بلطائف الجيل، وخاطب على العقد صاحبنا الفقيه القاضي أبا علي الحسن الفحصبلي بعد أن قال لي: كتبي في حقك لابن مريم[4] أنفع لك، فقلت له لا فخاطب على العقد وارتحلت إلى قسنطينة أول عام ثمانية وتسعين مع الفقراء،

---

(1) يظهر من كلام المؤلف أن أبا عبد الله هذا هو ابن العالم المحقق المدرك أبي محمد عبد الله المرجاني صاحب الترجمة رقم (8) في هذا الكتاب.

(2) راجع عنوان الدراية للغبريني.

(3) ولاية في شرق الجزائر، وهي مدينة قديمة في التاريخ، أسسها الفينيقيون، ثم أعاد بناءها بعد خرابها الأمبراطور البزنطي ثم كانت ـ في تاريخ الإسلام ـ محل عناية الحماديين والحفصيين والأتراك ـ ثم اهتم بها ـ بعد ذلك ـ الفرنسيون. ولها دورها البارز في التاريخ الحديث وفي نهضة الجزائر.

(4) في المخطوطة (ب) لابن الريم.

وكان شخص يعرف بمحمد بن سليمان بن بركة هناك بمسجد المليزي[1]؛ فوقعت بيننا مشاركة وخدمة ومذاكرة؛ فلما دخلنا قسنطينة في الثاني عشر لربيع من العام المذكور، ثلج صدري وفلج[2] على غريم الأمل أمري؛ فرأيت الفقراء[3] مبتهجين، وبي لهجين، وكان لي صاحب من الميعاد يعرف بابن علي؛ فوصل إليّ بكسوة وفرس وعانقني، وحلف عليّ، فلما حللت بمنزله غرّني بالمطامع، وأنا والحمد لله مجبول على عدم الاغترار؛ فعملت على تحصيل عقدي، واجتمعت بالقاضي الخطيب أبي محمد ابن الريم؛ فرأيت رجلاً فاضلاً كاملاً، فخلصني[4] بعد محاورات كثيرة، ومشّى لي العقود دون خطاب، وأظهر من الحميّة[5] ما هو المعهود من أمثاله، وضرب أجلاً للمذكور مبلغه أربعون يوماً؛ فبعد أن انقضت قال لي: أطلب غريمك فوجّه إليه ولده، وتحاكمنا عنده فقال للقاضي: أشهد لي على نفسك أنك ما تعطي أجلاً ثانياً، وكتب عقداً بالموطن ورفعه للسلطان فبلغ صاحب الدين ذلك؛ فكتب براءة لابن أبي حي وهو يقول: هذا ذل جرى على الموحدين، ولعل أن يعمل لي مجلس[6] بالفقهاء فجاوبه بأن قال: الشرع ينقاد إليه الموحد وغيره، وقولك أن يُعمل لك مجلس فلا يعمل ذلك مع القاضي إلا إذا كان غير ناهض، والفقيه أبو محمد ليس كذلك، والله لو وقفوا على العقد لخرج من الأمر ما لا يمكن دفعه؛ فتخلصت منه وقبضت منه ما كان لي عليه من دين؛ وارتحلت إلى بجاية في ذلك العام؛ فرأيت بها الشيخ الفقيه المفتي أبا علي منصور المشذالي[7]،

---

(1) من مساجد مدينة بجاية بالجزائر.
(2) في (ب) وفلح.
(3) في (ب) فرأيت الفقهاء.
(4) في (ب) فخاصني.
(5) في (ب) من المحبة.
(6) في (ب) مجلساً.
(7) أبو علي منصور بن أحمد بن عبد الحق المشذالي، نسبة إلى مشداله إحدى قرى بجاية، ينتمي إلى بيت من بيوتات العلم والفضل، تلقى علومه في بلاده ثم ارتحل إلى المشرق صغيراً فتفقه فيه، وسمع بمصر والشام وأقام في رحلته بذلك الأفق أكثر من عشرين عاماً، قال التجيبي =

وتحدثت معه ورأيته بعد رؤية سلام لا كلام، وجاءني بعض طلبته وتحدثوا معي، وذاكرني بعضهم في مسائل من العربية ولم يكونوا محصلين لها، ومعظم اشتغالهم بكلام ابن الحاجب أصلاً وفقهاً ونحواً، ثم أني دخلت جامعها؛ فرأيت حلقة عظيمة، وسمعت كلاماً مسترسلاً فأخبرت أنه الفقيه المتفنن، القاضي أبو العباس الغبريني[1] فسمعت كلاماً رائقاً، ورأيت لساناً بالمعارف ناطقاً؛ فبلغه أني قلت: يحتاج من يحضر هذا الدرس إلى أن يعصب رأسه من قوة كلام الأستاذ؛ فربما لم يرض ذلك، ثم أني استنهضته للاجتماع به، وكتبت له رقعة فيها[2]:

أتيت إلى زيارتكم مريداً[3] فلم أجد السبيل إلى الوصول
كأني حين لا لقيا تُرجّى أخو وجد تقنَّع بالقليل
حسبنا الشعر مفتاح الأماني فآض به المؤمل ذا خمول
وليس وسيلتي كتباً لديكم أيشتبه الزئير مع الصهيل
وكنا عنكم نروي حديثاً صحيحاً بالصباح وبالأصيل
فابن سنا براهين الأماني وما قد حازه فحوى الدليل
وكلٌّ جاء مقصوداً بكتْب فأسعف بالمراد وبالقبول

= أنه ولد عام إحدى وثلاثين وستمائة، وقال منصور الزواوي توفي عام أحد وثلاثين وسبعمائة وعمره مائة سنة.
له ترجمة في عنوان الدراية: 229، نيل الابتهاج: 609، توشيح الديباج: 281، شجرة النور الزكية: 217. رحلة العبدري: 277.

(1) أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد بن علي الغبريني، نسبة إلى بني غبري، بطن من الأمازيغ، ولد في أواسط المائة السابعة عام (644/ 1246) وأخذ علومه عن أكثر من سبعين شيخاً من علماء الغرب الإسلامي والأندلس ذكرهم وذكر الكتب التي استفاد قراءتها في برنامجه في آخر كتابه عنوان الدراية، وقد تولى التدريس والقضاء بعد ذلك، ثم زهد وتصوف وألف بعض الآثار من أشهرها كتابه المذكور في التراجم، وتوفي في بجاية سنة (714هـ/ 1315م) له ترجمة في: الوفيات، لقط الفرائد: 76، قضاة الأندلس، توشيح الديباج: 68، شجرة النور: 215.

(2) من الوافر.

(3) في (ب) مراراً.

ومـالـي عـاضـد إلا امـتـداحـي فكـم قـد نـلـت بـالأمـداح سـؤلـي[1]

فوجّه عني إلى علو جلوسه؛ فرأيت مجلساً[2] غصّ فلما وصلت إلى أعلاه، وهممت بالدخول رأيته معرضاً فأعرضت، وسلّمت وانصرفت، فمن ناقد حالي ومن حامد ما جرى لي[3]، قلت: كان هذا الرجل محصلاً حافظاً، فصيح اللسان، ذا خط بارع، وقلم لما يريد مطاوع، وقد كان وصل إلى تونس بأيام الواثق، وحضر مجلس شيخنا الفقيه أبي زكريا اليفرني وبحث معه في العربية، وما شام له برقاً، بل كان غرباً، وكان الآخر شرقاً فقطعه الشيخ؛ فبحث معه في الفقه فقطعه الفقيه أبو العباس، وكان يثني على الفقيه كثيراً ويعظمه، وقد ذكره في عنوانه[4] وفضّله على أقرانه وأخدانه، ولما أقمت ببجاية وأنا في ريعان الشباب، طلبت لخدمة الطلبة والكتاب، فوجدت صارم الأمل كهاماً[5]، وبارق الترجي خلياً وسحابه جهاماً[6]، وقد كان يلازمني يوسف بن علي[7] ملازمة الأخيار، ويسابقني إلى المؤانسة سبق المقانب[8] للمضمار[9] فامتعض لذلك ابن أبي حي[10] وكان يلفى ميتاً في صورة حي، فكتبت[11]:

وقـالـوا حـاجـب الـسـلـطـان سـمـح فـقـلـت عـلـيٌّ قـد أضـحـى بـخـيـلاً

---

(1) ورد العجز في (ب) هكذا «فقد نلت بالأمداح سولي» وهو الصحيح.

(2) في (ب) مجلس.

(3) اللفظان سقطا في (ب).

(4) يشير إلى كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية؛ وهو من الكتب المهمة المفيدة التي تجلو صورة حركة الحياة الفكرية والسياسية والعلمية في الغرب الإسلامي إلى عصر المؤلف.

(5) الكهام: الرجل الذي لا يخف إلى النصرة، والسيف الكهام: الكلّ.

(6) الجهام: السحاب لا ماء فيه، ويقال: جاءني من هذا الأمر بجهام أي بما لا خير فيه ولا نفع.

(7) لم أقف له فيما بين يديّ من مظان على ترجمة.

(8) جمع مقنب: شبه مخلاة يجعل فيها الصائد ما يصيده، ويطلق على جماعة من الفرسان والخيل دون المائة تجتمع للغارة، وهو المراد.

(9) المضمار: الحلبة.

(10) يبدو أن هذا الرجل ـ موضع هجاء المؤلف ـ كان من رجال الدول النافذين في بجاية.

(11) في المخطوطين «فكتب»، والأبيات من الوافر.

بمدحي لم أزل ألفى عزيزاً وهأنا عنده ألفى ذليلاً
فإن يك يوسف ذنبي لديه فصبري لم يزل صبراً جميلاً

ومن بعدما هممت بنظم بيت[1]، ولا تصدّيت لكيت وكيت، قلت كان الفقيه أبو العباس لعبت به زخارف الآمال، ولألاء الجاه والحظة والمال؛ فعضّ على يديه أسفاً لما جرى عليه[2]:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنّسوا محيّاه بالأطماع حتى تجهما

ومنها:

يقولون لي فيك انقباض وإنما رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم ومن أكرمته عزة النفس أكرما
وما كل برق لاح لي يستفزني ولا كل ما لاقيت أرضاه منعما
وما زلت منحازاً بعرضي جانباً عن الذل اعتاد الصبابة مغنما
إذا قيل هذا مورد قلت قد أرى ولكن نفس الحر تحتمل الظما
وإني إذا ما فاتني الأمر لم أبت أقلّب كفي إثره متندماً
ولكنه إن جاء عفواً قبلته وإن مال لم أتبعه هلا وليتما[3]
وأقبض خطوى عن حظوظ قريبة إذا لم أنلها وافر العرض مكرما
وأكرم نفسي أن أضاحك عابساً وأن أتلقى بالمديح مذمما
أنهنهها[4] عن كل ما قد يشينها مخافة أقوال العدا فيم أو لما

(1) في (ب) ومن بعد ذلك هل هممت بنظم بيت.
(2) هذه القصيدة البديعة في كرامة العلم وأهله من البحر الطويل وهي للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، صاحب كتاب «الوساطة بين المتنبي وخصومه» والمتوفي سنة 366هـ.
(3) هلاّ: حرف تحضيض، وليتما للتمني، والمراد بهما في البيت أن الشاعر لا يتكلف للأمور ولا يتطلبها.
(4) أنهنهها: أزجرها.

ولـم أقض حق العلـم إن كنت كلما　بـدا طـمـع صـيّـرتـه لـي سـلـمـا
ولـم أبتذل في خدمة العلم مهجتي　لأخـدم مـن لاقـيـت لـكـن لأخـدمـا
أأغــرســه عــزاً وأجــنــيــه ذلــة　إذا فـاتـبـاع الـجـهـل قـد كـان أحـزمـا
فإن قـلـت حـد الـعـلـم كـابٍ فـإنـمـا　كـبـا حـيـن لـم يـحـم حـمـاه وأسـلـمـا

استشهد[1] ـ رحمه الله ـ وقد رأيت له قصيدة مدح[2] فيها ابن سبعين[3] يتداولها الفقراء على مرّ السنين قلت: ومنذ أقامني الله فطرني على عدم حب الدنيا، والإقلال منها، ولم أخدم. . والحمد لله ـ أحداً، وما زلت على البراءة الأصليّة؛ من التبرم والحريّة، فلله الشكر على ما منح، وإن كنت متبوعاً محسوداً، وقد سلّم الله من خطوب كثيرة، فمن جملة ما تتبعت فيه إعطاء الدراهم على هجائي، وقد أجبت عن ذلك بخاطر أحد الأصحاب، وقلت فيه:
يقول مقابل الدعوى بالرد المانع نفسه من جزاء الخصم الألد[4]:

أهـاجـتـك أهـواء الـظـنـون الـكـواذب　فـأبـت بـمـا أمـلـتـه مـن شـرائـب
تعست وكـم حـزن ستجنيه بعدها　قـريـبـاً كـذا الأيـام أم الـعـجـائـب
وذو الظلـم أن يمهل فسوف تخاله　تعيث به أيدي الردى والمصائب
أبى منك قبح[5] الطبع إلا تجرماً　فتلدغ من نحوي وتصمى بجانب
جـزمـت بـإصـرار عـلـى كـل سـيء　ولـم تـك مـن فـعـل الـهـنـات بـتـائـب
بـلـغـت مـن الأعـراض مـبـلـغ فـائـق　يرى أن كنه العقل أمعاض صاحب
ولو حدت عن ذم الورى وسبابهم　لـفـزت بـسـهـم لـلـسـعـادة صـائـب

---

(1) يشير إلى استشهاد العالم أبي العباس أحمد الغبريني صاحب كتاب عنوان الدراية، الذي مات بمدينة بجاية عام (714/ 1315) بداء الطاعون سنة 714 كما أجمع جُلّ المؤرخين، ورجع ذلك محقق الكتاب المذكور عنوان الدراية: 14 الأعلام 1: 87.
(2) غير مثبتة في (أ).
(3) تقدمت ترجمته.
(4) من الطويل.
(5) ساقطة في (ب).

ولكنها الأقدار تدنيك للردى | فتصبح مطلول الطلا والترائب[1]
فيا أيمن للشوم فيك دلالة | تعوق الورى عن بغية ومآرب
قربت من الآفات قرب المصاقب[2] | بعدت عن الطاعات بعد الكواكب
ولو لم تكن للكفر خدناً مؤانساً | لما كنت عن تقوى الإله بغائب
أتيت بزور القول فيَّ حسادة | فشبهت ضمعاء الفلا بالمقانب[3]
ولا عجب من جاهل يحسد الفتى | ورب كلام للمنية جالب
وكم رمت أن تنضو[4] ملابسك التي | لبست بما ألبست غير مثالب
طبعت على ما قد طبعت من الأذى | وأنى يقي الأشلاء سم العقارب
زعمت بأني للطهارة نابذ | كنبذك للتقوى أمام المواكب
وقد قلت إني في الأئمة قادح | مقالة أفاك عن الحق لاغب
كما قلت إني للكتاب معارض | فعرضت للتعريض صفحة كاذب
تعالى إله العرش عما ادعيته | لقد جئت نكراً من مُلم وذاهب
ألست الذي أبدى المعاني مُعانياً | لمعتل لغط بالبديع مناسب
وباليفرني[5] أفرى أديم جهالة | وأمداحه مازلت أهدي لخاطب
فمن غيره شيخي إذا مشكل دجا | وشمس المعاني منه جلّت غياهبي
وكم فقت في فهم التفاسير جلة | بإرشاد أشياخ كرام أعارب
وكم مجلس عنه انفصلت كأنني | صبا الروح إذ يسقيه غادي السحائب

---

(1) الطلول: الدم المهدر الذي لم تؤخذ ديته.
الطلا: العنق.
والترئب: عظام الصدر.
(2) المصاقب: المقارب والمواجه.
(3) المقانب: تقدم تفسيرها.
(4) في (ب) تنصف، وقافية البيت مثالب وبهذا اللفظ يستقيم الوزن.
(5) يشير إلى شيخه أبي زكريا اليفرني.

قضى لك بالخسران مينٌ مبرّح كأن عليك المين ضربة لازب
وأعجب شيء جاهل لك قد صغا يخط بما خط الرواجب[1]
فنبل الفتى عد المعائب لم يزل كفى بالفتى نبلاً مثار المعايب[2]
هو الدهر كم يرجى خطوب لبانتي فإن اقتبس نوراً فنار الحباحب[3]
أبت شيم الأيام إلا تغيراً وأحداثها لم تصف يوماً لشارب
ومن شيمي أني أعف عن اللُّها[4] وألهو بمن يغري نبيل الرغائب
ولكن جدّ المرء ينهض جده وما الجد عني في الشؤون بعازب
فيا واعياً ذمي بغير تثبت فغرب فم البهتان عند المخاطب
إخالك إن صدقت ما أنت سامع فما أنت أعلام الهدى بمراقب
تبصر بعين الصدق في الزور جاهداً ولا ترم مظلوماً بسوء المذاهب
وأني يقول لصدق في الخصم كاشح[5] يرى أن نيل السؤل ثلم الناقب
تراه على ضغني وذمي واثباً فأقبح بذي ضغن على الذم واثب
مصدقه لا كنت للصدق آتياً ولا فزت في الأخرى بأعلى المراتب
أليس ثنائي سائراً في مشارق كما أن ذكري سائر في مغارب
ولا نطق إلا ما تُكن ضمائري ولا علم إلا ما حوته تجاربي
ومن ذا الذي يُلفى من الناس سالماً فللناس أدهى من زمان محارب

كلمة أعربت عن فصول ما تضمنته كلمة الهاجي، ولم يزل الأمر إلى هَلُمّ جراً في التتبيع بالسهام، في كل الأحايين والأيام، ولكنَّ الله سلَّم، إنه عليم

---

(1) الرواجب: مفاصل الأصابع.
(2) يشير إلى معنى البيت المشهور من بحر الطويل:
ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه
(3) ذباب يطير بالليل يضيء ذنبه، ونار الحباحب: ما تطاير من شرر النار في الهواء.
(4) اللها: الأعطيات.
(5) الكاشح: العدو المبغض.

بذات الصدور، ثم من بعد هذه المحاورات كلها؛ لازمت الفقراء فرأيت من بركاتهم أشياء، وقد خضت والحمد لله بحرهم، واقتطفت زهرهم، وكلمتي للسالك، تشهد لي بذلك[1]:

سرت لي من روض الحقائق أزهار فنيلت لبانات هناك وأوطار
وهبت علينا نسمة حاجرية[2] فأضحى بها روض المنى وهو معطار
شموس معان أشرقت بقلوبنا وما أفقها إلا رحيق وخمار
عهدت بها أنسي وآنست نارها فلاحت لنا من ذلك الأنس[3] آثار
وأدركت سر الوتر في عرصاتها على أن شفعي فيه تدرك أسرار
وليلاي[4] ما فارقتها غير أنها أضاءت لنا منها على البعد أقمار
لئن حجبت عني بحسن مبرقع فلي في سناها من وجودي أسفار
وغيبتها عين الحضور وبعدها دنو وليل الوصل عندي تذكار
ولا ناطق إلا يترجم باسمها وأضمار[5] شجواه لدى الحب أطمار
وكل فناء للفناء مآله فقد قربت منه بذاتك أسطار
تجرد عن الأكوان طراً فإنها حجاب به شدّت لدى الحق أنهار
أسكان سلع[6] لا أحب سواكم وإن طرقت قلبي هموم وأفكار
وإني لأهواكم على كل حالة سواء تناهت أو تدانت بي الدار
وكم نلت منكم من منى غير أنني لجفني دمعٌ باشتياقي مدرار
أليس عجيباً أن وصلاً يشوقني فأرتاح من شوق كأني خطار

(1) من الطويل.
(2) الحاجز: الأرض ترتفع جوانبها، وينخفض وسطها.
(3) فراغ في (ب).
(4) في (ب) وليالي؛ وما في (أ) أدق لأنه رمز صوفي.
(5) في (ب) واضما.
(6) موضع، وأصل السلع في اللسان: الشق في الجبل ونحوه، وشجر ينبت في اليمن.

لنحوك فلك الشوق ألقت شراعها | لديها من الآمال عون وأبكار
فيا سيد العجمُ الذي أعرب الهوى | بأن المنى منه يروم ويختار
معانيكم شاقت نفوس أولي النهي | وبحر معانيكم لمن أمّ زخار
فأبرزتم لمن وافى[1] علوم وراثة | فشأن فقير مثلي اليوم إقرار
وبيّنتم الأسرار وهم خفيّة | فنمّ بمسراكم أصيل وأسحار
عليكم سلام من مشوق متيم | له الوجد خدن والصبابة أنصار

ولما انتهى الأمر المقدر، والأمد المسطّر، والسن إذ ذاك سن الربيع، من زياد الحارثي عامل أبي موسى الأشعري[2] على البحرين[3] لما سأله عمر بن الخطاب عن سنه، أراني الله رؤيا ثلج بها الصدر، وتراكم بها البشر، وهي أني عابر سبيل ببلد لا أعرفه وبيد صبي لوح فيه مكتوب، من وحده ودعه ومن ودعه وحده، فاستيقظت من نومتي وعبرتها إذ أنا للأحلام عبّار، وللمرائي معيار[4]، وعلمت منها ما علمت، وفهمت من شرح حالها ما فهمت، وفيها من الإشارات لأهلها ما يقصر عن تحصيله اللسان، ولا يسع كنه حقائقها الجنان، وذلك بمنتصف ربيع الثاني من عام سبعة عشر وسبعمائة، ثم وصلني كتب بعض الأصحاب المخلصين من بونة، يخبرني أنه رآني مُعرًى من ثيابي، وهي في يدي، وأنا أقول له: تغسلها، ثم بمنتصف جمادى الثانية جاءني أحد الأصحاب المحبين، يخبرني أنه رأى رؤية تخصني، وظاهرها مفزع؛ فاستعذت بالله من شر ذلك، ومن أليم ما اعترى، ثم إن أخي ـ وفقه الله، وبصالح العمل

---

(1) في (ب) فراغ بمقدار ثلاث كلمات وصدر البيت هنا مختل.

(2) وأبو موسى الأشعري هو عبد الله بن قيس بن سليم صحابي جليل من الولاة الشجعان الفاتحين، وكان وكيلاً عن الإمام علي بن أبي طالب في مسألة التحكيم، ولد في زبيد سنة (21 ق.هـ./ 602م) وقدم قلة عند ظهور الإسلام، وقد أنابه الرسول عنه في زبيد وعدن ثم أقر بعده على الكوفة وغيرها، كان قصيراً خفيف الجسم ومن أعذب الناس صوتاً.
راجع طبقات ابن سعد 4: 79، والإصابة في 4889.

(3) البحرين من بلدان الخليج العربي المشهورة اليوم، وعاصمتها «المنامة».

(4) يؤمي إلى معرفته بعلم تفسير الأحلام والرؤية المنامية.

حققه ـ لما انتبه من نومته، وأفاق من سكرته، قال لي: رأيت القاضي ثقفك واسترضاك وما عنفك، ثم رأيتني مجتازاً بموضع الاعتقال، ورأيته في النوم رؤيتي في اليقظة؛ فقلت لعل هذه سوداء تحكمت[1]؛ فأضربت عن ذلك، ولم أشعر بما هنالك، ثم رأيت أخي فقد ثناياه العليا اليسرى فأخبرته وقلت له: تفقدني ولا بدُ، وذاكرت مُعبر الوقت فقال هي خسارة خمسين ديناراً، ولم يلمم بصواب ولا فهم سطور كتاب، وإنما التعبير نور يقذفه الله في قلب السعيد فيدرك الخفيات من قريب وبعيد، وهي عند أهل العرفان تأييد من الله للرائي، ليدع الفاني للباقي، ولما استهل هلال شعبان من العام المذكور، ارتحلت بمنتصفه من موضع سكناي، وكانت الدخلة الغربية؛ فاستهل الهلال، وقوي البلبال[2]، والنفوس إذ ذاك تعالج السكرات، وترتشف ثدي الحسرات، إلى أن آن رحيلهم، واشتد نصهم وذميلهم[3]، لقيت إنساناً[4] ينتمي للعبادة، ويجنح إلى طرق الاستفادة، فقال لي: إن أهل الزاوية صرّحوا وجمجموا[5]، وتحالفوا فيما بينهم والتزموا أن يكتبوا استدعاء، ويطلبوا من عدولهم استدعاء، وعرفني بنصه، وأطلعني على فصّه، في منفذ أحكامهم، وخطيب أعوادهم وإمامهم، وعزموا على رفعه لحضرتهم، ليتوصلوا[6] إلى تأخيره بصالح فطرتهم، ونصه أنه يقبل الرشا ويقتني الأموال من غير حلّها، ويبيح دماء المسلمين وكان المذكور بيني وبينه ما يوجب رعي ذمام، وسعي كرام؛ فامتعضت لسماع ذلك، وقلت: ياليتني لم أشعر بما هنالك؛ فأقبلت على الموثقين؛ فهشَّ إليَّ الكيد من تلقائهم، واستمطرني عما جرى من أنبائهم؛ فألقيت له الأمانة، دون كتم مني

(1) السوداء: أحد الأخلاط الأربعة التي زعم القدامى أن الجسم مهيأ عليها، بها يصلح أو يفسد، وهي الصفراء والبلغم والدم والسوداء.
(2) البلبال: الهم.
(3) النص والذميل ضربان من السير سريعان.
(4) في (ب) أناساً.
(5) جمجموا: لم يبيّنوا كلامهم.
(6) في (ب) ليراطنوا.

ولا ضنانة، ويعلم الله أنها نصيحة إيمانية، ونذارة للمستبصر إسلامية[1]:

وكم جئت في أبياتكم من نصيحة وقد يستفيد الظنة المتنصح

فأسرع الكيد إليه، وأقبل بالخير عليه، وكان من حالة مخدومة الجزاء على الخير بالشر، وعلى الحسنة بالسيئة والضرر؛ فبعث[2] إليَّ من الوزعة[3] ثلاثاً، ولم يجرِ عند نفسه في ذلك إبداعاً ولا أحداثاً فلما أشخصني ناداني بالكنية[4]، وقال لي: قيل لي عنك كلام سوء فبادروا إلى اعتقالي، ولم يفقهوا مقالي، فلما حللت بمسجد المعتقل، عاينت الكثير والأقل، فرأيت زاوية من زوايا الحق، يسكنها من شاء من الخلق؛ فلزمت المحراب، ونبذت الأصحاب، وكان ذلك في الثامن عشر لشعبان المكرم من العام المذكور؛ فلما استهل هلال رمضان المعظم تأهبت إليه، وعوّلت على الله فيما افترض لديه، وقطعته على أحسن حال وإن كنت في برح واختبال، لم أغفل فيه عن ذكر ولا دعاء، ولا شكر لله ولا ثناء، إلى أن انتهت مدته، وانقضت عدته؛ فلما استهل هلال شوال، وكان يتردد إليَّ قليل من الأصحاب المحبين، الذين ظهرت صداقتهم هنا وفي يوم الدين، ويخبرون عن لكماته، وما يبدي من سطواته، وقد أقام الحق عندي في ذلك المقام رياضة في غابر الأيام، وكان جمعٌ من المبتدعين المتشيعين المنهمكين في الشهوات يبالغون في الأراجيف، وينمقون ألسنتهم بالتحاريف ويقولون تغلب عليه السوداء فيهلك شبحه، ويهرق بفنائه قدحه، وقد أظهروا من العداوة ما أبطنوا وأعلنوا ما أسروهه وكتموه، وكانوا قبل يسرون حسواً في ارتغاء[5]، ويبيحون الأذى دون إظهار ولا انتماء، وهم

---

(1) من الكامل.

(2) فراغ في (ب).

(3) الوزعة: الموكلون بالأمور أو الشرطة.

(4) في (ب) بالكلية.

(5) كناية عمن يظهر أمراً يُسر به أمراً آخر يخالفه، جاء في مجمع الأمثال للميداني «قال أبو زيد الأصمعي، أصله الرجل يؤتى باللبن فيظهر أنه يريد الرغوة خاصة، ولا يريد غيرها فيشربها وهو في ذلك ينال من اللبن، يضرب لمن يريك أنه يعينك، وإنما يجر النفع إلى نفسه».
مجمع الأمثال 2: 417.

كسالى جهلة عاجزون، لا همة لهم ولا مروءة ولا دين، تشيعوا في النبات المعروف بالحشيش الذي يتعاطاه أهل الفسوق، وخلعوا عذارهم في كل رذيلة ونقيصة، غير متمسكين بشريعة، مصرّون على كل عصيان، وقد قلت فيهم قديماً، وألزمتهم وصفاً ذميماً[1]:

جعل الشريعة جانباً من لم يتب ... من غيّه ويحد عن الإصرار
لو كان في تحقيقه سهلاً وفي ... أذواقه عند الفتى السيّار
أو كان محيي الدين في إدراكه ... أو كان نجم الدين بالأسحار
أمحققاً في زعمه متهافتاً ... هيهات ليس الخُبُر كالأخبار
حليّة الخمر استبحت جهالة ... وجعلت تلك غاية الأوطار
وتقول في المعلوم سر الله لا ... يبدو له[2] بلطائف الأسرار
وكذا الصبا بطراً أبحت ولم تتب ... والعير أنت ملازم لعتار
وكذبت من تعزي لمذهبه فما ... تعزي لغير لظى[3]...
وتقول إن الحق عندي كامن ... والحق عندك كالخيال الساري
إن قلت إنك يا أخي محقق ... فاجعل كلام الله ثوب شعار
واعمل بسنة سيد الرسل الذي ... أنجى وأنقذ من أليم النار
يا مدّعي رتب العُلا متهاوناً ... وأراه معتكفاً على الأقذار
إن الهوى أعماك عن سنن الهدى ... وعمي البصيرة من عمي الإبصار

فلما علموا أني هنالك مقيم، وعن فناء العقلة لا أريم[4]، جعلوا من يظهر لي بالنصيحة، ويقولون سفرك أليق من المقام، وأجمل عند كل الأنام، وذلك منهم تعرض وتمرد وتغرض ولما علموا أن ليس لي ناصر، وأني عن

---

(1) من الكامل.
(2) في (ب) يبدو بلطائف.
(3) كلمة غير واضحة في المخطوطين.
(4) لا أتحول.

التعرض للتوسل بالبشر قاصر، ثلجت صدورهم، وانتشر سرورهم[1]، وكان ذلك لما استهل هلال ذي الحجة المبارك من العام المذكور؛ فكنت متشوفاً لما يرد عليَّ من جهة منفذ الأحكام، وكبير الأنام، من رحمة ترد عليَّ، وبشرى تُلفي من رسوله لديَّ، فلما كان يوم عرفة عرّفني أخي أنه أقسم باليوم المعظم، والأشهر الحرم، واليوم المكرّم، أني ما أقدر على فك عقاله، ولا أستطيع دفع ما نزل به من حاله، والأمر عند السلطان مقرر، وعقلته منه أمر قد تكرر، وهو عليه غضبان، ولا يستطيع دفع ذلك إنسان أخبرني أخي بكلامه، وما صدر منه فيئست من البشر، وأضربت بالجملة عن هذا الخبر، فأريت في ليلة عيد الأضحى أربعة رجال ألقوا لقلبي فتحاً لم أرَ أطيب أرواحاً منهم، ولا ألين مساً من لدنهم؛ فدنوا مني وعانقوني، وجمجموا لي بكلام وصافحوني، وقالوا كلهم لا بأس عليك والخير كله مقبل عليك؛ فأصبحت يوم العيد، في سرور ونشاط جديد، قوي القلب، عديم الألم والكرب، وكان العيد يوم الإثنين على قرب من ذهابالألم والشين[2]، فلم يكن إلا يسيراً، والأمل في ذلك قصير، إلى يوم جمعة العيد المذكور، وأنا بأقرب وقت من البكور، وإذ صبي ورد على الجمع يخصني بالوتر من ذلك الشفع؛ فقال لي: ورد كتبٌ من الخلافة بسراحك؛ فاستبعدت هذا الأمر لعدم مخدوم أو أمر في ذلك بسببي معلوم، ثم إن الخبر تواتر بذلك، وكان ذلك من الله لطف جليٌ، وهو عند مَن لم يتحقق بالقواعد العرفانية خفي؛ وكان الشيخ الصالح المقدس الأحمي، المكاشف أبو عبد الله الرماد[3] إذ ذاك ورد على الخلافة لقضاء مآربه، وتعيين مطالبه؛ فانجر ذكري بالعرض، وكان ذلك سبباً لنيل الغرض؛ فتحاوروا حال الولاة، ومن تعين في حزبهم من العداة؛ إلى أن انجرَّ ذكر الفقير، فكان ذلك لطفاً من اللطيف الخبير، وكم لله من لطف خفي، وكرم على عباده جلي؛ فوصل عنفوان كتب بخطهم - رضي الله عنهم، وجعل الخلافة في عقبهم، ومتلقاة

(1) في (ب) صرورهم.
(2) في (ب) والشر.
(3) كتب في المخطوطين أبا عبد الله الرماد ومثل هذا الخطأ شائع في المخطوط.

منهم، ونصه: يسرح فلان من عقلته[1]، ولا علم ذلك كاتب، ولا ألمّ به حاجب فوقع السراح يوم الاثنين سابع عشر ذي الحجّة عام سبعة عشر وسبعمائة، وهنا سر مكتوم، وأمر عند من تحقق بالألطاف الإلهية معلوم، وهو أن والي تنفيذ الأحكام الشرعية بعد أن نقل له ما نيّناه، عزم وصمم على الإزعاج وكان إذا كلّمه حبيبٌ مشفق يقول: خرج الأمر من يدي، وضيّق في ذلك عليّ، والسلطان عليه[2]. . . . ، ويد القدرة تنفذ توقيع الامتنان، إلى أن كان ما قدّره الله، ويسّره، وكنت في أثناء هذا الأمر الغريب والتصريف الإلهي العجيب، خمست بيتي المصحف وهما[3]:

من أمّ بابكم المبارك يُسعد ... وينال عزّاً[4] والضراعة يعقد
يا أيها الملك الأعز الأوحد ... مولاي عمدتي الكتاب وأحمد
وكلاهما كهفي وحصني الأمنع
العبد أصبح في اعتقال ضائعاً ... في ظل عدلكم أراه طامعاً
مولاي شفع من أتى لك[5] ضارعاً ... أعددت جاههما إليكم شافعاً
ماخاب من بوجيهه يتشفع

ولم أرفعه ولا كتبته؛ فلما قضى الله أمره، وأزاح من الذل عبده، وفك أسره، قلته لإخواني القاطنين بجناني، وهو من التيسير واللطف، والبيان عن سر القدر المصون والكشف فالحمد لله أولاً وأخيراً، وتسليماً لقضائه وتقديراً، وهو اللطيف ذو المن والفضل، مغدق ساحة الأمل عند حلول المحل؛ فلما وقع السراح سابع عشر ذي حجة إلى أول ربيع نكب إذ ذاك ابن عبد الربيع[6]

---

(1) في (ب) من حقلته.
(2) كلمة غير واضحة في المخطوط، وأقرب قراءة لها مع مراعاة الفاصلة «غضبان» كما في (ي).
(3) من الكامل.
(4) فراغ في (ب).
(5) في (ب) من أتاك.
(6) خصم المؤلف وشانئه كما يفصح سياق الكلام.

يوم الأربعاء ثامن يوم منه، ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[1]، وأزعج للمهدية ـ كلأها الله ـ في الغراب مع من كان له هناك من الأصحاب، وأنزلوا بما جل[2] العذاب، ولقوا أكبر الإثم وأفظع المصاب، واقتسم الماجل بينهم نصفين، نصفه للثلاثة، ونصفٌ له دون مين، ثم إن من ثقفهم صلى الجمعة بالبلد، فارتفعت إليه أصواتهم، واختلفت[3] . . . . . ، وتوسلوا له أن ينقذهم من مصابه، وأن يخفف عنه ما به من عذابه، وطلع من الماجل الغريب الحبس، وذلك دون شك ولا لبس، وقد كان غُشي عليه، ويئس منه الحاضرون لديه، فحلت به المثلات[4]، وترادفت عليه المحن والحسرات[5]، وانتقم منه لما أصابه الأخدان، وبذا جاء المثل «كما تدين تدان»، مكان بين اعتقالي ونكبته شهران، وفاز من فاز بالربح، وحظي بالخسران، وأعوذ بالله من النفوس السبعية، الشريّة الصليّة العقربيّة يحكى عن شيخ زمانه، إمام الفضائل بين أخدانه الفقيه القاضي أبي العباس بن الغماز[6]، أنه كان أقرض شخصاً مالاً ببلد الجزائر ثم إنه حلف له عليه فكان بمجلس الأحكام يوماً؛ فدخل عليه رجلان فيهما غريمه؛ فقال لبعض الشهود: وهو عبد الحق بن ربيع، أحكم بينهما حتى أقضي حاجة، فلما وصل قال له: إنما امتنعت من الحكم بينهما؛ لأن هذا في نفسي منه شيء؛ فخشيت أن أحكم عليه، فيميل طبعي. ـ جزاه الله عن دينه خيراً وجزى من يظلم المسلمين شؤماً وضيراً، والفقراء أوقاتهم بالله منوّرة، وإن سُلّط عليهم من الجبابرة . . . .[7]

(1) سورة الأحزاب، الآية 38.

(2) الماجل: مكان يحفر في الأرض لتجميع المياه وحفظها.

(3) كلمة ساقطة في المخطوطين.

(4) المثلة: العقوبة والتنكيل والجمع المثلات، قال الله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ﴾ [الرعد: 6].

(5) في (ب) والمسرات.

(6) تقدمت ترجمته.

(7) فراغ في أصل المخطوط بمقدار سطر.

وهو المشكور على كل حال، الميسر ما تعسر من الأحوال، وكانت هذه الكرامة الشريفة، والعلامة اللطيفة تنظر لبئر أبي حمزة نظرة الإيماء[1] وتتحد بها اتحاد الصهباء بالماء، على أن الفرق ظاهر، والرتق باهرٌ، فكانت نجاته من التلف بالتلف، كذلك الحال هنا ما اختلف[2]:

وقد يهلك الإنسان من حيث أمنهُ ويـنجو بحمد الله من حيث يحذر

ولما يئس أبو حمزة من البشرية، وظهر في مقام[3] التوكل في المهامة القفرية، حفت به الألطاف[4] . . . . . ، بلا خلاف، فأدلى له ذنبه، وكان ذلك سبب الغربة؛ فنهض به بعد أن كان في العدم، كذلك من مشى على تلك القدم، والحال تشبه الحال، وإن كان بينهما بون وارتحال؛ فلما أن وقع عند الفقير اليأس من الناس، أقبس له من الفرج أيما مقباس، وعمّته ألطاف دونما التباس ـ وصلى لله على سيد الأمم، ومنير الظلم محمد بن عبد الله العربي القرشي المكي الأبطحي[5]، وآله الطاهرين، وسلم تسليماً كثيراً، وكان الفراغ من كتبه في سابع عشر ذي القعدة الحرام من عام ثمانية عشر وألف ـ عرف الله بركته.

---

(1) في (ب) لسبه أبي حمزة نظر إيماء.
(2) من الطويل.
(3) كلمتان ذهب بهما البتر في المخطوط (ب).
(4) كلمتان ذهب بهما البتر في المخطوطين.
(5) في (ب) الإبطي وهو خطأ، والأبطحي نسبة إلى مكة المكرمة ويقال في الأمثال «التبطح خير من التبطخ» أي النزول بمكة خير من النزول بخوارزم.

الفهـارس

1 ـ فهرس الآيات القرآنية(*)

(*) حسب ورودها في الكتاب.

الآية	رقمها	السورة	رقمها	الإحالة
﴿إنني أنا الله لا إله إلا أنا﴾	14	طه	20	67
﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾	9	الرعد	13	67
﴿ولقد همت به وهم بها﴾	24	يوسف	12	74
﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾	40	النحل	16	74
﴿أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا﴾	74	الكهف	18	74
﴿ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا﴾	75	الكهف	18	75
﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني﴾	76	الكهف	18	75
﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن﴾	25	يوسف	12	76
﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا﴾	6	الشورى	41	80
﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق﴾	16	الحديد	57	81
﴿هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا﴾	98	مريم	19	83
﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾	80	النساء	4	83
﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك﴾	43	مريم	19	84
﴿سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا﴾	47	مريم	19	84
﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه﴾	20	الشورى	42	83
﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾	26	الشعراء	88 و89	83
﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك﴾	43	مريم	19	84
﴿سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا﴾	47	مريم	19	84
﴿وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله﴾	11	إبراهيم	14	84
﴿ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار﴾	191	آل عمران	3	85
﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾	55	التوبة	9	85
﴿ويأبى الله إلا أن يتم نوره﴾	32	التوبة	9	86
﴿حسدا من عند أنفسهم﴾	109	البقرة	2	86
﴿حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى﴾	238	البقرة	2	86

الآية	رقمها	السورة	رقمها	الإحالة
﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ﴾	195	الأعراف	7	93
﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾	40	التوبة	9	93
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾	123	الأنعام	6	94
﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾	26	الرحمن	55	94
﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾	88	القصص	28	94
﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	10	الجاثية	45	94
﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾	10	الشمس	91	106
﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾	122	الأنعام	6	129
﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾	6	الضحى	93	130
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾	67	البقرة	2	140
﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾	146	الأعراف	7	143
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾	1	الطلاق	65	147
﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾	234	البقرة والطلاق	2، 65	147
﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾	1	الطلاق	65	147
﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾	2	الطلاق	65	147
﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾	80	التوبة	9	148
﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾	8	المنافقون	63	148
﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾	4	قريش	106	148
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾	11	الشورى	42	148
﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾	34	القيامة	75	148

الآية	رقمها	السورة	رقمها	الإحالة
﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾	36	النور	24	149
﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾	10	فاطر	35	149
﴿وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾	3	المائدة	5	149
﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ . . .﴾	32	المائدة	5	149
﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ﴾	45	المائدة	5	150-149
﴿إِنْ هَـٰذَٰنِ لَسَـٰحِرَٰنِ﴾	63	طه	20	150
﴿مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾	7	الفرقان	25	150
﴿وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ﴾	47	التوبة	9	150
﴿أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ﴾	21	النمل	27	150
﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	101	يونس	10	158
﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾	10	الحجرات	49	163
﴿وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾	68	النحل	16	178
﴿وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا﴾	91	مريم	19	178
﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾	156	الأعراف	7	178
﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾	180	الأعراف	7	185
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾	28	سبأ	34	185
﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	65	النمل	27	186
﴿وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَـٰتُ﴾	6	الرعد	13	251

2 ـ الأحاديث والأثر(*)

(*) حسب ورودها في الكتاب.

3 ـ فهرس الأشعار وأشطار الأبيات

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	الإحالة
لأبي سلامة	إن شاء	الكامل	2	أبو عبد الله التجاني	27، 78
شهدت ما شهدت	سوائي	الوافر	5	أبو الحسن الحرالي	101
يا من تفجر منه	الأرجاء	الكامل	21	ابن الطوّاح	151
أقضي على قاضي قضاء	والغبراء	الكامل	1	ـ	176
من غير تلبيس	كما جرى	الكامل	1	ـ	90
وقد تراءى	قد نأى	الرجز	6	حازم القرطاجني	213
ولما استبان	الكواكب	الطويل	1	ـ	84
هوت أمه	يؤوب	الطويل	1	كعب الغنوي	161
وفي تعب	بضريب	الطويل	1	ـ	188
كتب الشعر	جوابا	الخفيف	2	ـ	169
ما أنصف	الطرطبة	المجتث	1	المتنبي	217
أعتباً	الغربا	الطويل	4	ابن أبي تميم	225
على تونس	صبا	المتقارب	2	ابن القصيرة	227
أهاجتك	شرائب	الطويل	40	ابن الطوّاح	241

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	الإحالة
أفدي رجالاً	وبتات	الكامل	12	أبو عبد الله التجاني	77
وكم من منزل	العشيرة	الوافر	1	–	82
ماذا	أوجبت	الطويل	1	ابن حبيش	158
نبثت	لذاتي	المنسرح	4	التجاني	197
اشتدي أزمة	البلج	المتدارك		التوزري	104
أشرق في الليل	مصباحي	البسيط	1	–	84
نسيم وجد	أصافحه	البسيط	21	ابن الطوّاح	112
ماذا ببدر	جحاجح	الكامل	1	أمية بن أبي الصلت	159
شرف مديحك	بالممدوح	الكامل	2	القرشي	205
فيا حسن ما قرت	رماح	الطويل	3	ابن ابي تميم	225
وكم جنت	المتنصح	الكامل	1	–	247
تأمل الوجد	وجد	المجتث	5	الحلاج	56
ما زلت أعرف	ولا سود	البسيط	1	–	84
جرد الفكر	ثمود	الخفيف	3	الششتري	130
ماذا من البعد	والجود	البسيط	1		161
ماذا لقيت	محسود	البسيط	1	المتنبئ	161
حين جادت	اللحود	الخفيف	1	السلمي	176
مرحباً مرحباً	ابن الوليد	الخفيف	1	ابن عميرة	210
يا سيدي	ندى	المنسرح	5	ابن القصيرة	228
تجاسرت	الصبر	الهزج	4	للضحاك	57
أيا من طرفة	خمر	الهزج	5	للضحاك	57
سلام على شمس	بفجره	الطويل	9	المهدري	68
بنفسي أحبابي	والبر	الطويل	4	ابن الطوّاح	87

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	الإحالة
الربع يا عمر	ويعفور	البسيط	35	المرجاني	154
ألا ثكلت	القبر	الطويل	2	الخنساء	160
قالوا البقيرة	البقر	البسيط	1	أندلسي	162
ألا في سبيل الله	القفر	الطويل	1	–	162
عليَّ نحت	البقر	البسيط	1	–	183
بني ابن لي	السحر	الطويل	4	أبو المحيا	217
بشراي	المنصورا	الكامل	2	ابن الأبار	223
يقولون تونس	الظاهرة	المتقارب	2	ابن القصيرة	227
سرت لي	وأوطار	الطويل	21	ابن الطوّاح	244
جعل الشريعة	الإصرار	الكامل	14	ابن الطوّاح	248
وقد يهلك	يحذر	الطويل	1	–	252
ما زلت	أنسى		2	ابن العريف	5
أما آن	معسعس	الطويل	3	–	81
أما محي	بني عبس		12	المرجاني	153
لهفي على	قابس	السريع	2	القرطبي	165
ما للعلوم	الارماس	الكامل	1	السلمي	176
وحييت	العبس	الكامل	1	–	177
ثقلت بالتجنيس	التجنيس	الكامل	2	–	177
أبا الفضل عذراً	بالنفس	الطويل	2	ابن رشيد	208
أدرك بخيلك	أندلسا	البسيط	15	ابن الأبار	222
وعلقتها	الرياض	المتقارب	2	ابن عميرة	210
ليس التصوف	غلط	الكامل	2	–	57
نبه جفونك	وألحظ	الكامل	2	حازم	221

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	الإحالة
كتاب أخ	أو اتسغ	الطويل	26	المهدوي	65
لو أن ترانا	سباعا	الكامل	3	_	83
فاتني ان ارى	بسمعي	الخفيف	1	_	119
ماذا لقيت	ابتدعوا	البسيط	4	_	162
أماطت	قناعها	الطويل	1	التجاني	192
من أمّ بابكم	الأمنع	الكامل	تخميس	ابن الطوّاح	250
ماذا على الغصن	الدنفا	البسيط	20	_	156
شرطته	الألف	السريع	1	التجاني	192
جمعتها	سائق	الرجز	1	_	173
لا يألف الدرهم	ينطلق	البسيط	1	النضر بن جؤبة	196
الناس في أمرهم	بارق	مخلع البسيط	2	أندلسي	234
فأنتم شجر	والورق	البسيط	1	_	234
أراك أراك	تراك	الوافر	12	المهدوي	67
ماذا حلل	وباك	الكامل	1	_	159
وماذا بمصر	كالبكا	المتقارب	1	المتنبي	161
لم تدر	أسلاكها	الكامل	1	حازم القرطاجني	195
يا ساحر الألحاظ	أفتاكها	الكامل	1	التجاني	196
تجلى لقلبك	الأزل	المتقارب	4	_	109
خليلي هل	يجول	الطويل	12	الششتري	130
كذا فليعلون	والا فلا لا	الخفيف	3	_	142
لقد دهمت	باقل	الطويل	22	ابن الطوّاح	144
فلو كنت ممتدحاً	بلالا	المتقارب	3	ابن أبي بردة	151
وليس يصح	دليل	الوافر	1	_	158

المطلع	القافية	البحر	عدد الأبيات	القائل	الإحالة
وفاؤكما	ساجمه	الطويل	1	المتنبي	217
أيعلم	معالمه	الطويل	5	حازم	217
سقاك وحيّانا	كمائمه	الطويل	1	المتنبي	182
ولو أن أهل العلم	لعظما	الطويل	16	الجرجاني	240
لبادي ذا الوجود	عين	الوافر	8	الحرالي	102
يوماً يمان	فعدنان	البسيط	1	ـ	110
رضى المتيم	بفنونه	الكامل	6	الششتري	121
ترى طالباً	عدنا	الطويل	68	الششتري	123
إن الذين	معينا	الكامل	2	جرير	161
من دار بالجهل	توأمان	مخلع البسيط	4	ابن الطوّاح	193
وتزيدين	أينا	المديد	2	ـ	206
يا مشرفاً	تمطلنا	البسيط	3	حازم	221
ارحم خليلي	الشفقة	البسيط	2	الحرالي	105
لقد صار قلبي	لرهبان	الطويل	2	ابن عربي	110
مدرس النحو	سيبويه	مجزوء البسيط	2	القرشي	205
بنت فكر	لا نظير له	المديد	4	حازم	221
فإما كرام	ماكفانيا	الطويل	1	سحيم بن وثيل	173
بالأستاذ	لا بالحلى	الوافر	16	الغزولي	174
بني عمنا	القوافيا	الطويل	1	ابن الطواح	176
سرك	تفشيه	السريع	2	التجاني	192

4 ـ الأمثال والأقوال المأثورة(*)

النص	الإحالة
«العارف فوق ما يقول، والعالم تحت ما يقول»	53
«أحرى أن تكون محن الفضلاء عقوبة لهم في دار الدنيا»	57
«قد بلينا بالضراء فصبرنا، وبلينا بالسراء فلم نصبر»	63
«إن نظرت إلى نفسي لم أر إلا الله، وإن نظرت إلى الله لم أر إلا نفسي»	74
«ولا تقعقع لي بالشنان»	84
«واعلم أنه لا تظهر حالة حسنة إلا بملازمة أصل صحيح»	83
«العبد من طينة سيّده، والتلميذ على مذهب شيخه»	85
«فاتتني الجماعة فعزّاني أبو عبد الله البخاري وحده، ولو مات لي ولد لعزابي أكثر من عشرة آلاف»	86
«يا علي الله، والناس الناس، نزه لسانك عن ذكرهم، وقلبك عن التماثيل من قبلهم»	89
«الغيبة فاكهة القراء»	90، 89

(*) حسب ورودها في الكتاب.

5 ـ فهرس أسماء الكتب(*)

(*) مرتب بالطريقة الألفبائية.

6 ـ فهرس الأعلام(*)

(*) مرتب بالطريقة الألفبائية.

7 ـ فهرس الاماكن(*)

(*) مرتب بالطريقة الألفبائية.

8 ـ فهرس المصادر والمراجع(*)

1 ـ المخطوطات

ـ **أثمد العينين ونزهة الناظرين**، ابن تجلات ـ الخزانة الحسنية رقم (380).

ـ **إدراك الأماني من كتاب الأغاني**، عبد القادر السلوي الأندلسي ـ الخزانة الحسنية رقم (2706).

ـ **الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج**، محمد بن الطيب القادري الحسني ـ الخزانة الحسنية رقم (1897).

ـ **بغية الأمل في ترتيب الكامل**، مجهولة المؤلف ـ الخزانة الحسنية تحت الأرقام (2486 ـ 5163 ـ 11618).

ـ **بهجة الناظرين للأزموري**، الخزانة العامة رقم (1501).

ـ **الرمي بالحصا والضرب بالعصا**، مالك بن المرحل ـ مكتبة الأستاذ محمد المنوني.

ـ **الكوكب الثاقب في أخبار الشعراء وغيرهم من ذوي المناقب**، عبد القادر السلوي الأندلسي ـ الخزانة الحسنية رقم (925).

ـ **وصل القوادم بالخوافي**، ابن رشيد السبتي ـ الخزانة العامة رقم (D 3507).

(*) مرتب بالطريقة الألفبائية.

2 ـ **الرسائل المرقونة**

ـ **أديب العدوتين مالك بن المرحل (دراسة وتحقيق نصوص)**، محمد مسعود جبران.

ـ **رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة**، أبو القاسم محمد الشريف السبتي، تحق محمد الحجوي ـ جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1985 ـ 1986.

ـ **الشعر المغربي في العصر المريني قضاياه ظواهره**، د. عبد السلام شقور، إشراف د. محمد الكتاني ـ جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1410، 1411 ـ 1989، 1990.

ـ **قضايا النقد الأدبي عند حازم القرطاجني من خلال كتابه منهاج البلغاء**، محمد أديوان ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس ـ الرباط ـ 1988.

ـ **مناهج النقد الأدبي بالمغرب خلال القرن الثامن الهجري**، علال الغازي ـ إشراف د. عباس الجراري ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس 1986.

ـ **مناهج النقد الأدبي في الأندلس بين النظرية والتطبيق خلال القرنين السابع والثامن للهجرة**، علي لغزيوي ـ إشراف د. محمد بن شريفة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ جامعة محمد الخامس 1990.

ـ **النقد الأدبي بالأندلس في القرنين السادس والسابع الهجريين من خلال كتب المختارات الشعرية وتراجم الشعراء**، آيات الشريف العربي ـ إشراف د. . . . ـ كلية الآداب ـ جامعة محمد الخامس ـ الرباط 1990.

3 ـ **الكتب المطبوعة**

ـ **الإحاطة في أخبار غرناطة**، محمد لسان الدين بن الخطيب، تحق. محمد عبد الله عنان، مصر، مكتبة الخانجي، 1977 (24).

ـ **الإحاطة في أخبار غرناطة (نصوص جديدة لم تنشر)**، محمد لسان الدين بن

الخطيب، تحق. د. عبد السلام شقور ـ المغرب ـ مؤسسة التغليف والطباعة، 1987.

ـ **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنى الآثار**، محمد بن القاسم الأنصاري ـ تحق. عبد الوهاب بن منصور ـ المغرب ـ المطبعة الملكية.

ـ **اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى**، علي بن موسى بن سعيد، تحق. إبراهيم الأبياري ـ مصر، دار الكتاب المصري، 1980.

ـ **الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية**، أبو عبد الله الشماع، تحق د. الطاهر المعموري، تونس ـ ليبيا ـ الدار العربية للكتاب، 1984.

ـ **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، أحمد المقري، تحق. مجموعة ـ المغرب، مطبعة فضالة.

ـ **الإصابة في تمييز الصحابة**، شهاب الدين العسقلاني ـ تحق. طه محمد الزيني ـ مصر ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ لات.

ـ **الأعلام**، خير الدين الزركلي ـ بيروت، دار العلم للملايين ـ 1980.

ـ **الأغاني**، أبو الفرج علي الأصفهاني ـ مصر ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة (مصورة عن طبعة دار الكتب).

ـ **ألف عام من الوفيات**، ابن قنفد والونشريسي وابن القاضي تحق. د. محمد حجي ـ الرباط ـ دار المغرب للتأليف ـ 1396 ـ 1976.

ـ **أنباه الرواة على أنباه النحاة**، جمال الدين القفطي، تحق. محمد أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار الكتب المصرية ـ 1955.

ـ **أنس الفقير وعز الحقير**، أبو العباس أحمد الخطيب، المعروف بابن قنفد، تحق. محمد الفاسي ـ الرباط ـ المركز الجامعي ـ 1965.

ـ **أنموذج الزمان في شعراء القيروان**، حسن بن رشيق القيرواني، تحق. محمد العروسي المطوي، بشير البكوش، تونس، الجزائر، الدار التونسية للنشر، 1986.

ـ **إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون**، إسماعيل البغدادي ـ اسطنبول ـ وكالة المعارف الجليلة 1964 ـ 1945.

- **البداية والنهاية**، عماد الدين بن كثير ـ مصر، مطبعة السعادة 132.
- **برنامج التجيبي**، القاسم التجيبي ـ تحق. عبد الحفيظ منصور، تونس، ليبيا، الدار العربية 1981.
- **برنامج شيوخ الرعيني**، علي بن محمد الأشبيلي، تحق. إبراهيم شبوح، سوريا، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1381 ـ 1962.
- **برنامج المُجاري**، أبو عبد الله المجاري الأندلسي، تحق. محمد أبو الأجفان ـ بيروت، دار الغرب الإسلامي: 1982.
- **برنامج الوادي آشي**، محمد بن جابر الوادي آشي، تحق. محمد محفوظ، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1400 ـ 1980.
- **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، أبو عبد الله محمد الملقب بابن مريم ـ بعناية عبد الرحمن طالب، ـ الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1986.
- **بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد**، يحيي بن خلدون، تحق. عبد الحميد حاجيات ـ الجزائر ـ المكتبة الوطنية 1980.
- **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، ابن عميرة الضبي ـ القاهرة، 1955.
- **البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ابن عذاري المراكشي ـ تحق. ج س كولان وبروفنسال ـ بيروت، دار الثقافة.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد مرتضى الزبيدي، بيروت، مكتبة الحياة.
- **تاريخ أفريقيا في العهد الحفصي (ق13 ـ ق15)**، روبار برنشفيك، تر. حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988.
- **تاريخ بغداد**، أبو بكر بن أحمد البغدادي، بيروت، دار الكتاب العربي.
- **تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة**، تر. د. أحمد السعيد سليمان ـ مصر، دار المعارف، 1972.
- **تاريخ الدولتين (الموحدية والحفصية)**، أبو عبد الله الزركشي، تحق. محمد ماضور، تونس، المكتبة العتيقة، 1966.

ـ **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، إحسان عباس ـ بيروت، دار الثقافة.

ـ **تذكرة الحفاظ**، شمس الدين الذهبي، حيدر أباد، 1933 ـ 1934.

ـ **تراجم المؤلفين التونسيين**، محمد محفوظ، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1404 ـ 1984.

ـ **ترجمان الأشواق**، محي الدين بن عربي ـ بيروت، دار صادر، 1386 ـ 1966.

ـ **التشوف إلى رجال التصوف (وأخبار أبي العباس السبتي)**، أبو يعقوب يوسف التادلي (ابن الزيات) تحق. أحمد التوفيق ـ المغرب ـ كلية الآداب، 1404 ـ 1984.

ـ **التكملة لكتاب الصلة**، أبو عبد الله محمد القضاعي (ابن الأبار) تحق. عزت العطار، مصر ـ 1956 (2ج).

ـ **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**، بدر الدين القرافي، تحق. أحمد الشتيوي ـ بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1403 ـ 1983.

ـ **تهذيب التهذيب**، ابن حجر العسقلاني ـ بيروت، دار الصادر، 1325.

ـ **جذوة الاقتباس في ذكر من حلّ من الأعلام مدينة فاس**، أحمد بن القاضي ـ المغرب ـ دار المنصور ـ 1973.

ـ **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، جلال الدين السيوطي، تحق. أبو الفضل إبراهيم، مصر، دار إحياء الكتب العربية.

ـ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم الأصبهاني ـ بيروت، دار الكتاب العربي ـ ط2، 1967.

ـ **الحلل السندسية في الأخبار التونسية**، محمد بن محمد الأندلسي، تحق. محمد الحبيب الهيلة ـ بيروت ـ دار الغرب الإسلامي، 1984.

ـ **الحماسة**، أبو عبادة البحتري، بعناية لويس شيخو، بيروت، دار الكتاب العربي ـ ط2، 1387 ـ 1967.

ـ **خزانة الأدب ولب لباب العرب**، عبد القادر البغدادي، تحق. عبد السلام هارون ـ بيروت، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1967.

- **درة الحجال في أسماء الرجال**، أحمد المكناسي، تحق. د. محمد الأحمدي أبو النور، القاهرة، دار التراث، 1970.
- **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، شهاب الدين العسقلاني، تحق. محمد سيد جاد الحق، مصر، 1967.
- **الدولة الحفصية (صفحات خالدة من تاريخنا المجيد)**، أحمد بن عامر، تونس، دار الكتب الشرقية، لا ت.
- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، ابن فرحون المالكي - تحق. د. محمد الأحمدي أبو النور - مصر، دار التراث - 1972.
- **ديوان ابن الأبار**، أبو عبد الله بن الأبار، تحق. د. عبد السلام الهرّاس - تونس - الدار التونسية للنشر، 1405 - 1985.
- **ديوان أبي الحسن الششتري (شاعر الصوفية الكبير في الأندلس والمغرب)**، أبو الحسن الششتري - تحق. د. علي سامي النشار - مصر، دار المعارف - 1960.
- **ديوان أمية بن أبي الصلت**، أمية بن أبي الصلت - صنعة د. عبد الحفيظ السطلي - دمشق المطبعة التعاونية، 1977.
- **ديوان حازم القرطاجني**، أبو الحسن حازم القرطاجني - تحق. عثمان الكعاك - بيروت - دار الثقافة، 1964.
- **ديوان المتنبيء**، أحمد بن الحسين - بشرح أبي البقاء العكبري، تحق. مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري - بيروت - دار المعرفة للطباعة والنشر - 1978.
- **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، محمد بن عبد المالك المراكشي، تحق. د. محمد بن شريفة، وإحسان عباس (1 - 8) المغرب - بيروت - الأكاديمية المغربية.
- **رحلة التجاني**، أبو محمد عبد الله التجاني - تقديم حسن حسني عبد الوهاب - تونس - المطبعة الرسمية - 1378 - 1958.
- **رحلة العبدري (الرحلة المغربية)**، أبو عبد الله العبدري، تحق. محمد الفاسي - الرباط - جامعة محمد الخامس - 1968.

ـ **روضة التعريف بالحب الشريف**، محمد لسان الدين بن الخطيب، تحق. د. محمد الكتاني ـ الدار البيضاء دار الثقافة، 1970.

ـ **الروض المعطار في خبر الأقطار**، محمد عبد المنعم الحميري، تحق. د. إحسان عباس ـ بيروت ـ 1975.

ـ **زاد المسافر وغرة مُحيا الأدب السافر**، ابن إدريس المرسي، تحق. عبد القادر محداد، بيروت: 1939.

ـ **زهر الآداب وثمر الألباب**، إبراهيم الحصري القيرواني تحق. د. زكي مبارك، محمد محي الدين عبد الحميد ـ بيروت ـ دار الجيل، 1972.

ـ **السلطنة الحفصية**، محمد العروسي المطوي ـ بيروت ـ دار الغرب الإسلامي 1406 ـ 1986.

ـ **سلوة الأنفاس ومحادثة بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس**، محمد بن جعفر الكتاني ـ المغرب، المطبعة الحجرية بفاس.

ـ **السير**، أحمد بن سعيد الشماخي ـ مصر ـ طبعة حجرية، 1301.

ـ **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، محمد بن مخلوف ـ بيروت، دار الفكر ـ لات.

ـ **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ابن العماد الحنبلي ـ بيروت ـ المكتب التجاري للطباعة.

ـ **شرح ديوان الحلاج**، أبو مغيث الحلاج ـ بعناية د. كامل مصطفى الشيبي ـ بيروت، بغداد ـ مكتبة النهضة، 1394 ـ 1974.

ـ **شرح ديوان الحماسة**، أبو علي أحمد المرزوقي ـ نشره أحمد أمين، عبد السلام هارون، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ 1387 ـ 1967.

ـ **شرح ديوان المتنبي**، أبو الطيب أحمد بن الحسين، وضعه عبد الرحمن البرقوقي ـ مصر، المكتبة التجارية الكبرى، ط2، 1357، 1938.

ـ **صفة الصفوة**، أبو الفرج بن الجوزي ـ تحق. محمود فاخوري ود. محمد قلعجي ـ بيروت، دار المعرفة 1979.

- **الصلة**، أبو القاسم خلف ابن بشكوال ـ تحق. عزة العطار الحسيني ـ القاهرة، 1955.
- **صلة الصلة**، أبو جعفر بن الزبير، تحق. ليفي بروفنسال ـ الرباط، المطبعة الاقتصادية، 1938.
- **طبقات الشعراني (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار)**، عبد الوهاب الشعراني ـ مصر ـ مكتبة صبيح ـ 1952.
- **طبقات الصوفية**، أبو عبد الرحمن السلمي، تحق. نور الدين شريبة، مصر، 1953.
- **عبد الواحد بن الطوّاح من أعلام الغرب الإسلامي في القرن الثامن الهجري**، د. محمد مسعود جبران، طرابلس الغرب، بيروت، دار المدار الإسلامي ـ 2004.
- **العبر**، عبد الرحمن بن خلدون ـ بيروت ـ دار الكتاب اللبناني ط3 ـ 1967.
- **العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين**، محمد المنوني ـ الرباط ـ طبعة مصورة بالأوفسيط ـ 1397 ـ 1977.
- **عنوان الأريب عما نشأ بالمملكة التونسية من عالم أديب**، محمد النيفر ـ تونس، المطبعة التونسية، 1351.
- **عنوان الدراية (فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية)**، أحمد الغبريني، تحق. عادل نويهض، بيروت، دار الآفاق ـ 1979.
- **الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية**، أحمد بن القنفذ القسنطيني، تحق. محمد الشاذلي النيفر، وعبد المجيد التركي ـ تونس، الدار التونسية للنشر، 1968.
- **الفرق الإسلامية في الشمال الأفريقي**، ألفرد بل، تر. د. عبد الرحمن بدوي ـ بيروت، دار الغرب الإسلامي ـ 1987.
- **فهرس ابن عطية**، أبو محمد عبد الحق بن عطية، تحق. محمد أبو الأجفان، ومحمد الزاهي، بيروت، دار الغرب الإسلامي ـ ط2، 1983.
- **فوات الوفيات**، محمد شاكر الكتبي، تحق. إحسان عباس، بيروت، دار صادر 1973 ـ 1974.

- **في النهضة والتراكم** (دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية، معاهدة للأستاذ محمد المنوني).

1 - مؤلفات وأبحاث الأستاذ محمد المنوني.

2 - د. محمد بن شريفة «من أعلام التصوف بالأندلس في القرن السابع ابن عبيديس النفري».

- **قصائد ومقطعات**، أبو الحسن حازم القرطاجني، تحق. د. محمد الحبيب ابن الخوجة - تونس، الدار التونسية للنشر، 1972.
- **كتاب أخبار الحلاج (أو مناجيات الحلاج)**، اعتنى بنشره ل. ماسينيون، وب. كراوس - باريس مطبعة القلم، 1936.
- **كتاب التعريفات**، الشريف الجرجاني، بيروت، دار الكتب العلمية، 1403 - 1983.
- **كتاب العمر (في المصنفات والمؤلفين التونسيين)**، حسن حسني عبد الوهاب، مراجعة محمد العروسي المطوي وبشير البكوش - بيروت - دار الغرب الإسلامي - 1990.
- **كشاف اصطلاحات الفنون**، محمد علي التهانوي.
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، كاتب جلبي (حاجي خليفة).
- **لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق**، عبد الوهاب الشعراني - القاهرة، عالم الفكر - 1396.
- **المؤنس في أخبار أفريقيا وتونس**، ابن أبي دينار - تونس.
- **مجمع الأمثال**، أبو الفضل الميداني - تحق. محمد محي الدين عبد الحميد - مصر - المطبعة السنية المحمدية - 1955.
- **مختارات من الشعر المغربي والأندلسي**، مجهول - تحق. إبراهيم بن مراد - بيروت، دار الغرب الإسلامي - 1406.
- **مستفاد الرحلة والاغتراب**، أبو القاسم التجيبي، تحق. عبد الحفيظ منصور، ليبيا - تونس الدار العربية للكتاب، 1395 - 1975.

- **المصادر العربية لتاريخ المغرب (2ج)**، محمد المنوني - الرباط - جامعة محمد الخامس، 1983 - 1989.
- **أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزومي (حياته وآثاره)**، د. محمد بن شريفة - المغرب - المركز الجامعي للبحث العلمي.
- **مطمح الأنفس ومسرح التأنس**، أبو نصر الفتح بن خاقان - تحق. محمد علي شوابكة - بيروت - مؤسسة الرسالة - 1983.
- **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، عبد الرحمن الدباغ - وأبو القاسم بن ناجي - تونس 1320.
- **معجم أعلام الفكر الإنساني**، نخبة من الأساتذة - القاهرة - الهيئة المصرية للكتاب - 1984.
- **معجم البلدان**، أبو عبد الله ياقوت الحموي - بيروت - دار الصادر - 1375 - 1956.
- **معجم شواهد النحو الشعرية**، د. حنا جميل حداد، الرياض، دار العلوم، 1404 - 1984.
- **المعجم الصوفي**، د. سعاد الحكيم - بيروت، د. ندرة - 1401 - 1981.
- **المعجم في أصحاب أبي علي الصدفي**، أبو عبد الله بن الأبار - مجريط، 1886.
- **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث**، رتبه د. أ - ي ونسنك - ليدن - مكتبة بريل - 1936.
- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، رتبه محمد فؤاد عبد الباقي - بيروت - دار الفكر - لات.
- **المعجم الوسيط**، الخالدون - مجمع اللغة العربية - القاهرة - لامط - لات.
- **المعيار المعرب والجامع المغرب**، أحمد الونشريسي، الرباط، وزارة الأوقاف 1401 - 1981.
- **المغرب عبر التاريخ**، د. إبراهيم حركات - الدار البيضاء - دار الرشاد الحديثة.
- **المغرب في حلى المغرب (1، 2)**، ابن سعيد المغربي، تحق. شوقي ضيق، القاهرة، دار المعارف.

- **مفتاح السعادة**، طاش كبري زاده. (أحمد بن مصطفى) حيدر أباد - 1956.
- **المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة**، أبو الخير محمد السخاوي، تحق. عبد الله محمد الصديق - القاهرة - 1950.
- **مقدمة ابن خلدون**، عبد الرحمن بن خلدون - تحق. علي عبد الواحد وافي.
- **ملء العيبة بما اجتمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة**، أبو عبد الله محمد (ابن رشيد السبتي) تحق. د. محمد الحبيب ابن الخوجة - تونس - الدار التونسية للنشر 2. = 1402 - 1982.
3. = 1401 - 1981.
- **منتخبات من نوادر المخطوطات بالخزانة الحسنية**، محمد المنوني - الرباط - مطبعة فضالة - 1978.
- **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، أبو الحسن حازم القرطاجني - تحق. د. محمد الحبيب ابن الخوجة. تونس - دار الكتب الشرقية، 1966.
- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، جمال الدين ابن تغري بردي - مصر - سلسلة تراثنا.
- **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، أبو البركات كمال الدين بن محمد - تحق. إبراهيم السامرائي - بغداد 1970.
- **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، محمد مقديش، تحق. محمد محفوظ، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- **نفح الطيب**، أحمد المقري، تحق. إحسان بن عباس - بيروت، دار صادر 1388 - 1968.
- **نكت الهميان**، صلاح الدين الصفدي.
- **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، أحمد باب التنبكتي - إشراف عبد الحميد الهرّامة - ليبيا، كلية الدعوة الإسلامية، 1989.
- **هدية العارفين**، إسماعيل البغدادي - استانبول - 1951.
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، شمس الدين أحمد ابن خلكان - تحق. إحسان عباس، بيروت، 1968 (8ج).

4 ـ الدوريات

ـ **مجلة البحث العلمي (المغرب)، العدد: 41 ـ 1993.** محمد مسعود جبران ـ نص أندلسي جديد ـ المقامة النجدية «المالك بن المرحل».

ـ **مجلة دراسات أندلسية (تونس) العدد: 2 ـ 1989.** رشاد الإمام «ابن الأبار وعصره في تونس».

ـ **مجلة كلية الآداب بتطوان (عدد خاص بتطوان)، العدد: 5 ـ 1991.** جعفر ابن الحاج السلمي «ترجمة أبي الحسن الشاذلي في كتاب سبك المقال لفك العقال». د. عبد السلام شقور «جبل العلم بين الشعر والتاريخ».

ـ **مجلة معهد المخطوطات العربية (مصر)،** المجلد الأول: 1955. عبد العزيز الأهواني «برنامج العلماء في الأندلس».

ـ **مجلة المناهل،** العدد: 6 يوليو 1396 ـ 1976. محمد المنوني «ملامح العلاقات الثقافية بين المغرب وتونس». العدد: 17 ـ 1980. محمد المنوني «الصلات الثقافية بين المغرب وتونس الحفصية». العدد 6: السنة 3. د. محمد الحبيب ابن الخوجة «من صلات الأخاء والصفاء والعلم بين رجالات تونس والمغرب».

ـ **(ندوات 4) جامعة عبد الملك السعدي 1991،** جعفر بن الحاج السلمي «نشر التراث الأدبي المغربي بين الواقع والمثال مع صنع ديوان أبي الحسن الحرالي المراكشي».

5 ـ بحوث غير منشورة

ـ **عبد الواحد بن الطوّاح كمؤرخ تونسي أشار إلى قصر المنستير. 14 ص،** مساهمة الأستاذ محمد المنوني في ملتقى حول مدينة المنستير وربوعها عبر العصور. 17 ـ 18 يوليو 1987.

الفهرس

من كتب محقق الكتاب ومؤلفاته

أولاً ـ المطبوعات:

1 ـ **أحمد الفقيه حسن (الحفيد) حياته وأدبه**، ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب ط1، 1395/ 1975، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط2، 1421/ 2000.

2 ـ **محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا**، طرابلس الغرب، مركز جهاد الليبيين، ط1، 1402/ 1981، ط2، 1471/ 1996.

3 ـ **مصطفى بن زكري في أطوار حياته وملامح أدبه ليبيا**، المنشأة العامة للنشر والتوزيع، ط1، 1405/ 1981، ط2، مع تحقيق ديوانه مركز جهاد الليبيين، / 2007.

4 ـ **أحمد الفقيه حسن (الجد) وتحقيق ما تبقى من آثاره ووثائقه**، ليبيا، مركز جهاد الليبيين، 1409/ 1988.

5 ـ **سليمان الباروني آثاره**، ليبيا، تونس، الدار العربية للكتاب، 1412/ 1991.

6 ـ **سبك المقال لفك العقال (تحقيق)**، تأليف: عبد الواحد بن الطوّاح، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1417/ 1996، ط2، جمعية الدعوة الإسلامية، / 2007.

7 ـ **أديب العدوتين مالك بن المرحّل (دراسة تحليلية في أخباره وتحقيق نصوصه**

الأدبية الباقية)، الإمارات العربية المتحدة، المجمع الثقافي.

8 ـ ديوان الجوالات لمالك بن المرحّل (تحقيق)، بيروت، دار المدار الإسلامي، 1424/ 2004.

9 ـ فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب (المضامين والخصائص الأسلوبية)، بيروت، طرابلس الغرب، دار المدار الإسلامي 1424/ 2004.

10 ـ إيضاح المبهم من لامية العجم (دراسة وتحقيق) تأليف أبي جمعة سعيد الماغوسني، دار المدار الإسلامي 1424/ 2004.

11 ـ علي الفقيه حسن في جهوده العلمية والسياسية، ليبيا، مركز جهاد الليبيين / 2000.

12 ـ عبد الواحد بن الطوّاح من الأعلام المغمورين في القرن الثامن الهجري، بيروت، ليبيا، دار المدار الإسلامي 1424/ 2004.

13 ـ اللغة العربية قواعد وتدريبات ونصوص (بالاشتراك) دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت 1424/ 2004.

ثانياً: قيد الإعداد:

1 ـ أعلام الحركة الفكرية والأدبية في الغرب الإسلامي (العصر الحديث).

2 ـ ارتسامات الأسفار (كتاب في فن الرحلة).

3 ـ محمد عبد الله السنّي ترجمته وتحقيق ما تبقى من آثاره.

4 ـ الحركة الأدبية والفكرية في نيجيريا.

5 ـ أعلام الإسلام (العصر الحديث).

6 ـ الحركة الأدبية والفكرية في ليبيا (معالم وأعلام).

7 ـ أبحاث وتحقيقات في تراث الغرب الإسلامي.

8 ـ مداخلات بحوث ودراسات في ندوات ومؤتمرات.

9 ـ تراجم الأعلام.